



جامعة يحيى فارس بالمدينة
كلية الآداب واللغات

مقابسات

في اللغة والأدب

مجلة أكاديمية محكمة نصف سنوية

تعنى بقضايا الأدب وعلوم اللغة
تصدرها كلية الآداب واللغات

المجلد الثاني - العدد 02 - ديسمبر 2020

رقم الإيداع القانوني

2018 - 12

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية

2661-7218

الرئيس الشرفى للمجلة

أ. د. يوسف حميدي
رئيس جامعة المدية

المنسق العام

أ. د. ناجي شنوف
عميد كلية الآداب واللغات

مدير المجلة ومسؤول النشر

د. مسعود ناهلية
رئيس التحرير
د. كمال بخوش
هينه التحرير

د. محمد توامي
أ. محمد ميلودي
أ. أيوب بوخاتم

التنسيق التقنى

د. العربي ركي
مراسلات المجلة

مجلة مقابسات

كلية الآداب واللغات جامعة المدية

مقابسات

في اللغة والأدب

مجلة أكاديمية محكمة نصف
سنوية تعنى بقضايا الأدب وعلوم اللغة
تصدر عن كلية الآداب واللغات
بجامعة المدية- الجزائر

Muqābasāt

academic biannually Published
journal it is interested in Literary
and linguistic issues

published by faculty of letters and
languages University of Medea

المجلد 02- العدد 02- ديسمبر 2020

البريد الإلكتروني

rev.moqabassat@univ-medea.dz

الهاتف والفاكس

025784350

الهيئة العلمية الاستشارية

جامعة البليدة02	أ.د محمد السعيد عبدلي	جامعة المدية	أ. د.جمال كديك
جامعة المدية	د.عبد الرحمن الزاوي	جامعة المدية	أ. د محمد زوقاي
جامعة المدية	د.متقدم مولاي	جامعة المدية	أ. د. النذير بو المعالي
جامعة المدية	د. كمال بخوش	جامعة المدية	أ. د. مبارك تريكي
جامعة الأغواط	أ.د. عاشور سرقمة	جامعة المدية	أ. د. محمد بن مرزوقة
جامعة وهران	أ.د محمد داود	جامعة المدية	أ. د. الصادق خشاب
جامعة المدية	د.سليم حيولة	المغرب	أ. د أبو بكر العزاوي
جامعة وادي سوف	د. حرزولي العزوزي	م.ع.أ الأغواط	أ. د مفتاح بن عروس
جامعة المدية	د. حورية مدان	مصر	أ. د حسام عقل
جامعة المدية	د. بن يوسف حميدي	جامعة الجزائر02	أ.د علي ملاحي
جامعة المدية	د.محمد ولد دالي	الأردن	أ. د مروان العلان
جامعة البليدة02	د. حليم ربوقي.	المغرب	أ. د جميل حمداوي
جامعة المدية	د. جويدة الشادلي	تركيا	أ. د. علي بولوط
جامعة المدية	د. محمد خليفاتي	جامعة الجزائر02	أ.د حميد علاوي
جامعة البليدة02	د. محمد بلعزوقي	جامعة المدية	د. شهاب بسرة
جامعة المدية	د.محمد مداني	جامعة البليدة02	د.حفيظ ملواني
جامعة المدية	د.أحمد محمد الصغير	جامعة المدية	د.محمد بن حجر
جامعة المدية	د. محمد سرير	جامعة المدية	د. رفيق بن عودة
جامعة المدية	د. فيروز بن رمضان	جامعة المدية	د.عبد السلام بن علية
جامعة المدية	د.الشاذلي سعدودي	جامعة المدية	د.مسعود ناهلية
جامعة المدية	د.فاطمة بن ربيعي	جامعة بومرداس	د.رضا رافع
جامعة المدية	د.فائزة حسناوي	جامعة المدية	د.عبد القادر قرمزلي

شروط وقواعد النشر في المجلة

- 01- أن يكون النص المرسل جديدا لم يسبق نشره.
- 02- أن تتوفر فيه شروط البحث العلمي و معاييره (التوثيق).
- 03- يرفق البحث بملخص باللغة الإنجليزية.
- 04- يتصدر المقال: العنوان، وأسفله إلى اليسار اسم المؤلف ودرجته العلمية ومؤسسة الانتماء.
- 05- يذيل البحث بهوامش وإحالات مرتبة آليا توضع في آخر البحث.
- 06- صفحات المقال محصورة بين 10 و 20 صفحة بما فيها الهوامش.
- 07- يحررالمقال في برنامج Microsoft Word بخط Sakkal Majalla مقاس:14 للمتن و12 للهوامش، حجم الصفحة: الطول:24 سم، العرض:16.50 سم، الهوامش الجانبية: 2 سم، المسافة بين الأسطر: Simple ، و 1.5 سم مسافة بادئة في كل فقرة، وترقم الصفحات في الوسط أسفل الصفحة أما المقالات باللغة الأجنبية بخط Times new roman حجم 12.
- 10- لا ترد أصول البحوث التي تصل المجلة سواء نشرت أم لم تنشر.
- 11- المقالات تعبر عن رأي أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- 12- بالنسبة للمخططات والرسوم البيانية تكون بخاصية التجميع (صورة).
- 13- إرفاق النص الأصلي مع النصوص المترجمة.
- 14- البحوث التي لا تراعى فيها ضوابط النشر المذكورة أعلاه تلغى.
- 15- يرفق البحث بمختصر عن السيرة العلمية للباحث.
- 16- توجه جميع المقالات عبر البريد الإلكتروني للمجلة.

كلمة العدد

قد أطلت عليكم مجلتكم مقابسات في اللغة و الأدب في عددها التأسيسي الأول شهر ديسمبر من سنة 2018 ، واضعة هدفها الرئيسي تثوير المعرفة الأكاديمية و ذيوها، بالإضافة إلي تثمين جهود الباحثين الأكاديميين في مجالي اللغة و الأدب ، وكذا مجال الفكر الفلسفي الذي يروم من قضايا اللغة و الأدب مواضيع للمساءلة و النقاش... وهي إذ ذاك كان منطلقها فإنها تواصل اليوم تقدمها الهادئ و الوثيق صوب النجاح و التميّز، بإصدارها العدد الثاني من المجلد الثاني من مسيرتها الواعدة ، والذي جاء متضمنا لمساهمات وجمية الطرح حصيصة المعالجة غطت مجال البحث اللغوي بشقيه النظري و التطبيقي، وكذا مجالي الأدب و النقد. وهي المساهمات التي تميزت بالتأصيل في الطرح و الدقة في المعالجة و الشمولية في البسط.

و مما نجد بين ثنايا هذا العدد - على سبيل التمثيل لا الحصر - مساهمة الباحث العماني من جامعة السلطان قابوس ببحثه الموسوم بـ : بناء المعطيات الاصطلاحية و المفهومية للمعاجم النحوية و الصرفية (محاولة لحل إشكالاتها من خلال نظرية السبر) ، وهي نظرية أنطولوجية هدفها إعادة النظر في التحليل و آلية إعادة إنتاج المصطلحات و تحديد المفاهيم ، و كذلك مساهمة د ناهلية المسعود من جامعة المدينة بقرائه النقدية اللافتة في اللغة الروائية ببحثه الذي عنونه بـ اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين و الابتذال ، حيث حاول الباحث أن يقدم قراءة نقدية و اصفة في اللغة الروائية الهجينة و ما تتضمنه من حمولة دلالية و صفها الباحث بالمتندلة و فقا للسياقات التداولية التي أفرزتها، ... و بحوث أخرى غاية في الأهمية تراوحت بين البحوث النحوية للباحثين العربي ركي من جامعة المدينة و رضا رافع من جامعة بومرداس ، و بحوث في تحقيق المخطوطات للباحثة مريم جلاط من جامعة الجزائر 2 ،... إلخ

و إذ تعترينا- نحن فريق التحرير - الغبطة و نحن نصدر هذا العدد المثمر ، فإننا نترقب إسهامات الباحثين من كل الجامعات الوطنية تحقيقا للتقدم بمجلتهم نحو النجاح أكثر في رحاب النشر الأكاديمي عموما و الجامعي منه خصوصا، واضعين أنفسنا في خدمتهم و خدمة البحث العلمي، دائما و أبدا ...

هيئة التحرير

فهرس الموضوعات

- 01-بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية_محاولة لحل إشكالاتها عبر نظرية السُّبْر/ خالد بن سلمان الكندي/ جامعة السلطان قابوس - عُمان-6 -
- 02-اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال /د: مسعود ناهلية /جامعة المدية - 44 -
- 03- الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية /د: سهيلة عبريق/ جامعة الجزائر 02 - 56 -
- 04- تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس/د.رافع رضا /جامعة بومرداس - 70 -
- 05- التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري . العربي ركي جامعة المدية - 82 -
- 06- الشعرية في منظور النقد العربي القديم /عبد القادر شبوني / المدرسة . العليا . للأساتذة .بوزريعة - 100 -
- 07-أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح/د:محموظ ذهبي/ جامعة المدية - 112 -
- 08-المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها في المدرسة الابتدائية الجزائرية /د. بن يطو بن عمران /جامعة المدية - 126 -
- 09-تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج /الطالبة : مريم جلاط- جامعة المدية - 146 -
- 10-الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره /د.محمد خريش / جامعة المدية - 171 -
- 11-مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا و حدود) /أحلام بن بناجي/ جامعة المدية - 186 -

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية محاولة لحل إشكالاتها عبر نظرية السَّبْر

د. خالد بن سليمان الكندي
جامعة السلطان قابوس / سلطنة عمان

الملخص:

يقدم الباحث نظرية جديدة يسميها "السَّبْر" شرحها في دراسة نشرها سلفاً أوضح فيها أنها تهدف إلى حل مشكلات المصطلحات والمفاهيم، وتسعى إلى تضافر التخصصات، وتقدم رؤية أرحب للتحليل صالحة لمختلف العلوم تقوم على مبدأ تقسيم الموجودات إلى وحدات وعلاقات، وهو في هذا البحث يستعين بنظرية السبر ليعالج المشكلات التي تواجه المصطلحات والمفاهيم النحوية والصرفية وتؤثر في صناعة المعاجم النحوية والصرفية. هذه الدراسة مقسّمة إلى مبحثين، الأول خلاصة في تعريف نظرية السبر تتضمن الفرق بين المنهج والنظرية، ثم مفهوم الوحدات والعلاقات من وجهة النظر السبرية، والتفرقة بين العلاقات العامة والعلاقات الخاصة، وبيان الإجراءات التي قام بها للتوصل إلى أنواع الوحدات اللغوية.

وفي المبحث الثاني يعرض الباحث المشكلات التي تواجه المصطلحات والمفاهيم النحوية والصرفية، والحلول التي يمكن أن تقدمها النظرية في هذا الجانب، رغبة في تيسير صناعة المعاجم النحوية والصرفية، وجعل مضمونها أكثر نفعاً.

The abstract:

The researcher introduces a new theory called "*propping*" which aims to solve problems of terminology and concepts, seeks to combine disciplines, and provides a comprehensive view of the analysis valid for all science based on the principle of the division of assets into units and relations. He explained the theory in a previously published study, and wishes to use it to deal with the problems facing terminology and grammatical and morphological concepts and affect the manufacture of grammatical and grammatical dictionaries.

This study is divided into two sections, the first in the definition of *propping* theory, where it spoke about the difference between method and theory, and then the concept of units and relations according to the

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

perspective of *propping* theory, and the researcher teams between public relations and private relations, and explained the procedures he has done to reach the types of language units .

In the second part, the researcher presents the problems facing terminology and grammatical and morphological concepts, and the solutions that can be provided by the theory in this regard, in order to facilitate the manufacture of grammatical and morphological dictionaries and make their content more useful.

المقدمة

إن المُعطيات المعجمية هي كل البيانات والروافد المعينة على تعريف مصطلحات المعجم في مجال معين، وتشمل المدخل، والمعلومات اللغوية، وعلامات الاستعمال، ومجالات الاستعمال الفرعي للمصطلح، والتعريف، والمعلومات الثقافية، والمعنى السياقي، والمتلازمات اللفظية، والرسوم التوضيحية، والكتابة العالمية، والروابط الدلالية، والمعطيات الببليوجرافية، وتركز دراستنا على المشكلات التي تواجهها المصطلحات والمفاهيم النحوية والصرفية مما له تأثير في صناعة المعاجم النحوية والصرفية، وفي قيمة مضمونها.

ونظرية السُّبر نظرية أنطولوجية هدفها إعادة النظر في التحليل وآلية إنتاج المصطلحات وطرائق تحديد المفاهيم في العلوم المختلفة، ثم جعلها وفق آلية قائمة على تصنيف المسبورات (كل ما يمكن أن يفكر فيه العقل) إلى وحدات Units وعلاقات Relations، فأما الوحدات فهي كل ما يمكن للعقل أن يتخيله في صورة كُليٍّ سواء كان له أجزاء أو لم يكن له أجزاء، وأما العلاقات فهي الأحداث والصفات التي تنسب إلى الوحدات. ثم يصنف العلاقات إلى (علاقات وجود ينبغي أن تنطبق كل منها على الأقل على جميع جزئيات وحدة واحدة من الوحدات التي تقع في مجال اختصاص هذا العلم)، و(علاقات تحلّية لا تنطبق على جميع جزئيات أية وحدة من الوحدات التي يدرسها العلم). والغاية من هذا التصنيف تحقيق الأمور التالية:

محاولة تقديم رؤية من زوايا متعددة تسبق أي قرار.

فتح نوافذ متعددة للتحليل بتفعيل التعاون بين العلوم المختلفة.

حل إشكالات المصطلحات والمفاهيم عبر فكرة التمييز بين الوحدة والعلاقة.

توحيد مصطلحات العلوم عند اتحادها في الوحدات والعلاقات.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

وضع إستراتيجية جديدة للتحليل صالحة لكل العلوم. تقديم نظرية توليدية تسهم في تفتيق الذهن في موضوعات جديدة وزوايا نظر لم تُطرق من قبل.

إعادة النظر في آلية وضع مصطلحات العلوم وصناعة معاجمها. تهتم نظرية السبر بإعادة النظر في مصطلحات كل علم ومفاهيمه؛ لتكون مصنفة إلى وحدات وعلاقات؛ محدّدة نقاط الالتقاء والافتراق بين الوحدات والوحدات، وبين الوحدات والعلاقات، وبين العلاقات والعلاقات، فتخرج برؤية جديدة في تنظيم مادة المعجم وإثراء كل مدخل من مداخله بذكر كل العلاقات والوحدات التي يتأثر بها أو تؤثر فيه. ولحدائثة نظريتنا رأيت ضرورة تقسيم البحث إلى مبحثين، أتناول في أوله التعريف بنظرية السبر، وفي ثانيه بناء المعاجم النحوية والصرفية وفق نظرية السبر. المبحث الأول: التعريف بنظرية السبر:

ينبغي لنا الفصل بين مفهوم النظرية ومفهوم المنهج، فالمنهج مجموعة من القواعد الضرورية لا يصح للباحث أن يتجاوزها إذا أراد الوصول إلى نتائج صحيحة عند بحثه في مسألة معينة، وكان رينيه ديكارت René Descartes (1596-1650) قد كتب كتابًا عنوانه "دراسة ضخمة حول العالم والضوء" لكنه لما سمع بمحاكمة جاليليو (1564-1642) على يد محاكم التفتيش قرر نشر كتابه في ثلاث دراسات مجزأة هي "انكسار الضوء" و"النيازك" و"الهندسة"، وفي الدراسة الأخيرة فصلٌ بعنوان "مقالة في المنهج" وضع فيها قواعد المنهج العلمي، وهي⁽¹⁾:

الشك: عدم الإقرار بصحة شيء حتى تثبت صحته.

التحليل: تقسيم المسألة إلى أجزاء بقدر المستطاع.

التأليف: البدء في الأشياء البسيطة ثم الذهاب إلى الأشياء المركبة.

الإحاطة: ممارسة الإحصاء الشامل للأشياء لئلا نغفل عنها.

ويمكن أن يضاف إلى قواعد ديكارت قواعد أخرى⁽²⁾:

الموضوعية، وهي الحكم على الشيء بالدليل والتجربة والعقل بعيدًا عن الأهواء.

الحرص على استعمال المصطلحات بمفاهيمها المتعارف عليها.

الأمانة في نقل المعلومات من المصادر والمراجع.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

محاولة إيجاد الحلول للمشكلات.

وتجمع كثير من المراجع "المنهج" على "مناهج"، والحقيقة أن المنهج لا يتعدد؛ لأنه كما ذكرنا قواعد ضرورية لا ينبغي أن يتجاوزها أي باحث، وإنما الذي يتعدد هو النظريات، فالنظرية فكرة تبحث عمّن يعترف بمشروعيتها؛ لذا ترى الباحثين في جدال فيها، فتتعدد أطروحاتهم، ويؤلفون فيها الأبحاث حتى تصل الرؤية فيها إلى مرحلة الاستقرار، فتكون علمًا مستقلًا له حدوده الواضحة، وآلياته المعترف بها، ومصطلحاته القارة، ومدارسه التاريخية. ومن المهم أيضًا التفرقة بين النظرية والقانون العلمي، فالنظرية أمر مُبْرَهَنٌ عليه بأدلة وتجارب تحاول تركيز حقيقة منظومة علمية، وتقبل النظرية الخطأ والإكمال والتهذيب والتعويض بنظرية أخرى كما حدث مع نظرية إسحاق نيوتن إذ ابتلعها نظرية النسبية العامة، ثم جاءت فيزياء الكم لتصحيح قوانين أينشتاين الصارمة التي أحيطت بعالم المادة، وهكذا تصبح النظرية جزءًا من التاريخ العلمي، في حين أن القانون العلمي مقدمة عامة تعبر عن علاقات وُجُوبية ثابتة تربط بين ظواهر أو بين مكُوناتٍ مجموعة ما. وأما العلم فهو مجموعة مترابطة من معارف تتعلق بوقائع أو أشياء أو ظواهر تخضع لقوانين، ويمكن التأكد من صحتها بطرائق تجريبية⁽³⁾. وتقوم النظرية على أربعة أركان⁽⁴⁾:

الإشكالية: ويقصد بها الغاية التي تسعى إليها للحصول على مشروعية الاعتراف بها، وهي غاية تأتي لسدّ ثغرة في البحث العلمي أو تصحيح مسار قديم أو طرح رؤية جديدة، وتسمى الإشكالية أيضًا بخلفية النظرية أو فلسفة النظرية. والمصطلحات: فكل نظرية تسعى إلى طرح مجموعة مصطلحات، وتشرح مصطلحاتها. والمصطلحات ليست ألفاظًا نجدها في القاموس العام بل ألفاظًا لها مدلولاتها الخاصة في علم من العلوم أو مجال من المجالات.

الباحثون ومصنّفاتهم، فلا بد أن يكون للنظرية باحثون يدافعون عنها، ويصنّفون المصنّفات لإيضاح نظريتهم: سعيًا إلى أن يُعترف بها في النهاية. وجود تطبيقات للنظرية تدل على صلاحية عمل فكرتها.

ونظرية السبر⁽⁵⁾ مخطّط يسبق أي بحث علمي أو عمل ميداني في قضية، هدفه إحصاء جُلّ الأطراف المسؤولة عن القضية، وكل الأفكار التي تخصها، ثم تصنيفها في صورة

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

وحدات وعلاقات لوضع رؤية شاملة كفيّلة بحل القضية؛ تجنّباً لأيّ تقصير في أيّ جانب من جوانبها.

ولابد لكل نظرية جديدة تزوم التغيير وتسعى إلى طريقة مختلفة في التفكير والتحليل- أن تقدم رؤيتها في مصطلحات خاصة بها لئلا تلتبس بمفاهيم علوم ونظريات سابقة. ولأجل هذا تقترح نظرية السبر التي وضعها مصطلحاً جديداً سمّيته المسبور Masboor، وهو يعني "كل ما يمكن للعقل البشري التفكير فيه"، وقد قسّمت المسبورات إلى قسمين كبيرين هما:

العلاقة Relation: وهي ما لا يستطيع العقل أن يتخيّل له كلاً ولا جزءاً.
الوحدة unit: وهي ما يستطيع العقل أن يتخيّل لها كلاً وجزءاً، وإن لم تكن ماهيته مكوّنة من كلّ وجزء.

ورغم أن الإله من الوحدات؛ إلا أننا لا نستطيع تشبيهه بخلقه في زوايا التمييز التي نذكرها فيما يلي بين العلاقات وسائر الوحدات:

الزاوية الأولى: من حيث قدرة العقل على خلق صورة تجسّدية لها؛ فالوحدات يستطيع العقل خلق صورة للملائكة رغم أنه لم يرها؛ لأنه يشبّها بوحدات رآها لها وجود فيزيائي مثل الطير والخيّل، وأما العلاقات فلا يستطيع العقل خلق صورة تجسّدية لعلاقة مثل الصبر. ونحن هنا حين نقول "صورة تجسّدية" لا نقصد حقيقةً أن العقل يُنشئ صورة محسوسة، ذلك لأن المعاني والتفكير أمور خارجة عن نطاق المحسوس، ولا يمكن إخضاعها للفحص.

الزاوية الثانية: هل لها مكان؟؛ فكل الوحدات محكوم عليها بأن يكون لها مكان في العالم الخارجي (خارج العقل)، فحتى الكائنات الهلامية (الملائكة والجن والروح) تسبح في العالم لا في العدم. وأما العلاقات فيستنتجها العقل من الأحداث التي تقوم بها الوحدات، فكسّر زيد لِكوب مثلاً هو علاقة تنشأ من وجود الوحدات التالية (زيد، الكوب، الهواء الذي يتحرك فيه الكوب، الأرض التي يسقط فيها الكوب، الشظايا التي ينقسم إليها الكوب) وفي النهاية تجد أن كسر الكوب ليس كائناً محسوساً بل مجموعة وحدات.

الزاوية الثالثة: هل تتكون من أجزاء؟؛ يتخيّل العقل الوحدة كلاً مكوّناً من أجزاء؛ مهما كانت الوحدة صغيرة الحجم مثل الإلكترون أو عظمة الحجم مثل الملك. ثم إنه يمكن

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

اجتماع وُحدَتَيْنِ لتكوين وُحدةٍ ثالثة. فالإنسان مخلوق مركب من الروح وعشرات العناصر الكيميائية، وهذه العناصر الكيميائية عبارة عن ذرة مكونة من نواة فيها بروتونات ونيوترونات (إلكترونات ونيوترونات) بالإضافة إلى الإلكترونات التي تدور حول النواة. وأما العلاقات فليست مُرَكَّبَةً من الكل والجزء.

الزاوية الرابعة: هل تخلو من الخُلقة؟ كل الوحدات كائنات خلقها الإله، وقد ينتفع ببعضها الإنسان فيركب منها كائنات مصنوعة. وأما العلاقات فهي أحداث الوُحدات، وهي مفاهيم تُدرك بالعقل وليست من الخلائق.

الزاوية الخامسة: هل يُنتج المُسبُورُ النوعَ الآخر من المسبورات؟: الوُحدات مؤثِّرة بذاتها، فهي تُنتج العلاقات، ومثال هذا أن أطفال المدارس -وهم وُحدات- يُنشئون فيما بينهم علاقة الصداقة.

وأما العلاقة فلا تُنتج وُحداتٍ إلا بتدخُّل وُحداتٍ أخرى، فالعلاقة مؤثِّرة بغيرها لا بذاتها، ومثال هذا أن علاقة الصداقة لا تُنتج أطفالاً بل تُنتج شعوراً مادياً ومُنتجاً فيزيائياً يُسمَّى الفرحة يظهر في وجوه الأطفال وانبساطهم فيما بينهم، وهذه الصداقة (العلاقة) التي وُلدت الشعور المادِّي (الوُحدة) لم يكن لها أن تُولِّد هذا الشعور المادي إلا بتدخُّل الأطفال أنفسهم، ولهذا نقول إن العلاقة مفتقرة إلى تسلسل إجرائي.

الزاوية السادسة: عُمُرُها: تتصف بعض الوُحدات بأنها تعيش طويلاً مثل الجبال، ويتصف بعضها بقصر العمر مثل الصوت. وأما العلاقة فيتوقف عمرها على عمر الوُحدة التي تستمر في إنتاج العلاقة.

الزاوية السابعة: هل تُوصَف بالحركة؟: بسبب جاذبية الأرض تبدو الأشياء للإنسان ساكنة؛ لكن الحقيقة أن الكرة الأرضية تدور حول نفسها بسرعة 167466 كم/س، وفي الوقت نفسه تدور الأرض حول الشمس بسرعة 108000 كم/س، وتدور الشمس حول مركز مجرة درب التبانة بسرعة 792000 كم/س، وتسبح مجرة درب التبانة في الكون بسرعة 2.5000000 كم/س. وكذلك الكائنات الروحانية إما أن تتحرك بنفسها أو تشملها حركة الكون، وما دامت الحركة علاقة فلا يمكن وصف العلاقة بنفسها.

وإذا تجاوزنا الحديث عن زوايا التفرقة بين الوحدات والعلاقات أمكننا أن ندرك أن بعض الوحدات مجردة وبعضها مركبة، وهكذا شأن العلاقات، ذلك لأننا إذا نظرنا في

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

الوجود وجدنا أن المخلوقات والمصنوعات -وكلاهما وحدات- لا تخلو من أن تكون مركبة من وحدات مجردة هي الإلكترون (في ذرة المادة) أو البروتون (في ذرة المادة) أو الفوتون (في الضوء) أو الذبذبة (في الأصوات) أو المغناطيس (كالذي بين الأجرام) أو الروح (في الكائن الحي)، وعلى هذا الأساس تفرّق نظرية السبر بين الوحدة المجردة والوحدة المركبة. وهكذا الشأن في العلاقات إذ نجد أن كَسْر الكوب -وهو علاقة- مركبة من علاقات أخرى هي رؤية الكوب والسعي إليه وتناوله وقذفه.

ويمكننا أن نميّز بين نوعين من العلاقات من حيث التأثير الفيزيائي:

علاقات خاصة تتمثل في الأحداث التي تقوم بها بعض الوحدات ولها تأثير فيزيائي، مثل علاقات الخوف والشجاعة والحركة.

علاقات عامة ليس لها تأثير فيزيائي؛ بل هي علاقات تصنيفية يتولاها العقل للترفة بين وحدة وأخرى، أو بين علاقة وأخرى، وهذه العلاقات العامة يسميها بعض المناطقة النِسَب⁽⁶⁾، وهي علاقة التباين، وعلاقة التساوي، وعلاقة العموم والخصوص المطلقين (العلاقة المطلقة في العموم والخصوص بين كلّي وكلّي آخر)، وعلاقة العموم والخصوص من وجه (العلاقة المخصوصة في العموم والخصوص بين كلّي وكلّي آخر)، وعلاقة التواطؤ، وعلاقة التشكيك، وعلاقة التطابق، وعلاقة الترادف، وعلاقة الاشتراك، وعلاقة التخالف، وعلاقة التضاد، وعلاقة التناقض (أو التعاند)، وعلاقة التماثل، والعلاقة بين الكلّي والجزئي، والعلاقة بين الكل والجزء، وعلاقة الإضافة، وعلاقة الالتزام، والعلاقة الظرفية. وقد فصلنا شرح كل نوع من هذه الأنواع في كتابنا "مستقبل الدراسات الإنسانية في ضوء نظرية السبر".

وترى نظرية السبر أنه ينبغي للعلماء المختصين بأي مجال -إذا أرادوا أن يتوصلوا إلى مفهوم دقيق لكل مصطلح في مجال تخصصهم، وأن يميزوا بين المفاهيم المتشابهة والمعقدة- أن يقوموا بالإجراءات الآتية:

إحصاء كل العلاقات التي يُعنى بها مجال عملهم.

معرفة كل الوحدات التي تقع عليها تلك العلاقات.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

تميز كل وحدة بالعلاقات التي تقع عليها وحدها دون سائر الوحدات، فإذا ثبت أنها تتميز بعلاقة لا تنصف بها الوحدات الأخرى فهذا يعني أنها وحدة أساسية، وإذا ثبت أنها لا تتميز بأية علاقة عن غيرها فإن هذا يعني أنها ليست وحدة.

إن العلاقة التي تنطبق على كل الجزئيات التي تندرج تحت وحدة أساسية بحيث لا يمكن لأية جزئية من جزئيات هذه الوحدة الأساسية أن تخلو من هذه العلاقة- سنسميها علاقة وجود. وعلاقات الوجود هذه هي التي يلزم إحصاؤها كلها لأنها هي العلاقات الضرورية للترقية بين وحدة وأخرى في أي مجال، وهي التي يمكنها حل مشكلة اختلاط المفاهيم عند العلماء في مجال مختص.

إن العلاقة التي تنطبق على بعض جزئيات وحدة أساسية ولا تنطبق على كل جزئياتها، وكذلك لا تنطبق على كل جزئيات أية وحدة أساسية- نسميها علاقة تحلية. وعلاقات التحلية هذه هي التي يُخطئ فيها بعض العلماء حين يركزون عليها للترقية بين الوحدات، فيعتقدون بوجود وحدات لا وجود لها، وكان عليهم أن يدركوا أنه لا توجد وحدات إلا الوحدات التي يُتعرّف عليها من خلال علاقات الوجود، وأما علاقات التحلية فهي علاقات لا تعين على التفرقة الحاسمة بين الوحدات، وإنما يستفاد منها في معرفة مزيد من الخصائص التي تتمتع بها جزئيات من جزئيات وحدة معينة.

إذا تصورنا أن علاقة الوجود (أ) تنطبق على الوحدة (س) ولا تنطبق على الوحدة (ص)؛ فإن علاقة الوجود (أ) تُعدّ كلياً ضرورياً لتعريف الوحدة (س) والتفرقة بينها وبين الوحدة (ص)، ولا يمكن قبول علاقة الوجود (أ) في تعريف الوحدة (ص). ورغم أن علاقة الوجود (أ) لا تنطبق على الوحدة (ص) فإننا لا نقول إن العلاقة (أ) هي علاقة تحلية بالنسبة للوحدة (ص)؛ لأن علاقة الوجود تبقى علاقة وجود مادامت منطبقة على جميع جزئيات وحدة لغوية واحدة على الأقل.

لا يستعان بعلاقة التحلية (ب) للترقية بين الوحدة (س) والوحدة (ص) إلا إذا كانت علاقة التحلية (ب) معدومة في كل جزئيات إحدى الوجدتين وموجودة في بعض جزئيات إحدى الوجدتين.

إن علاقات الوجود وعلاقات التحلية تُسمّى العلاقات الخاصة؛ لأنها تخصّ وحدات من مجال خاص مثل علم اللغة أو علم الأحياء أو علم التاريخ. ومن طبيعة

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

العلاقات الخاصة أن تقوم بها بعض الوحدات ويكون لهذه العلاقات الخاصة في الغالب تأثير فيزيائي.

إن العلاقات العامة هي علاقات تصنيفية يقوم بها العقل للتفرقة بين وحدة وأخرى أو بين علاقة وأخرى، ومثالها علاقة التباين، وعلاقة التساوي، وعلاقة التعاند، وعلاقة العموم والخصوص المطلقين، وعلاقة العموم والخصوص من وجه، وعلاقة الكل بالجزء. وهي علاقات تصلح لكل المجالات والاختصاصات، لأنها تنطبق على الوحدات المجردة التي يتكون منها الكون (الإلكترون، البروتون، الفوتون، الذبذبات الصوتية، المغناطيس، الأرواح)، وقد شرحنا مفاهيم هذه العلاقات في دراستنا "مستقبل الدراسات الإنسانية في ضوء نظرية السبر"⁽⁷⁾.

إن علاقات الوجود التي تشترك فيها كل الوحدات في مجال معين مثل مجال اللغة- هي الكليات الذاتية التي تُعرّف بها هذه الوحدات، وسنسمّيها: علاقات الوجود المشتركة. فإذا أردنا وضع تعريف للوحدة اللغوية ذكّرنا هذه الصياغة الرياضية:
الوحدة اللغوية = الوحدة المجردة (الذبذبات الصوتية) التي تنتهي إليها الوحدة اللغوية + علاقات الوجود المشتركة.

بعد أن يتوصل الباحث المختص إلى العلاقات والوحدات المتعلقة بموضوع بحثه أو تخصصه، ويرغب في تقديم موضوعه بطريقة نظرية السبر، يُفضّل أن يقدّم الحديث عن الوحدات الأساسية، ثم علاقات الوجود التي تتصف بها هذه الوحدات الأساسية، ثم علاقات التحلية.

لقد قمنا بالإجراءات السابقة، وطبقناها على مجال اللغة، وخلصنا إلى أن الحديث عن الوحدات اللغوية هو حديث عن كل ما يمكن أن ينتج عن الذبذبات الصوتية، سواء تحول إلى وحدات مكتوبة أو بقي وحدات منطوقة، وعلى الرغم من أن الكلام يُنتج من المتكلم في سياق يتضمن متلقين في ظروف محددة فإننا لا نُعدّ المتكلم ولا المستمع وحدات لغوية؛ لأن الوحدة اللغوية مكونة من وحدة مجردة هي الذبذبات الصوتية مختلفة عن الوحدات المجردة التي يتكون منها الإنسان (وحدة الإلكترون + وحدة البروتون + وحدة الروح). ولذا فإننا نبحث في العلاقة بين الإنسان (الناطق أو المتلقي) والوحدات الصوتية (المنطوقة) باعتبارها علاقة لا باعتبارها وحدة لغوية. وإذا طبقنا مفاهيم نظرية السبر التي

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحوية والصرفية

تفرق بين الوحدة والعلاقة فإننا نستطيع أن نقول إن الوحدات اللغوية في رأي نظرية السبر لا تتجاوز الوحدات الست الآتية:

الفونيم: ونعرّفه بالمسبورات الآتية: {وحدة لغوية + يتصف زمن نطقه بأنه أقصر زمن ميكانيكي (علاقة) + لا يكون إلا صائتاً واحداً أو صامتاً واحداً (علاقة) + يمثل جزءاً من الكلمة أو المورفيم (علاقة) + يتطلب نطقه أن يُنطق مع وحدة أخرى (علاقة) + تتغير خصائص نطقه تغيراً طفيفاً بمجاورته لغيره من الوحدات فيظهر في صورة فونات (علاقة) + فوناته لا تؤثر في قيمته داخل الكلمة أو المورفيم (علاقة)}.

ولايزال المورفولوجيون يفرّقون بين الفونيم والفون، ويعتبرون الفونيم صورة ذهنية مجردة تظهر في صور حسية هي الفونات، في حين ترى نظرية السبر أن الوحدة اللغوية هي الفونيم، وأنا إذا أضفنا إلى الفونيم علاقة المجاورة مع فونيمات أخرى فإن بعض الخصائص الصوتية لهذا الفونيم تتغير، وهذا يعني أن الفون هو (فونيم + علاقة المجاورة مع فونيم آخر)، وعلى هذا فإن الفون ليس وحدة مستقلة بل هو فونيم مضاف إليه علاقة المجاورة. ومثال الفونيم عند المورفولوجيين حرف الدال في العربية، ومثال فوناته: الدالات الموجودة في كلمات (دَحَل، دِعِيل، دُحَان).

المقطع: ونعرّفه بالمسبورات الآتية: {وحدة لغوية + مكون من فونيمين أو أكثر لا يخلوان من أن يكون أحدهما صامتاً والآخر صائتاً (وحدة) + ينتج بسبب نبضة صدرية (علاقة) + لا يُعدّ علامة لغوية (علاقة) + فليس له ممثّل (علاقة) + ولا يحيل إلى موضوع (علاقة) + ولا يؤدي وظيفة إلا إذا كان مورفيمًا (علاقة) + ويقع عليه النبر (علاقة) + ويكون مورفيمًا أو كلمة أو جزءًا منهما (وحدة) + ويتأثر طوله وتوزيعه بالسياق المقالي إذ تتداخل بعض مقاطع الكلمات (علاقة) + ويمكن أن ينطق المقطع وحده (علاقة)}، ونمثّل للمقطع بقولنا إن في آية {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [سورة النحل: 128] المقاطع الآتية: {إِنَّ نَلَّ لَاهَمْ عَلَّ لَ ذِي نَتَّ تَ قَوُولَ لَ ذِي نَ هُمْ مُحَّ سِ نُونَ}.

المورفيم: ونعرّفه بالمسبورات الآتية: {وحدة لغوية + مكوّن من فونيم أو أكثر (وحدات) + مكوّن من مقطع أو أكثر (وحدات) + يمكن أن يظهر في صورة بئى متعددة (علاقة) + يحمل وظيفة واحدة أو أكثر من وظيفة أو يسهم هو وغيره في إنجاز وظيفة (علاقة) + لا يؤدي وظيفته إلا في نفس مجموعة الإسناد والمجموعة القصورية (علاقة) وقد

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

تتعدد وظائفه بتعدد مجموعات الإسناد والمجموعات القصورية المصاحبة له في سياقه (علاقة) + بعض أنواعه مستقل في النطق وبعضها متصل بغيره (علاقة) + بعض أنواعه يكون ممثلاً وبعضها لا يكون ممثلاً (علاقة) + بعض أنواعه له موضوع وبعضها لا موضوع له (علاقة) + يُختَبَر بالاستبدال للفرقة بينه وبين مورفيم آخر (علاقة) + قد يكون كلمة أو جزءاً من كلمة (علاقة) + تتمتع أجزاؤه بثبات ترتيبها (علاقة) + قد يتكون من صامت واحد أو صائت واحد أو من فونيمين أو أكثر (وحدات) + قد يقع النبر على أحد مقاطعه (علاقة) + لا يكون محذوفاً مُقدِّراً إلا إذا كان كلمة في سياق (علاقة))

ويمكننا فهم المجموعة القصورية ومجموعة الإسناد من تعريف أينشتاين للحركة، يقول: كان معروفاً عند الإغريق أن وصف حركة جسم معين يتطلب وجود جسم آخر، وهذا يعني أن نسبة حدث (حركة) لأي جسم تتطلب مراقبته من جسم آخر كأن نرصد حركة عربة ونحن على سطح الأرض، ويمكن أن تُفهم الحركة أو الحدث بالعلاقة بين نقطتين كأن نقول إن الكوكب (أ) يدور حول النجم (ب). وفي ميكانيكا جاليليو ونيوتن تُسمى النقطة المتحركة: "مجموعة الإسناد"، فالحركة والحوادث في الفيزياء القديمة لا يمكن التعبير عنها إلا بالاستعانة بفكرة مجموعة الإسناد. وقد أعاد أينشتاين النظر في هذه الفكرة ووضع مجموعتين: (مجموعة الإسناد) و(المجموعة القصورية)، فمجموعة الإسناد بالنسبة للمراقب هي المتحركة، والمجموعة القصورية بالنسبة للمراقب هي القاصرة عن الحركة أي العاجزة عن الحركة. ولكن ماذا لو كان المراقب هو المجموعة القصورية نفسها، ثم تحركت مجموعة الإسناد بخط مستقيم (ليس نحو المجموعة القصورية)، ألا يمكن أن يشعر المراقب بأن مجموعته القصورية هي المتحركة؟ إن هذه الحالة تشبه حالة حافلتين تقفان جنباً إلى جنب، وكان يعقوب ينظر من زجاج حافلته نحو الحافلة الأخرى، وفجأة تحركت الحافلة الأخرى عندئذ قد يشعر يعقوب أن حافلته هي المتحركة وليست الحافلة الأخرى، ولو كان يعقوب هو سائق حافلته لربما ارتاع من الموقف وظن أن حافلته تحركت وهو في غفلة عنها! ولأجل هذا يرى أينشتاين أن كلاً من المجموعتين بالنسبة للأخرى هي مجموعة قصورية⁽⁸⁾.

الكلمة: ونعرفه بالمسبورات الآتية: {وحدة لغوية} + مكونة من فونيمين فأكثر (وحدات) + ومقطع واحد على الأقل (وحدات) + ولا تكون مورفيمًا إلا إذا دخلت في سياق

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحوية والصرفية

وأدت وظيفة (علاقة) + لابد أن تكون علامة لغوية (علاقة) + تحيل إلى موضوع (علاقة) + وتصنع ممثلاً (علاقة) + ويتأثر معناها بالسياق (علاقة) + وتُلحظ علاقات الترادف بينها وبين سائر الكلمات بعلاقة الاستبدال (علاقة) + وتمثّل جزءاً من التركيب (علاقة) + تتصف بعض الكلمات بأنها لازمة الترتيب في التركيب ويتصف بعضها بالتنزل في مواقع مختلفة منه (علاقة) + ويمكن استقلالها في النطق (علاقة)}}

التركيب : ونعرّفه بالمسبورات الآتية: {وحدة لغوية + ما تكوّن من كلمتين فأكثر (وحدات) + تكون بين أجزائه علاقة إسناد أو تقييد (علاقة) + وينشأ عنه ممثل تقييدي أو إسنادي أو أسلوبية تتغير دلالته وفق السياق + وقد يتميز كل جزء من أجزاء التركيب بحرية الترتيب أو عدم جواز تغيير الموقع}.

ويمكن تعريف التركيب وفقاً لما سبق بالصياغة الآتية: (وحدة لغوية تنشأ من تجاوز كلمتين أو أكثر. وهذا التجاور إن كان فيه حدث لغوي صريح أو مُقدّر أصبح تركيباً إسنادياً (أو جملة) نحو (حَضَرَ زيدٌ)، وإن لم يكن فيه حدث لغوي أصبح تركيباً تقييدياً نحو (سيارةٌ واسعةٌ). فإن كانت الكلمات التي يتكون منها التركيب قابلة للتبادل في مواقعها سببي تركيباً حرّاً، وإن لم تقبل تغيير أي موقع سببي مثلاً. وينشأ عن التركيب الإسنادي ممثل نسبي الممثل الإسنادي، وينشأ عن التركيب التقييدي ممثل نسبي الممثل التقييدي، وقد يكون للتركيب ممثل أسلوبية مثل النفي والتوكيد والاستفهام ينشأ من مجموع وحداته وليس ناشئاً عن التقييد ولا الإسناد. وعلى العموم فإن الممثل التقييدي والممثل الإسنادي والممثل الأسلوبية يمكن أن يتغير بتغير السياق).

النص: ونعرّفه بالمسبورات الآتية: {وحدة لغوية + من تركيبين فأكثر (وحدات) + يتضمن التركيبان إسنادين على الأقل (علاقة) + يحقق الإسنادان ممثلاً لا يمكن حصوله إلا باجتماعهما (علاقة)}.

إن كل الظواهر اللغوية ما هي إلا علاقات خاصة تحصل في الوحدات اللغوية السببية (الفونيم، المقطع، المورفيم، الكلمة، التركيب، النص)، وما علينا سوى أن نضع تحت كل وحدة من الوحدات السببية - الظواهر (العلاقات الخاصة) التي تحصل لها، وقد تتكرر الظاهرة (العلاقة الخاصة) فتحصل في وحدتين أو أكثر.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

إن محاولة إحصاء كل الظواهر اللغوية التي تقع في الوحدات الست السابقة يحتاج إلى بحث مستقل، وجهد كبير، وتنبيش عن الظواهر المشتركة بين اللغات والظواهر الموجودة في لغات بعينها دون غيرها، ولعمري إنه مشروع يحتاج إلى وقت طويل وفريق عمل، ولأجل هذا تقدم نظرية السبر حلًا يغنينا عن ذلك ويقودنا إلى وضع أيدينا على أنواع الوحدات اللغوية الأساسية، وذلك بتصنيف العلاقات اللغوية إلى نوعين رئيسيين يساعد أحدهما على تحليل أنواع المنطوق للتوصل إلى وحداته الأساسية، ومن ثمّ نحل كثيرًا من المشكلات اللغوية سواء كانت مشكلات في المفاهيم أو التحليل.

إن العلاقات الخاصة التي تتصف بها الوحدات الست تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما:

علاقات وجود: وهي العلاقات الضرورية التي بها تتميز وحدة من الوحدات ويصح لها تعريف جامع مانع؛ وهي علاقات لا تنفك عن الوحدة بل تصحبها في كل سياق. وهذا يعني أننا لو تصوّرنا وجود أمثلة من وحدة الفونيم مثل الأصوات (ت، ح، س، ع) فإن كل مثال من هذه الأمثلة يجب أن يتصف دائمًا بالعلاقات الضرورية التي تقوم عليها ماهية المورفيم، ومن أمثلة هذه العلاقات الوجودية اتصاف الفونيمات بقبولها قانون الاستبدال، وهذه العلاقات الوجودية يمكن أن تسلم منها بعض الوحدات الست لكن لا يعقل أن تخلو منها كل الوحدات الست.

علاقات تحلية: هي علاقات لا تفتقر إليها الوحدات لإثبات وجودها، وإنما هي خصائص إضافية تترين بها أمثلة من وحدة معينة ولا تتصف بها كل أمثلة الوحدة، ومثال هذا أن اتصاف فونيم بالتفخيم لا يُعدّ علاقة وجودية بل علاقة تحلية؛ لأن التفخيم ليس سمة ملازمة لكل الفونيمات.

ويمكننا من خلال ما سبق أن نعرّف الوحدة اللغوية linguistic unit بأنها ما يمكن أن يُنطقَ وله قيمة عند جماعة لغوية، ولا يخلو من علاقة/علاقات وجود تميزه من غيره بحيث تنطبق هذه العلاقة/العلاقات على كل جزئياته ثم لا توجد هذه العلاقة/العلاقات في غيره. وقد تتميز وحدة لغوية بعلاقات وجود أخرى تشترك فيها مع نوع آخر من الوحدات اللغوية.

وإذا عدنا إلى أنواع الوحدات اللغوية الست وجدنا أنها جميعا تلتزم بعلاقات الوجود المشتركة التالية:

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحويّة والصرفيّة

1. اتصافها بأنها ذبذبات صوتية تنتمي إلى الوجود الفيزيائي والمعطيات الطبيعية والمعرفة المفارقة⁽⁹⁾.
2. اتصافها بأنها منطوقة تنتمي إلى الوجود الميكانيكي الذي يسمح لحدوث الحركة في وسط مادي⁽¹⁰⁾.
3. وقوعها في الكلام.
4. ظهورها في صورة بنية.
5. إما أن تكون جزءاً له كلُّ أو كلاً له جزء.
6. كونها مشتملة على صوامت أو صوائت.
7. اعتراف المجتمع اللغوي بها واستعماله لها.
8. اطراد خصائصها في جزئياتها.
9. استغراق نطقها زمنًا معينًا.
10. لها طول كميّ.
11. لها كليات وجزئيات، فالكليات هي الخصائص التي تشترك فيها مجموعة أفراد، والجزئيات هي كل فرد يمثل حالة متفردة مخصوصة بما لا يسمح لغيرها الاشتراك معها فيها.

و ما دامت جميع الوحدات اللغوية تلتزم بهذه العلاقات الوجودية المشتركة فإننا سنتعارف من الآن على أن قولنا (وحدة لغوية) يساوي قولنا ذبذبات صوتية (وحدة مجردة) + علاقات الوجود المشتركة}.

علينا ألا ننكر أيضًا أن بعض الوحدات الأساسية مركبة من وحدات أساسية أخرى؛ لكن هذه الوحدات الأساسية المركبة تختلف عن وحداتها الأساسية الصغرى في أن الوحدة الأساسية المركبة تتمتع بعلاقة وجود خاصة بها تنطبق على جميع جزئياتها، وهذه العلاقة الوجودية لا تنطبق على جميع جزئيات أية وحدة أخرى. ومثال هذا أن الكلمة وحدة أساسية مركبة من فونيم أو أكثر، ومن مقطع أو أكثر، ولكن كل كلمة تتمتع بقدرتها على الإحالة إلى ممثل وموضوع، وهو ما لا يتمتع به أي فونيم ولا أي مقطع. وقد يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي: إذا كانت الكلمة وحدة كبرى تتضمن وحدات أصغر منها هي الفونيم والمقطع، فلماذا لا نعتبر الفونيم هو الوحدة المجردة التي تتركب منها سائر الوحدات المركبة

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

(المقطع، المورفيم، الكلمة، التركيب، النص)؟ والجواب أن الفونيم في الحقيقة هو أيضاً وحدة مركبة من ذبذبات صوتية، ولذلك أثرتا التفرقة بين الوحدات المجردة (الإلكترون، البروتون، الفوتون، الذبذبات الصوتية، المغناطيس، الأرواح) التي تتكون منها كل المسبورات المُحدثة، والوحدات الأساسية التي يتميز بها مجال معين مثل مجال اللغة.

وأما علاقات التحلية فإنها تنطبق على بعض جزئيات وحدة أساسية ولا تنطبق على كل جزئياتها، وكذلك لا تنطبق على كل جزئيات أية وحدة أساسية. وعلاقات التحلية في اللغة كثيرة جداً تحتاج إلى معجم لإحصائها، بعضها تشترك فيه اللغات، وبعضها يوجد في لغة دون غيرها، ونمثل لها بعلاقة الاستقلال independence إذ تتميز الكلمة بإمكان أن تكون منطوقة وحدها مستقلة في وجودها الفيزيائي، وكذلك المقطع يستقل بنطقه. ومن علاقات التحلية: علاقة الجزئي Member الذي يسميه مورس Denotata⁽¹¹⁾، وهو الوحدة أو العلاقة المتعينة عند المتكلم والمخاطب بإحدى وسائل التعريف، كأن تكون عَلَمًا نحو "الأردن"، أو مُعَرَّفًا بأل العهدية الحسية أو الذهنية أو الذكرية نحو "أغلق الباب"، أو مُشَارًا إليه نحو "هذه الطريق"، فهذه التصورات جزئيات لا نسأل عنها بـ"كم" ولا "أيها" لأنها ليس لها إلا مصداق واحد. ومن علاقات التحلية: علاقة المُفَصَّل أو الفاصلة juncture وهي سكتة خفيفة بين عدة كلمات أو مقاطع بقصد تحديد مكان انتهاء الكلمة أو مكان انتهاء المقطع، ومكان بداية كلمة جديدة أو مقطع جديد. ومن علاقات التحلية: علاقة التنغيم Intonation، وهي رفع صوت جزء من الكلمة أو التركيب وخفض صوت الجزء الآخر.

المبحث الثاني: بناء المعطيات المصطلحية في المعاجم النحوية والصرفية وفق نظرية السبر: إن نوع المعطيات التي تحتاجها المصطلحات والمفاهيم في المعاجم النحوية والصرفية، وترتيب المادة المعجمية، يعتمد في النظرية السبرية على الأسس الآتية: الأساس الأول: التخلص من فتنة المصطلحات:

يهتم واضعو علم المصطلح بالتفرقة بين (المصطلح Term) و(اللفظ العام Word) و(المفهوم Concept)، فيرون أن المفهوم هو المعنى الذي يدل عليه اللفظ أو المصطلح، وأما المصطلح فيميزونه عن اللفظ بالضوابط الآتية:

"المصطلحات هي وحدات معجمية يُنظَر إلى معناها ضمن إطار مجال متخصص"⁽¹²⁾.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

لا يكون المصطلح متعدي المعنى ولا مشتركاً لفظياً ولا مشتركاً معنوياً، فأما المشترك اللفظي Homonymy فهو اتفاق كلمتين أو أكثر في النطق مع اختلاف جذرهما، ولأجل هذا قد يُكتبان في بعض اللغات بصورتين مختلفتين كما هو الحال بين الزهرة Flower والدقيق أو الطحين Flour، وقد يتفقان في الكتابة مثل rest التي تعني (يستريح) و(الباقى)، ويطلق على التشابه في الكتابة مع الاختلاف في النطق: اشتراكاً لفظياً خطئياً Homographs. وأما تعدد المعنى polysemy فهو الذي كان القدماء يسمونه المشترك اللفظي أي اللفظة التي تنتهي إلى جذر واحد لكنها تدل على معانٍ متعددة كما هو شأن كلمة (العَيْن) الدالة على النبع والجاسوس والباصرة والذهب⁽¹³⁾. وأما القدماء ففرقوا بين المشترك اللفظي والمشارك المعنوي، فقالوا عن المشترك اللفظي إنه اللفظة الدالة على غير معنى، وقالوا عن المشترك المعنوي إن له معنيين: أحدهما الجنس الذي يتساوى أفراده في الحقيقة مثل (الإنسان) فإنه موضوع لكل بشري، وهذا المفهوم الأول يسمى أيضاً المتواطئ. والمفهوم الآخر للمشارك المعنوي هو الترادف الذي يعني اشتراك كلمتين فأكثر في معنى واحد مثل السَّكِينِ والمُدِّيَةِ، واعتبر الأصوليون المشترك اللفظي من المُجْمَل⁽¹⁴⁾. ومادام المصطلح لا ينبغي أن يكون من تعدد المعنى ولا المشترك اللفظي ولا المشارك المعنوي فهذا يعني أنه ينبغي أن يتصف بالأحادية في المجال (أو التخصص أو العلم) الذي ينتمي إليه، فلا يصح في المجال الواحد أن ثمة مفهومين بلفظ واحد، ولا لفظين بمفهوم واحد. يقول ابن سيده في هذا الشأن: "اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس الذي يجب أن يكون عليه الألفاظ؛ لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر؛ فتفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس"⁽¹⁵⁾.

يتصف المصطلح في مجاله بالتردد والشيوع، فأما التردد فمعناه تكرار المصطلح في النص أو المصدر الواحد المتخصص، وأما الشيوع فيعني وجوده في مصادر أخرى من التخصص نفسه⁽¹⁶⁾.

لا بد من التفرقة بين المصطلح وأمثله، فقولنا (إن وأخواتها) مصطلح؛ لكن (إن) ليست مصطلحاً بل مثلاً من أمثلة باب (إن وأخواتها)، وقس على ذلك حروف الجر وأمثلتها، وأسماء الاستفهام وأمثلتها، وغير ذلك كثير. وقد تتفرد بعض الأدوات بوظائف متعددة لكن هذه الوظائف لا تمنح الأداة حق أن تصير مصطلحاً؛ بل تُعالج الأداة تحت كل

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

وظيفة باعتبار أن الوظيفة هي المصطلح، ومثل هذا يقال في حقّ (حتى) فإنها تكون حرف جر، وتكون حرف عطف، وتكون حرف استئناف، فتبقى (حتى) هي المثال وتبقى وظائفها هي المصطلحات.

رغم التفريق بين اللفظ العام الذي يشيع عند أهل اللغة ويهتم به المعجم، واللفظ الخاص الذي يكون له تداول ومفهوم في مجال محدد ويُعدّ مصطلحاً؛ فإنه لا يُعقل أن يوجد المصطلح في سياق يخلو من اللفظ العام، لذا فإنه لا ينبغي دراسة المصطلح في هيئة جداول أو فهارس؛ بل ينبغي دراسته في سياقاته النصية التي ورد فيها.

في علم المعلومات يختلط المصطلح بمفهوم "الموصّف" الذي يعني الوحدات اللغوية المعبرة عن مضمون مستند معين، وعلى هذا فإن الموثّق -المختص بعلم المعلومات- يهتم بوحدات لغوية أقل عددًا من تلك التي تشغل بال المصطلحي. وفي فن الترجمة يختلط المصطلح بمفهوم و"خُدة الترجمة" التي يكون معناها غير واضح أو مقابلها غير معروف، وعلى هذا فالمترجم المبتدئ سيضع قائمة طويلة من الوحدات التي لا يعرف معناها على خلاف المترجم المتمرس. أما المصطلح عند المصطلحي فهو وُحدة معجمية تنتهي إلى تخصص، تُمكّن المتخصص فيه أن ينقل المعرفة الخاصة بمجاله⁽¹⁷⁾.

إن تلك الضوابط -على الرغم من أهميتها في علم المصطلح واختيار مواد المعاجم- كانت سبباً في العناية بالمصطلحات واعتبارها مداخل للمعجم، والتقصير في المفاهيم وجعلها مجرد شروح للمصطلحات، وهذا يعني أن هناك مفاهيم كثيرة لم توضع لها مصطلحات، ولو أردنا أن نحصي كل ما يخص اللغة ونجعله في معجم لوجب أن نهتم بأربعة أصناف من الموجودات اللغوية:

كل الوحدات اللغوية.

كل علاقات الوجود التي تخص الوحدات اللغوية. ومنها الحديث عما يخص الوحدات من موضوع وممثل وعلامة ومؤؤل.

كل علاقات التحلية التي تخص الوحدات اللغوية، ومنها الحديث عن مجيء الكلمة أو التركيب على صيغة نادرة.

إن عدم وجود نظرية شمولية قادرة على إحصاء ما يخص كل وحدة لغوية- يقود واضعي المعاجم إلى الغفلة عن المفاهيم التي لها علاقة بالوحدة اللغوية التي يعالجونها، ففي

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

"المعجم المفصل في علم الصرف" -الذي وضعه راجي الأسمر وراجعه إميل بديع يعقوب - نجد عناية بالمصطلحات الصرفية المعروفة في كتب النحو والصرف وعناية بابتكار مصطلحات للمفاهيم الصرفية التي لا نجد لها مصطلحات قارة، فمن المداخل التي وردت فيه وليست مصطلحات صرفية بل مفاهيم "الدُّخُول: هو في اللغة مصدر (دَخَلَ المكانَ): صار داخله، وهو في الاصطلاح من معاني الفعل المزيد (أَفْعَلَ) نحو (أُظْلِمَ) و(فَعَّلَ) نحو (عَظَّمَّ). الدخول في الباب هو في الاصطلاح: السماعي، راجع (السماع)"⁽¹⁸⁾، ويقول في مدخل آخر "المتعدّد التقديري: هو في الاصطلاح ما كان مفردًا في الظاهر وله أجزاء متعددة نحو (أَيُّ الجسم أفضل؟) والتقدير: أي أجزاء الجسم أفضل؟ فالجسم اسم مفرد في اللفظ متعدد في التقدير"⁽¹⁹⁾. ورغم تلك الحصافة التي تمتع بها معجم راجي الأسمر وتنبيهه للمفاهيم التي غفل عنها النحويون والصرفيون من قبّله فقد فاتتُه -بسبب عدم استناده إلى نظرية تعينه على حصر هذه المفاهيم- مفاهيم وصيغ وألفاظ تتميز بظواهر صرفية، نذكر منها: الداءُ: معنى يختص بالوزن "فُعال"، نحو (سَعَلَ سُعَالًا) و(وَزَكُمَ زُكَامًا) و(مَسَى بَطْنُهُ مَسَاءً)، ويدلّ (فُعال) أيضًا على الصوت نحو (نَعَبَ الغُرَابُ نُعَابًا)، و(نَعَقَ الراعي نُعَاقًا) و(أَزَّتِ القِدْرُ أُرَازًا).

تطرّف الواو وضم ما قبلها في الأسماء: لا يكون في آخر الاسم واو قبلها ضمّ إلا إذا كان مبنياً نحو (هُو)، وأما في المعرب فلم يوجد إلا في الأسماء الستة في حال الرفع نحو (جاء أبوه). وأجازه الكوفيون في موضعين، أولهما العَلَمُ المسى باسم فعل نحو (يَدْعُو)، وثانيهما ما كان أعجمياً نحو (سَمَنَدُو) و(قَمَنَدُو).

مَفْعُولاء: هو من أوزان الممدود النادرة، ومثاله مَشْيُوخاء (جمع شيخ).

الأساس الثاني: تقسيم العلوم اللغوية ينبغي أن يبنى على أساس الوحدات اللغوية لا على أساس العلاقات؛ لأنه تقسيم مؤثر في توزيع المصطلحات على العلوم ومعرفة حدود مفاهيمها:

لا بد لواضع المعجم أن يحدد مجال اختصاصه، فيقتصر على العناية بالمصطلحات والمفاهيم والأشكال والمواد والعناصر التي تخص علمًا معينًا أو فرعًا معرفيًا محدّدًا، ويواجه المجال اللغوي إشكالًا في منطلق التقسيم الذي بُني عليه تقسيم العلوم اللغوية وفروعها، وذلك لتأثر هذا التقسيم بنظريات متعددة ومدارس مختلفة، ففي

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحوية والصرفية

مستوى النظرية التداولية فرّق تشارلز مورس بين ثلاثة أبعاد للسيميوزيس ينتج عنها ثلاثة علوم، أولها علاقة العلامة بالموضوع الذي تُجِيل إليه وهذا يهتم به علم دلالة الألفاظ Semantics، وثانيها علاقة العلامة بمستعملي اللغة وهذا تهتم به التداولية Pragmatics، وثالثها علاقة العلامة اللغوية بالعلامة اللغوية وهذا يهتم به علم التراكيب Syntactics، وقد خصّص مورس لكل علم من تلك العلوم فعلاً يُعبّر عنه، فالفعل "يقْتَضِي" Implicates من اختصاص 'D syn' [البعد التركيبي]، والفعالان "يُعيّن" Designates و"يُجِيل إلى" Denotes من اختصاص "D sem" [علم دلالة الألفاظ]، والفعال "يُعبّر" Expresses من اختصاص "D p" [التداولية]⁽²⁰⁾.

إن كلمة "يقْتَضِي" implicate في حديث تشارلز مورس بمعنى (يُكْتَبِي)، والكناية تعني اللفظ الذي يقْتَضِي ظاهره معنى خفياً، وهذا يعني أن المعنى الظاهر للتركيب هو الذي يقود إلى المعنى المقتضى، ولأجل ذلك جعله مورس من اختصاص علم التركيب. وقد اهتم التداوليون بالمقتضى أو المسكوت عنه أو الضمني، وجعلوه مقابلاً للمصرح به، ويمكننا أن نجعل له مفهوماً أكثر تحديداً بالنظر إليه من المستوى الفكري الحضاري، والمستوى الأدبي، والمستوى البنيوي، فالمسكوت عنه من جانب الباحث في المستوى الحضاري والفكري هو عدم الخوض في حقول معرفية بعينها، بل انتقاء جوانب معرفية واستبعاد أخرى بقصد التهميش؛ مع تحاشي الولوج في المحظور Taboo. والمسكوت عنه في المستوى الأدبي هو معاني يُلمَح إليها المتكلم يمكن أن يعرفها المؤوّل لأن الكلام يحتملها، فضلاً على معان يتلطف المتكلم في طرقها بألفاظ غير مباشرة، ومعان مكبوتة مثل السر والوجد. وأما المسكوت عنه في المستوى البنيوي فيشمل الوسائل اللغوية التي تتيح حذف جزء من التركيب، ووسائل الإيجاز، فتكون المعاني أوسع من دلالة العبارة، ومن الوسائل الإطناب بهدف التعمية. والقاسم المشترك بين تلك المستويات أن المسكوت عنه خطاب بلا نص، وغائب حاضر⁽²¹⁾.

تحدثت جاكلين فيسيار عن المؤتمر الأول لعلوم الأصوات عام 1932 في أمستردام، وقالت إنه مؤتمر يحضره دورياً علماء الصّوآتة (Phonology)، والصوتيات (Phonetics)، واللهجات، واللسانيات النفسية، والنفسانيون التجريبيون، ومهندسو التواصل الكلامي والمعالجة الأوتوماتيكية للكلام، واختصاصيو الأذن والأنف والحنجرة، والأطباء الأصواتيون،

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

ومعالجو الصوت، واختصاصيو تصحيح النطق، واختصاصيو اكتساب اللغة الأم، واختصاصيو تعلم اللغة الثانية، ومدرسو الغناء والإلقاء⁽²²⁾.

ثم تحدثت في الفصل الثاني⁽²³⁾ عن فروع الصوتيات فقالت إن علوم اللغة تسعى إلى دراسة كل معرفة تتعلق بالظواهر اللغوية مع دراسة الاستعمالات وسلوك المستعملين، وقد ظلت الصوتيات النطقية حتى القرن التاسع عشر وصفية (تصف الأصوات وتمثيلاتها) تصنيفية (تقسمها إلى أنواع وفق خصائصها) ولم تكن تفسيرية، وفي منتصف القرن التاسع عشر نشأت الصوتيات التجريبية فصارت تنظر نظرة العلوم الطبيعية إلى وصف الأصوات على أنه ليس إلا مرحلة أولى من مراحل البحث، فوقع الاهتمام بتفسير التعابير الصوتية انطلاقاً من تجارب علمية يمكن تكرارها بأدوات متطورة أو إحصاءات في قواعد بيانات كبيرة، وأما الجانب التطبيقي فهو يدخل في وضع معايير تلفظ النصوص المقدسة، والمساعدة في تعلم لغة ثانية، وتعرّف الصوت المسجل في التحريات القضائية، والتقانة الصوتية ومساعدة المعوقين، والمجال السريري. وتُعدّ الصوتيات (Phonetics) معارف ضرورية لعلم السمع، وعلم النفس التجريبي، والتقانة الصوتية، ومعالجة الإشارة الكلامية، وتتفرع من الصوتيات العلوم الآتية:

الصوتيات العامة وهي تبحث عن الاتجاهات الصوتية العامة في اللغات وطريقة اكتساب اللغة الأم مستعينة بقواعد تصنيفية.

الصوتيات النطقية والفيزيولوجية وهي قريبة من علم التشريح والفيزيولوجيا إذ تدرس إنتاج الكلام وأعضاء التصويت.

الصوتيات الإدراكية (الاستماعية) وهي قريبة من الفيزيولوجيا واللسانيات النفسية وعلم النفس والسمعيات النفسية إذ تهتم باستقبال أصوات الكلام عبر الجهاز السمعي لتعرّفها وتسهم في وضع المقاييس السمعية.

الصوتيات السمعية وهي قريبة من الفيزياء والديناميكية الهوائية إذ تدرس الخصائص السمعية للأصوات.

علم النحو الصوتي، وهو يدرس الروابط بين النغمية والتراكيب.

الأسلوبيات الصوتية، وهي تدرس القيم التعبيرية للغة التي تعبر عنها أصوات الكلمة وصوت الشاعر والممثل والسياسي، وتدرس الوظيفة التعريفية التي تميز الأصل

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

الاجتماعي للمتكلم وعمره وشخصيته، وتدرس الوظيفة التعبيرية (التعبير عن المواقف الشخصية بين الأشخاص)، والوظيفة الندائية (ما يسهم في إثارة مشاعر المستمع مثل تعاطفه).

الصوتيات النفسية، وهي تدرس الأحاسيس التي تثيرها الأصوات مثل أن يُدكر صوتٌ معين باللون الأصفر، وتُشعر الصوت r بالذكورية أكثر من الصوت l. صوتيات تقويم النطق لإعادة التأهيل.

الصوتيات التعليمية لتقديم أساليب تصحيح النطق عند الأطفال ومن يتعلم لغة ثانية. الصوتيات التطورية، وهي قريبة من اللسانيات النفسية إذ تهتم بردود أفعال الجنين على مختلف المحفزات الصوتية، وبعمليات إدراك وإنتاج الميزات المقطعية والنطقية للغة الأم عند الوليد ثم الطفل الأحادي اللغة أو الثنائي اللغة.

التقانة الصوتية لدراسة التوليف، وتعريف الكلام آلياً، والحوار بين الإنسان والآلة، وتعرف الحاسوب المتكلم ولغته مستعينة باختصاصيين في التواصل الكلامي، والنماذج الإحصائية، والمقاربات التحليلية، وإحلال التوليف بالتسلسل المنطقي محل التوليف بالجزئات المكونة، وهذا الفرع التخصصي يتطلب معرفة بمعالجة الإشارة والإحصاءات والفوناتيك، وقل من يجيد هذه المعارف الثلاثة.

الصوتيات الإحصائية أو الحاسوبية، وهي تحتل مكاناً مرموقاً في التقانة الصوتية، وتعتمد على المردود الوظيفي للتقانات الفونيمية وللعميات الصرفية، وتسمح ذاكرة الحواسيب بتخزين هائل للمدونات الكلامية، ويستعان بها في توثيق اللغات الوطنية واللغات التي يخشى انقراضها.

وكان سوسور من قبيلٍ قد حدّد الفرق بين الغاية من العناية باللغة عند اللسانيين والغاية من العناية بها عند علماء العلوم الأخرى، فذكر أن علم اللغة العام يدرس جميع مظاهر الكلام وجميع اللغات سواء كانت لغات المجتمعات المدنية أو لغات المجتمعات البدائية أو لغات العهد الكلاسيكي أو اللغات المنمقة أو اللغات المكتوبة، ويتتبع تاريخ اللغات ويحاول الوصول إلى اللغة الأم ليحدد القواعد العامة التي يخضع لها تطور اللغات، ويدرس علم اللغة الملكة القادرة على إنتاج الكلام وإنتاج اللغة، ويهتم بالأفكار لأنها الجانب النفسي للكلام، وبالصور الصوتية (المنطوقة والمسموعة) لأنها الجانب الفسيولوجي للكلام،

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

والموجات لأنها الجانب الفيزيائي للكلام. فعلم اللغة يجعل اللغة منطلقه وغايته، فهو يبدأ منها ليستطيع وصفها ويفهم قواعد تطورها، على حين تهتم علوم أخرى باللغة باعتبارها إحدى الوسائل لتحقيق أهداف أخرى ليست لغوية، ومثال هذا أن علم دراسة الأجناس البشرية (Ethnography) وعلم ما قبل التاريخ (Prehistory) يَستعملان اللغة أداة لتدوين الحقائق، وتهتم الأنثروبولوجيا باللغة في دراسة السلالات البشرية والمجتمعات البشرية، والكلام نفسه ينطبق على علم النفس وعلم الاجتماع والنحو المعياري وفقه اللغة والنقد الأدبي⁽²⁴⁾.

أردنا من عرض كلام مورس وسوسور وجاكلين أن نؤكد على الصلة الوثيقة بين العلوم اللغوية والعلوم الأخرى، وأن نبين في الوقت نفسه أن جاكلين نفسها -المختصة بالصوتيات- وهي تحدثنا عن فروع الصوتيات ترددت في التفرقة بين بعض العلوم، فهي تقول إن الصوتيات النطقية والفيزيولوجية قريبة من علم التشريح والفيزيولوجيا، وتقول إن الصوتيات الإدراكية (الاستماعية) قريبة من الفيزيولوجيا واللسانيات النفسية وعلم النفس والسمعيات النفسية، وتقول إن الصوتيات السمعية قريبة من الفيزياء والديناميكية الهوائية، وتقول إن الصوتيات التطورية قريبة من اللسانيات النفسية. ورأي أن عدم القدرة على معرفة الحدود بين العلوم مرجعه إلى عدم الاتفاق على قواعد منهجية قادرة على ضبط العلوم، وعدم السماح بتشعيبها إلا وفق ضوابط واضحة تجنّب اللبس بين اختصاصات كل علم وآخر، وهذا الأمر يسبب للمعجمي صعوبة تمييز المصطلحات التي تخص المجال الذي يريد وضع معجم فيه، وأرى -في ضوء نظرية السبر ونقاشنا في المعاجم- أنه يمكننا اقتراح الضوابط الآتية:

لا يخلو أي علم من وجود وحدات وعلاقات، والملاحظ أن الوحدات يسهل حصرها في حين تتعدد العلاقات إلى مئات الأنواع، ولأجل هذا فإنه ينبغي تفريع العلوم وفق الوحدات لا العلاقات، وهذا يعني أنه ينبغي لنا في تخصص علوم اللغة أن نضع معجمًا لكل الظواهر (أو العلاقات) ذات الصلة بالفونيم، ومعجمًا للعلاقات أو الظواهر ذات الصلة بالمقطع، ومعجمًا للعلاقات أو الظواهر ذات الصلة بالمورفيم، ومعجمًا للظواهر أو العلاقات ذات الصلة بالكلمة، ومعجمًا للظواهر أو العلاقات ذات الصلة بالتركيب، ومعجمًا للظواهر

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

أو العلاقات ذات الصلة بالنص، وهذا يعني أن مجالات فروع اللغة هي ستة بحسب الوحدات الست، وأن لكل مجال معجمًا يحوي قائمة العلاقات التي تخص وحدته.

إن العلاقات التي تخص وحدة معينة مثل الفونيم ينبغي أن تكون كل العلاقات التي يتأثر بها الفونيم أو يؤثر فيها، سواء كانت هذه العلاقات مما وصل إليه اللغويون أو توصل إليه اختصاصيون من علوم أخرى. وهذا يعني أن على المعجمي أن يكون مطلعًا بالأبحاث المتعلقة بالعلوم البينية حين يريد وضع معجم لوحدة معينة. وفي هذا خطوة لتوحيد المصطلحات التي تدل على مفهوم واحد وكان سبب تعددها هو تعدد العلوم والنظريات والمدارس التي أفرزت هذه المصطلحات.

ولو أردنا وضع معجم نحوي، واعتقدنا بأن المستوى النحوي معني بدراسة العلاقات التي تحصل على مستوى التركيب، وأخذنا بأسس نظرية السبر التي شرحناها في المبحث الأول؛ فإن هذا يقتضي دراسة كل العلاقات التي تحصل في أية وحدة لغوية مادامت هذه العلاقة مؤثرة في التركيب، ولأجل هذا ينبغي مراعاة الفروق الآتية:

ثمة فرق بين العلاقة التي تقع على الفونيم ولا تؤثر في التركيب، والعلاقة التي تقع على الفونيم وتؤثر في التركيب، فمثال العلاقة الأولى أن يقال عن الواو في (وكلا) في قوله تعالى {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا} [سورة البقرة: 35] إنها من الناحية الفونيتيكية والفونولوجية: شبه صائت، ومثال العلاقة الأخرى أن يقال عن هذه الواو إنها من الناحية المورفولوجية مورفيم دال على العطف مطلقًا أي الإباحة بالأكل والسكن دون الدلالة على التعقيب، لأنه جاء في سياق لم يُفصل فيه حوار الجدل بين إبليس والله على خلاف سورة الأعراف التي أظهرت المراء الطويل من إبليس حتى سخط الله عليه فقال {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} [سورة الأعراف: 19] فمطالبة الله لأدم بالمبادرة إلى الأكل بعد دخول الجنة هنا نكاية بإبليس، وإمعان في بيان النعمة مقابل الشكر، وبيان الحرمان مقابل الكفر⁽²⁵⁾.

ثمة فرق بين العلاقة التي تقع على المقطع ولا تؤثر في التركيب، والعلاقة التي تقع على المقطع وتؤثر في التركيب، فمثال الأولى أن يقال إن للمقطع ثلاثة أجزاء في العادة هي الاستئناف والقمة والذيل، ومثال الأخرى أن يقال إن المقطع (ع) في (ع كلامي) دال على فعل الأمر الموجه إلى المفرد المذكور المخاطب⁽²⁶⁾.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

ثمة فرق بين العلاقة التي تقع على المورفيم ولا تؤثر في التركيب، والعلاقة التي تقع على المورفيم وتؤثر في التركيب، ومثال الأولى أن يقال إن الفرق بين المورفيم (أَنْ) و(إِنْ) هو صائت الفتح في الأول وصائت الكسر في الآخر. ومثال الأخرى أن يقال إن الآية الثانية من المائدة {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا} قُرئت بقراءة أخرى بذكر (إِنْ) بدلاً من (أَنْ)، فعلى القراءة ب(إِنْ) تكون شرطية، فجملة الشرط (صدوكم)، وجملة الجواب (لا يجرمنكم). وعلى القراءة ب(أَنْ) يكون المصدر المؤول (أَنْ صَدُّوكُمْ) في محل نصب لأنه مفعول لأجله⁽²⁷⁾.

ثمة فرق بين العلاقة التي تقع على الكلمة ولا تؤثر في التركيب، والعلاقة التي تقع على الكلمة وتؤثر في التركيب، فمثال الأولى أن يقال إن الفعل مشتق من المصدر، ومثال الأخرى أن يقال إن الفعل إما أن يدل على الماضي أو الحاضر أو المستقبل⁽²⁸⁾.

من الفروق السابقة يمكن لنظرية السبر أن تصل إلى تعريف لعلم النحو (أو علم التراكيب) وهو العلم الذي يُعنى بالعلاقات (الظواهر اللغوية) التي تحدث في الفونيم أو المقطع أو المورفيم أو الكلمة، وتؤثر في خصائص التركيب ووظائفه.

الأساس الثالث: الأخذ بالمنحى الموسوعي في مداخل المعجم الخاصة بالمصطلحات المشكلة المفهوم، وعرض مفاهيمها المشكلة بتقديم ما يتصل بها من مصطلحات أخرى من الأقل تشعباً في صلته بالعلاقات إلى الأكثر تشعباً:

يختلف بنك المعلومات عن المعجم والموسوعة في أنه يبحث عن معنى المصطلح في مجالات وعلوم متعددة؛ كأن يبحث عن معنى الشجرة في اللغة ثم في الأحياء ثم في علم الأنساب، في حين يقتصر المعجم والموسوعة على المصطلحات التي يتعارف على دلالتها مختصون في مجال واحد فيجعلان لكل مصطلح مدخلاً، وتختلف المعاجم عن الموسوعات في أنها تقدم تعريفاً مختصراً لكل مدخل من مداخلها، في حين تسعى الموسوعة إلى حشد أكبر قدر من المعرفة المتعلقة بالمدخل من علماء ونظريات ومدارس مختلفة تنتهي إلى المجال الذي تعالجه. ونحن نرى أن الباحث النحوي لا غنى له عن الأسلوب المعجمي حين يرغب في معرفة مفهوم مصطلح نحوي جديد فهماً مختصراً استقر عليه الباحثون النحويون، وهو - أي الباحث النحوي - لا غنى له من جانب آخر عن التفصيل الموسوعي للمصطلحات الشائكة التي لا تزال تثير جدلاً واسعاً بين المختصين في المورفولوجيا والتركيب.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

إن الخلاف الكبير بين العلماء في تعريف بعض المصطلحات ومعرفة حدود بعض المفاهيم- أمر ناتج عن قيام كل عالم بالنظر إلى المصطلح من زاوية واحدة أو عدة زوايا لا تمثل كل علاقات الوجود التي تتمثله، الأمر الذي يجعله مفهومه ملتبساً بمفهوم مصطلح آخر، أو يجعل مفهومه ناقصاً، وبعبارة أخرى: يتسبب قصور نظر العالم في أن يصير التعريف غير مانع ولا جامع، وما قد يبدو بدهياً أو متفقاً عليه عند العلماء الذين لا يوسعون مدارك نظرهم- يصير مُشكلاً من منظور السير. ولعله من الجيد أن نطرح إحدى الإشكالات الكبرى التي كانت ولا تزال تؤرق البحث النحوي، وهي إشكال تعريف الجملة؛ لنقف على حقيقة هذه القضية وكيف تتعامل معها نظرية السير، ويكون هذا التفصيل الذي نقدّمه أنموذجاً للأسلوب الموسوعي الذي لا غنى عنه في المعاجم النحوية والصرفية حين يراد منها تعريف مصطلحاتٍ مُشكّلة.

في كتاب "الجملة في الدرس اللغوي العربي الحديث" استعرض مسعود الحديدي الخلافات الطويلة الدائرة بين النحويين واللغويين-العرب والغربيين- في مفهوم الجملة، وقد لاحظنا في طرحهم الأمور التالية:

اشتغل أغلب هؤلاء العلماء بعناصر الإسناد، ولم يُولوا للكلمة والمورفيم عناية، وقد رأينا الإشكالات التي يواجهها مفهوم الكلمة ومفهوم المورفيم، فكيف لنا أن نتحدث عن مفهوم الجملة ولمّا نحلّ مشكلة مفاهيم أجزاء الجملة: الكلمة والمورفيم؟! اهتم كثير من النحويين بالمعنى الذي يحسن السكوت عليه أو يحقق فائدة السامع، فجعلوه حدّاً في تعريف الجملة أو الكلام، على الرغم من أن عبارة (ما يحسن السكوت عليه) وعبارة (ما يفيد المستمع) غير علمية؛ لأنهما مقياس ذوقي يتكئ على ذائقة المتلقي ويتأثر باختلاف ذوائق المتلقين وقدراتهم الذهنية على التمييز بين ما يحسن السكوت عليه وما لا يحسن السكوت عليه؛ أو بين ما يفيد وما لا يفيد، ولا يتكئ هذا المقياس الذوقي على عناصر يمكن للجميع ملاحظتها والاتفاق على أنها كفيلة بالقبض على الجملة وتمييزها وسط النصوص.

إن تعريف الجملة بأنها ما تكوّن من مسند ومسند إليه وإسناد، أو تعريفها على طريقة المناطقية بأنها قضية يراد فيها إثبات حكم لشيء أو نفيه عنه أو ما تكوّن من موضوع ومحمول- كلها تعريف لا يحل مشكلة مفهوم الجملة؛ لأن (الإسناد) و(الحكم لشيء)

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

و(النسبة) و(القضية) مصطلحات يلتبس مفهومها بمفاهيم أخرى؛ إذ من حقنا أن نسأل ما الفرق بين النسبة التي بين الصفة والموصوف في نحو (زيدٌ الكريمُ) والنسبة التي بين المبتدأ والخبر في نحو (زيدٌ كريمٌ)؛ علمًا أن العرب يمكن أن تقول (زيدٌ الكريمُ) بِنَيْةٍ أن (الكريمُ) حَبْرٌ ل(زيدٌ)؟ أليس إبراهيم أنيس قد قال إن في (النار المحرقة) موضوعًا ومحمولًا؟!

إن هناك أنواعًا من التركيبات التقييدية لا تخلو من وجود نسبة بين عنصرين، وهي: التركيب التقييدي الوصفي نحو (سيارة واسعة).

التركيب التقييدي الموصولي نحو (السيدة التي رضي الله عنها).

التركيب التقييدي الظرفي (أمام المركز).

التركيب التقييدي الإضافي (بيتٌ عامر).

التركيب التقييدي الحر نحو (محمد في)، و(محمد الذي)، و(إن الظالمون).

فكيف لنا أن نفرق بين النسبة التي بين المسند والمسند إليه وسائر النَّسَب الموجودة في هذه التركيبات التقييدية؟ إننا محتاجون إلى فكٍّ لغز (الإسناد) بتقديم عناصر لغوية واضحة تُعدّ معيارًا علميًا دقيقًا يمكن تطبيقه على مختلف التركيبات للتمييز بين ما هو إسناد وما ليس إسنادًا. وهذه العناصر التي ننشد توضيحها لا يمكن أن تتكل على الشكل وحده كأن يقال: إن الجملة اجتماع اسمين أو فعل واسم! على طريقة الرماني، أو يقال إن الجملة هي نمط شكلي كما ذهب بلومفيلد.

من الواضح أننا أمام أزمة حقيقية لا يكاد يسلم منها نحوي، وأرى أن هذه الأزمة

لا يمكن أن تُحلَّ إلا بالإجراءات الآتية:

الإجراء الأول: أن نحل مشكلة مفهوم الكلمة والمورفيم، ونعرّف كل الوحدات اللغوية التي تتركب منها الجملة تعريفًا علميًا دقيقًا قائمًا على منهجية واضحة في التعامل مع مصطلحات العلوم ومفاهيمها. وقد فعلنا ذلك في المبحث السابق.

الإجراء الثاني: أن نقدّم تصوّرًا علميًا واضحًا يفرّق بين (النسبة التقييدية) و(النسبة الإسنادية)، وهذا التصور محتاج إلى توضيح مجموعة مفاهيم قبل الوصول إلى فكرة النسبة ونوعها: التقييدي والإسنادي. ولأجل ذلك أقترح أن نسير وفق التسلسل الآتي للمفاهيم التي توصلنا إلى فهم واضح للجملة:

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

التقدير **estimation**: هو الممثل **interpretant** الذي يحصل عليه متلقي التركيب من الجمع بين الوحدات المنطوقة والوحدات المقدّرة المحذوفة.

الحَدَث اللغوي linguistic act: هو العلاقة بين مجموعة إسناد ومجموعة قصورية بالنسبة لمراقب، ويُعبّر عنه في اللغة المصدرُ واسمُ المصدر، وتكون دلالة الحدث اللغوي جزءًا من دلالة الفعل والمشتقات. وعلينا أن نفرق بين الحدث المنسوب لمجموعة إسناد يستغرق حصوله زمنًا طبيعيًا نحو قولك (كَتَبَ زيادٌ) و(أضاربُ أنتَ عمرًا) فهاتان الجملتان تدلان على أن حدث الكتابة المنسوب لزياد وحدث الضرب المنسوب للمخاطب يقتضي حصولهما مدّة زمنية؛ في حين أن الحدث الثابت المنسوب إلى مجموعة قصور يدل على اتصاف الذات به قبل نطق الكلام نحو (جاء زيد القاتل)، فلفظة (القاتل) لا تدل على حدث متحرك في زمن؛ بل تدل على صفة كانت لصيقة بالذات قبل نطق العبارة.

التقييد Bound: هو تخصيص الإسناد الذي بين المسند والمسند إليه بأية وظيفة أخرى، مثل تخصيصه بظرف أو حال أو مفعول به أو مفعول لأجله أو مفعول معه أو جارٍ ومجرور. ويشمل التقييد أيضًا تخصيص اسم الجنس بنعت أو ظرف أو نحو ذلك. الوصف: علاقة بين كلمتين بحيث تكون إحدهما موضوعًا، والثانية علاقةً اكتسبها الموضوع.

الظرفية: علاقة تجعل وحدة أو علاقة حالة داخل وحدة أخرى.

الإسناد ratio: قيام وحدة أو مجموعة وحداتٍ بحدّثٍ صراحةً أو تقديرًا؛ على أن تكون هذه الوحدة مجموعة إسناد مقابل مجموعة قصور بالنسبة لمراقب. ويأتي في صور مختلفة تمثل لها بما يلي:

في قولك (زيد طالبٌ) قامت الوحدة (زيد) بحدّث الكينونة المقدّر بكلمة (كائنٌ). في قولك (ماتت الأفعى) لم يكن للأفعى حقيقة خيار الموت؛ وإنما قيامها على سبيل التقدير. في قوله تعالى {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ} قامت الوحدات الموجودة في (أن تصوموا) بحدّث الكينونة المقدّر.

في قولك (كَتَبَ القاضي) قام القاضي صراحةً بحدّث الكتابة.

(سبحان الله): قام (الله) بحدّث التقدّس، فكأن التقدير (تَقَدَّسَ اللهُ).

(حبذا العمل!): قام (العمل!) بحدّث الكينونة وهو الحُسْنُ تقديرًا وكأن المعنى (حَسُنَ الْعَمَلُ).

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحويّة والصرفيّة

وبهذه التقديرات نُلغى فكرة وجود جملة إسنادية وجملة غير إسنادية، ونُعَدّ الإسناد مفهوماً يتحقق باللفظ الصريح أو بتقدير اللفظ إلى معنى يدل على قيام وحدة بفعل، ونفهم من هذا أن الجملة الفعلية هي سيّدة الإسناد، وهي التركيبُ الأصلُ للإسناد؛ لأنها تحمل معنى الإسناد صراحة، وما الجملة الاسمية وغيرها من التراكيب التي وصفها النحويون بقولهم (ما يحسن السكوت عليه) إلا تركيبٌ فَرَعٌ للإسناد لأنه محتاج إلى تقدير. ولعل ما يُعزّز هذا التعريف للجملة أن الجملة التي نَظَن نحن العرب أنها بلا فعل نجدها بأفعال مساعدة to be verbs في اللغات الهندوأوروبية، ولعل في تقدير النحاة لجملة النداء بأن لها فعلاً محذوفاً تقديره (أنادي) أو (أدعو) ما يشير إلى شعورهم بحاجة الجملة إلى حدث لغوي، وكذلك تقديرهم للخبر في مثل (زيد في البيت) بأنه استقر أو مستقر. وفي القرآن الكريم نجد في قوله تعالى {لعل الساعة تكون قريباً} تلميحاً إلى ضرورة أن تتضمن الجملة حدثاً لغوياً صراحةً أو تقديرًا.

التركيب التقييدي Bound Combination: هو التركيب الذي يحصل نتيجة اجتماع كلمتين فأكثر دون أن يتحقق فيهما الإسناد، وقد مثلنا لأنواعه سابقاً.

المسند reference: هو الوحدة اللغوية أو الوحدات اللغوية التي تحمل الحدث الذي قام به المسند إليه حَمَلًا صريحًا أو مُقَدَّرًا.

المسند إليه predicate: الوحدة اللغوية أو الوحدات اللغوية التي تقوم بالحدث صراحةً أو تقديرًا.

التركيب الإسنادي أو الجملة sentence: هي التركيب الذي وُجِدَ فيه إسناد صريح أو مُقَدَّر سواء وُجِدَ فيه المسند والمسند إليه كلاهما ملفوظين، أو كان أحدهما محذوفًا يمكن تقديره في سياق الكلام.

الأساس الرابع: النظر إلى الوحدة الواحدة من علاقات مختلفة ليسهل تقسيم أنواعها من زوايا عدة، وتخصيص مدخل في المعجم لكل نوع:

حين يتفرع المصطلح النحوي والصرفي إلى أنواع، وتشيع هذه الأنواع في كتب النحويين؛ فإنه لا مفرّ من أن يكون لكل نوع مدخل في المعجم يقدّم مفهومه، وهذه ليست مشكلة، وإنما المشكلة مطروحة في السؤال الآتي: كيف يمكن تحديد أقسام مصطلح معين إذا كان الباحثون النحويون يختلفون في هذه الأقسام اختلافًا لا يستند إلى مقارنة علمية

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

تفرض أسسها المنهجية عند النظر في زوايا التقسيم؟ فهل يعرض المعجني كل الأفكار التي اقترحها النحويون لأقسام المصطلح الذي يودّ تقديمه في أحد مداخل معجمه؟ أو يختار التقسيم الشائع على علّاته؟ أو ماذا يفعل؟

من وجهة النظرة السبرية نقول: إن أيّ تقسيم لا يخلو من أن يكون هدفه تقسيم وحدة أو تقسيم علاقة، فإن كان هدفه معرفة أنواع الوحدات الأساسية فإنه لا بد أن ينظر من منظار علاقات الوجود لأنها هي التي تميّز الوحدات الأساسية بعضها من بعض، وإن كان هدفه معرفة أقسام إحدى الوحدات الأساسية فإنه ينبغي أن يختار إحدى علاقات التحلية ليتوصل إلى هذه الأقسام. فعلى سبيل التمثيل قسّمنا الوحدات اللغوية الأساسية إلى ست وحدات هي (الفونيم، المقطع، المورفيم، الكلمة، التركيب، النص) على أساس أن كل وحدة من هذه الوحدات الست لا تخلو من علاقة وجود تنفرد بها من سائر الوحدات الأخرى الأساسية، فإذا أردنا تقسيم وحدة التركيب وجب أن ننظر من خلال إحدى علاقات التحلية، وهذا يعني أن كل علاقة تحلية تمثل زاوية نظر نقسم من خلالها التركيب إلى أقسام مختلفة، ثم يمكننا تفرّيع القسم الواحد إلى أقسام أصغر بالنظر إلى علاقة تحلية أخرى؛ كما يظهر فيما يلي:

الزاوية الأولى في تقسيم التركيب: ينقسم التركيب من حيث دلالاته على الحدث أو عدمها إلى نوعين:

1- التركيب الإسنادي (الجملة): هو التركيب الذي يدل على قيام وحدة أو مجموعة وحدات بحدث دلالة صريحة أو مقدّرة؛ على أن يكون هذا الحدث مستغرقاً زمنياً طبيعياً، نحو قولك (كُتِبَ زيادٌ) و(أضاربُ أنتَ عمرًا) فهاتان الجملتان تدلان على أن حدث الكتابة المنسوب لزياد وحدث الضرب المنسوب للمخاطب يقتضي حصولهما مدّةً زمنية؛ في حين أن الحدث الثابت المنسوب إلى ذات أو وحدة هو الحدث الذي تتصف به الذات قبل نطق الكلام، نحو (جاء زيد القاتل)، فلفظة (القاتل) لا تدل على حدث متحرك في زمن بل تدل على صفة كانت لصيقة بالذات (زيد) قبل نطق العبارة.

وتنقسم الجملة إلى قسمين بحسب إمكان استبدال عناصرها:

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحوية والصرفية

الجملة الحرة free sentence يُسَمَّح عرفاً وفيزيائياً لعناصرها تغيير ترتيب كلماتها أو استبدالها وإن كان المعنى يتغير، مثل أن تقول (قام زيد)، ثم تقول (زيدٌ قام)، ثم تقول (قام سالم).

المثل idiom يجب أن يُحكى دائماً كما سُمِعَ نحو (وافقَ شَنْ طبقة)، فلا يقبل استبدال كلماته ولا تغيير ترتيبها عُرْفاً لا فيزياءً. وأنا هنا أتحدث عن الأمثال التي يُشترط فيها وجود الإسناد.

العبارة المحنطة⁽²⁹⁾: هي جملة بعض عناصرها قابلة للاستبدال، وبعضها غير قابل للاستبدال، ومثالها:

* أْبْرَحْتُ رَبًّا: ومعناه (أَيَّ أَبٍ كُنْتُ أَعْتَرُ بِهِ!)، فهو ثناء، ويمكن أن تقول (أْبْرَحْتُ جَارًا!) فنلاحظ أن عنصر (أبرحت) ثابت، وعنصر (ربًّا، جارًّا، ابنًا...) متحرك.

* أْبَلَك: معناه (أبعدك الله وأهلكك)، فيمكن أن تغير الضمير فتقول: (أَبَك، أَبَكَم، أَبَكَمَا) لكن عنصر (أَبَ) يثبت.

* أْرَب: معناه (سقطت آرابه أي أعضاؤه)، وهو كناية عن الشخص الذي لا أهل له ولا معين، ويمكن أن تقول: (أْرَبْتُ، أْرَبُوا، أْرَبْتُمْ).

المتلازمات اللفظية⁽³⁰⁾ إذا كانت جُمْلًا: وهي كلمات يستدعي ذكر بعضها تذكُّرًا ما تبقى، وتكون باختيار جماعي، وقد تصنع صورًا ذهنية متعددة أو واحدة، وهي قد تكون جملاً مثل: الطيور على أشكالها.

2- التركيب التقييدي: التركيب التقييدي Bound Combination: هو التركيب الذي لا يدل على قيام وحدة بحدوث، فهو تركيب ينشأ من اجتماع كلمتين فأكثر دون أن يتحقق فيهما الإسناد، ومن أمثله:

التركيب التقييدي الوصفي نحو (سيارة واسعة).

التركيب التقييدي الموصولي نحو (السيدة التي رضي الله عنها).

التركيب التقييدي الظرفي (أمام المركز).

التركيب التقييدي الإضافي (بيتٌ عامر).

التركيب التقييدي الحر نحو (محمد في)، و(محمد الذي)، و(إن الظالمون)، فهو مجرد صف لبعض الكلمات دون تحقيق معنى وظيفي.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

والتركيب التقييدي قد يكون من المتلازمات اللفظية نحو (رغيف الخبز).
الزاوية الثانية في تقسيم التركيب: ينقسم التركيب من حيث عدد الصور الذهنية التي يدل عليها إلى:

1- ما دل على صورة ذهنية واحدة، وهو نوعان:

النوع الأول: المُركَّب compound: هو العَلَم المركب من كلمتين فأكثر باختيار فردي، ويأتي على أشكال بنيوية مختلفة مثل:

المركب المزجي: هو العَلَم الذي تُعَيَّر فيه أصوات بعض كلماته ويُدمَج فيه آخر الكلمة الأولى بأول الكلمة الثانية نحو (بعلبك) المدينة اللبنانية.

المركب الإضافي: هو العَلَم الذي كان أصله قبل العملية علاقةً مُلْكٍ أو اختصاص أو ظرف أو جنس نحو (شجرة الدُر) المرأة العربية الحاكمة في الجاهلية.

المركب الإسنادي نحو (تأبط شرًّا)، وهو الشاعر ثابت بن قُرّة.

المركب الوصفي نحو (البيت الأبيض) في أمريكا.

النوع الثاني: بعض أنواع المتلازم اللفظي collocation: كلمتان إذا نُطقت إحداهما في سياق

خاص استدعت إلى ذهن المتلقي الكلمة الأخرى بسبب تعارف المجتمع اللغوي على

تسلسلها في الترتيب في هذا السياق الخاص. ومثاله أن تكون في قاعة انتظار الطائرة

فيسألك زميلك: (أين حقيبة...؟) فلا شك أنك تتوقع (حقيبة اليد). وإذا كنت في مقهى وقال

أحدهم: (هذا المقهى لا يقدم إلا الوجبات...) فلا شك أنك تتوقع (السريعة). ويتصف المتلازم

اللفظي بأنه تركيب ليس من اختيار فرد كما هو شأن المُركَّب؛ بل باتفاق المجتمع اللغوي،

وأن مجموع الكلمتين تتحولان إلى صورة ذهنية واحدة معبّرة عن جنس، وبهذه السمات نميّز

المتلازم اللفظي من التعلق الذي نتوقعه مثلاً بين الفعل (سعى) والأداة (إلى).

2- ما تضمّن صوراً ذهنية متعددة: لأن مجموع كلماته ومورفيماته لا تتحول إلى صورة

ذهنية، وهذا يشمل:

الجملة (الحرّة، والأمثال، والعبارات المحنطة).

التركيب التقييدي.

بعض أنواع المتلازمات اللفظية.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

الزاوية الثالثة في تقسيم التركيب: من حيث إمكان تحريك مواقع أجزائه عرفياً أو أن نستبدل بها ما يدل عليها:

ما أمكن أن تتحرر مواقع كل أجزائه أو أن نستبدل بها ما يدل عليها: الجمل الحرة، التركيب التقييدي.

ما أمكن أن تتحرر مواقع بعض أجزائه أو نستبدل ببعضها للدلالة عليها: العبارات المحنطة. ما لا يجوز تحرير أجزائه أو استبدالها للدلالة عليه: الأمثال، المركب، المتلازمات اللفظية.

ونعود الآن إلى الهدف من التقسيم، فنقول إن كان الهدف من التقسيم هو تقسيم علاقة لا وحدة، فإنه لا بد من تحديد الوحدة أو الوحدات التي تقع عليها هذه العلاقة، ثم النظر من زاوية علاقة أخرى تعين على معرفة أنواع العلاقة المراد تصنيفها، ومثال هذا أننا إن أردنا تصنيف الإضافة قلنا إن الإضافة علاقة تحلية تقع على التراكيب، ويختلف تصنيف الإضافة باختلاف العلاقة التي ننظر من خلالها على النحو الآتي:

الزاوية الأولى: تقسيم الإضافة من حيث إمكان دلالتها على معنى إلى:

إضافة معنوية، وتنقسم من حيث الحرف الذي يمكن تأويلها به إلى:

إضافة بمعنى اللام (للاختصاص أو الملكية).

إضافة بمعنى من (لبيان الجنس)

إضافة بمعنى في (للظرفية).

إضافة لفظية لا تدل على معنى اللام ولا من ولا في؛ وتنقسم إلى نوعين من حيث إمكان استقلال المضاف عن المضاف إليه إلى:

إضافة لازمة؛ لأن المضاف لا يأتي في الكلام دون المضاف إليه، نحو إضافة (غير) و(سوى).

إضافة غير لازمة؛ لأنها من قبيل إضافة بين عامل ومعمول، نحو إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله، وإضافة اسم الفاعل إلى مفعوله، وإضافة اسم المفعول إلى نائب الفاعل.

الزاوية الثانية: تقسيم الإضافة من حيث إمكان تقدير المضاف إليه في حال حذفه إلى:

إضافة إذا حُذِفَ المضاف إليه منها لا تكون إضافة لعدم إمكان تقدير المضاف إليه، وهذا يكون في الإضافة المعنوية وإضافة العامل إلى المعمول.

إضافة إذا حُذِفَ المضاف إليه منها تبقى إضافة لإمكان تقدير المضاف إليه، نحو

حذف المضاف إليه بعد الألفاظ التي تلزم الإضافة: من بعد، من قبل.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

إن ذكر زاوية النظر التي ينبني عليها أي تقسيم هو أمر ضروري لتيسير فهم الأساس الذي تفرعت عنه أنواع الوحدة أو العلاقة التي نقوم بتقسيمها، وهو يجنبنا الوقوع في خلط الأقسام وعدم منطقية تقسيمها، ومن جانب آخر يُسهّل اعتبار كل قسم مصطلحاً يستحق مدخلاً مستقلاً في المعجم.

الأساس الخامس: أنواع المعاجم النحوية مبني على تعدد العلاقات الخاصة بوحدة التركيب:

من المعلوم أن للمعاجم أنواعاً بحسب غاياتها، فثمة المعجم اللغوي الذي يُحصي ألفاظ لغةٍ ومعانيها ويرتّبها هجائياً، وثمة المعجم التأثيلي الذي يبحث في حقيقة المعرب والدخيل، وثمة المعجم التاريخي المعني بالتطور اللغوي للألفاظ والدلالة، وثمة معجم المصطلحات المقصور على مصطلحات تخصص معين، وثمة المعجم المعياري التعليلي المعني بما شاع في اللغة فهو يهجر الشاذ، وثمة معجم المجاز أو التوسع الدلالي الذي يعنى بالمعنى الأصل العام للفظ ثم ما تفرع عن هذا المعنى وما اختلف عنه، وثمة معجم الأبنية مثل معجم الأفعال فهو معني بالصيغ الخاصة بالأبواب الصرفية التابعة لجنس من أجناس الكلم، وثمة معجم الأضداد الذي يبحث عن الكلمة الدالة على معنى ونقيضه، وثمة معجم الإبدال المعني بالكلمات المترادفة المختلفة في حرف واحد⁽³¹⁾.

تنظر نظرية السبر إلى هذه الأنواع على أنها علاقات تحصل للوحدات اللغوية، ويمكن وضع معجم واحد في علاقة واحدة -مثل علاقة التطور- لكل الوحدات اللغوية الست (الفونيم، المقطع، المورفيم، الكلمة، التركيب، النص)، أو لبعض هذه الوحدات، ويمكن وضع معجم في وحدة الفونيم مع ذكر كل علاقاته.

وعلى مستوى وحدة التركيب يمكن اقتراح وضع معاجم في العلاقات التالية:

معجم تنغيم التراكيب.

معجم الرتبة بين عناصر التركيب.

معجم التراكيب الشاذة.

معجم أنواع المركبات.

معجم ما ذُكِرَ وأُنْتُ في التركيب.

معجم أنماط التراكيب.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحويّة والصرفيّة

معجم الإحالات في التركيب.

معجم ما تعدد معناه باختلاف التركيب.

معجم المطابقة.

معجم التراكيب المَحْنُطَة.

هذه أمثلة غير حصرية من العلاقات التي تخص التراكيب، ويمكن وضع معجم لكل منها أشبه بالرسائل التي كان سلفنا يخصصون كلاً منها لحصر الألفاظ الخاصة بحقل دلالي محدد، ولأجل هذا تضطلع نظرية السبر بمهمة محاولة إحصاء العلاقات الخاصة بكل وحدة، وفتح آفاق جديدة من البحث والتأليف في علاقات تحتاج من الباحث اللغوي العناية بها.

الأساس السادس: تفعيل قيمة العلاقات العامة

عند تعريف مصطلح نحوي أو صرفي في المعجم فإنه يمكن استثمار العلاقات العامة. وقد بينّا أنها علاقات تصنيفية يتولاها العقل للفرقة بين وحدة وأخرى، أو بين علاقة وأخرى، وفائدة هذه العلاقات إيضاح ما يتعلق بمفهوم المصطلح من مفاهيم أخرى ترتبط به أو تلتبس معه أو تندرج تحته، فيكون هذا معيناً على التدقيق في مفاهيم المصطلحات المتعددة والفصل بينها ومعرفة ما يدخل في حدودها وما لا يدخل، ولعل الصورة تتضح أكثر بالتمثيل على قيمة العلاقات العامة فيما يلي:

علاقة التواطؤ: هي أن ينطبق مفهوم اللفظ على كل ماصدقاته دون تفاوت، كقولنا: (إن النقطة كليّ موضوع لما ليس له طول ولا عرض ولا عمق)، فكل نقطة لا يمكن أن يكون لها طول ولا عرض ولا عمق، ولأجل هذا اختار النحويون مصطلح المعتل دون المُعَلَّ ليشمل ما اعتل في أصله نحو (يدعو ويرمي)، ولا يقتصر على ما أُعِلَّ نحو [آمن، سُودد]⁽³²⁾.
علاقة التلازم: هي أن يكون وجود المفهوم متعلّقاً بوجود مفهوم آخر، مثل أن وجود السقف يقتضي وجود الجدار، وهذا التطلب عقلي أو عُرْفِي، ومثال دلالة المصطلح على لازمه دلالة المنصرف على حدوث الصرف وهو التنوين⁽³³⁾.

علاقة العموم والخصوص المطلقين (العلاقة المطلقة بين كليّ وكليّ آخر): [أن ينطبق مفهومٌ على كليّ ماصدقاتٍ مفهوم آخر؛ لكن المفهوم الآخر لا ينطبق على كل ماصدقات المفهوم الأول]، كالعلاقة بين الحيوان والإنسان، فالحيوان أبداً أعم من

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

الإنسان، والإنسان أبداً أخص من الحيوان. ومثال هذه العلاقة أن الأخذ أعم من الاشتقاق، فالفرق بين الاشتقاق والأخذ أن الاشتقاق يجب فيه ترتيب الحروف والاشتراك في المعنى [الاشتقاق الصغير]، في حين يكفي في الأخذ الاشتراك في المعنى دون اشتراط الترتيب وهذا هو الاشتقاق الكبير⁽³⁴⁾.

الهوامش والمراجع:

دروا، روجيه بول: فقه الفلسفة، ترجمة: فاروق الحميد، دمشق، دار الفرق، 2014، ص206-207.

الطرابلسي، محمد الهادي: الشرط المنهجي في نقد الأدب، ط1، تونس، قرطاج، 2015، ص87-88.

العزالي، عماد وآخرون: موسوعة القرن، ط2، تونس، الدار المتوسطة للنشر، 2011م، ص258.

الشرط المنهجي في نقد الأدب، ص11-12

جاء في "الصحاح في اللغة" للجوهري: (سَبَرْتُ الْجُرْحَ أَسْبُرُهُ: إذا نظرت: ما غَوْرُهُ؟ والمِسْبَارُ: ما يُسْبَرُ به الجُرْحُ. والسَّبَارُ مثله. وكلُّ أمرٍ رَزْتُه فقد سَبَرْتُهُ واستَبَرْتُهُ. يُقال: حَمِدْتُ مَسْبَرَهُ وَمَخْبَرَهُ. والسَّبْرَةُ: الغدَاةُ الباردة، وفي الحديث: "إسْبَاعُ الوضوءِ في السَّبَرَاتِ". والسَّبْرُ بالكسر: الهيئة...).

الميداني، عبدالرحمن حسن حنبكة: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، ط4، دمشق، دار القلم، 1993م، ص47-58.

الكندي، خالد بن سليمان بن مهنا: مستقبل الدراسات الإنسانية في ضوء نظرية السير، ط1، دن، 2018، الفصل الثالث.

الناشر: ألبرت أينشتاين: أفكار وآراء، القاهرة، مؤسسة فوارس، القاهرة، 2015، ص35-36.

هوسرل، إدموند: فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، أغسطس 2007، ص32-33.

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

م. روزنتال؛ ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، ط7، بيروت، دار الطليعة، 2011، ص10، 554.

Morris, Charles W: **Foundations of the theory of signs, International Encyclopedia of Unified Science**, The University of Chicago Press, 1934, volume 1 number 2, p5

كلود لوم، ماري: علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ترجمة: ريماء بركة، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012، ص42.

خليل، حلمي: الكلمة دراسة لغوية معجمية، ط2، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993م، ص125-126.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: المستقصى من علم الأصول، تحقيق: سليمان الأشقر، ج2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م، ص33-37؛ الأسنوي، عبدالرحيم بن حسن: الكوكب الدرّي في كيفية تخرج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، تحقيق: عبدالرزاق عبدالرحمن السعدي، ط2، دمشق، دار سعد الدين، 2011م، ص260-261؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهّر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وغيره، ج1، بيروت، المكتبة العصرية، 1987م، ص369؛ طويلة، عبدالوهاب عبدالسلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ط2، القاهرة، دار السلام، 2000م، ص87 وما بعدها.

ابن سيده، علي بن إسماعيل: المخصص، ج13، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1996، ص258.

علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ص41-64.

علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ص87-88.

الأسمر، راجي: المعجم المفصل في علم الصرف، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م، ص271.

المعجم المفصل في علم الصرف، ص356.

Foundations of the theory of signs, p6-7

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعاجم النحوية والصرفية

- الكندي، محمود بن يحيى بن أحمد، المسكوت عنه في الخطاب: دراسة في ضوء المناهج التأويلية، رسالة دكتوراه، جامعة السلطان قابوس، 2015، ص22-25.
- فيسيار، جاكين: الصوتيات، ترجمة: بسام بركة؛ روز الكلش، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، ص28.
- الصوتيات، ص51-58.
- دي سوسور، فرديناند: علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، بغداد، آفاق عربية، 1984، ص26-36.
- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبدالله: درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1422هـ/2002م، ص7-8.
- نورالدين، عصام: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، ط1، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1992م، ص93-94، 97.
- أبو البركات الأنباري، عبدالرحمن بن محمد: البيان في غريب القرآن، تحقيق: جودة مبروك محمد، ج1، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م، ص256.
- أبو البقاء العكبري، عبدالله بن الحسين: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبدالإله نهبان، ج1، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر؛ دمشق، دار الفكر، 1995م، ص13
- هذه التسمية -التركيب المحنطة- لم أجد لها عند أحد قبلي، وإنما وضعتها للفرقة بين الأمثال (وهي التراكيب التي لا يجوز تغيير بنيتها) وتراكيب تتميز بأنها تجمع بين عناصر مُحَنَطَة (لا يمكن تغيير بنيتها) وعناصر متحركة (قابلية لأن تُسْتَبَدَل)، مثل قول العرب (أرأيتك) فهذا تركيب يعني (أخبرني) ويستعمل للاستنكار أو التبكيت، وهو تركيب محنط لأنه يجمع بين عناصر ثابتة (همزة الاستفهام+ الفعل رأى الماضي+ تاء المخاطب) وعنصر متغير هو كاف خطاب المفرد المذكور إذ يمكن تغييره إلى (أرأيتك، أرأيتكم، أرأيتكما). وقد وجدت: جمران، محمد أديب عبدالواحد: المعجم في الأساليب الإسلامية والعربية، الرياض، مكتبة العبيكان، 1999؛ قد جمع كثيرًا من هذه العبارات المحنطة لكنه لم يضع قاعدة لهذه التراكيب تميزها من سائر الأمثال والأقوال السائرة الموجودة في معجمه أيضًا.
- استفدت في موضوع المتلازمات اللفظية والفرق بينها وبين المركبات والجمل الحرة من كتاب:

بناء المعطيات الاصطلاحية والمفهومية للمعجم النحوي والصرفية

Ahmad, Dlnya Muhammad: *Adverb-Adjective, collocation in English*, 2005, Koya University.

لكنني وجدت أنه لا يقدم الفرق بين المركب والمتلازمات اللفظية تقديمًا كافيًا؛ بل قدّم أوجه فرق لا تسعف في الفصل الدقيق بين مفهوميهما. وهذا الذي يجعلني أقول إن نظرية السبر تسهم في حل مشكلة المصطلحات المتداخلة المفاهيم؛ بتحليلها من زوايا نظر كثيرة كافية للفصل بين مفاهيمها.

قاسم، رياض زكي: *المعجم العربي، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق*، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1987م، ص19-29.

الفتحي، محمد ذنون يونس: *النظرية النقدية في دراسة المصطلح النحوي*، عمان، دار الفتح، ص39.

النظرية النقدية في دراسة المصطلح النحوي، ص40.

النظرية النقدية في دراسة المصطلح النحوي، ص41.

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتذال

د: ناهلية المسعود

جامعة المدينة

ملخص:

هناك ظاهرتان لغويتان تتنافران حيناً وتتفاعلان أحيان أخرى هما اللغة المثالية ذات القواعد الثابتة والموسومة بالصفافية وما يطلق عليها بالفصحى عند العرب. وهناك لغة أو ما يطلق عليه باللهجة، وهي في الحقيقة متحول عن اللغة المثالية. وكثيراً ما تتنازعان بالرفض من قبل المحافظين، في حين تسوغ عند التداولين تحت تأثير الدلالات الواسعة التي تمنحها هذه الظاهرة التداولية التي اكتسبتها الدارجة من ظروف تاريخية لم تعرفها اللغة المثالية. وقد مال بعض الأدباء والروائيين بالخصوص إلى استعمالها لإشاعة روح الواقع والإيهام به.

Summary:

There are two linguistic phenomena that repel each other at times and interact at other times. They are the ideal language with fixed grammar and marked as "pure" and what is called "classical" among the Arabs. There is a language or what is called a dialect, which is in fact a shift from the ideal language. And often they quarrel with rejection by conservatives, while it justifies when deliberators under the influence of the broad indications given by this deliberative phenomenon that the vernacular acquired from historical circumstances that the ideal language did not know. Some writers and novelists in particular have tended to use it to spread and illusion the spirit of reality.

تعرف اللغة الروائية تحولات كبيرة في البنيات الدلالية من جراء ما لحقها من تغيرات على المستوى المعجمي. حيث تداخلت فيها لغات وأنواع معرفية وأجناس أدبية كثيرة. فهي تستضيف كل المعرفة البشرية وتوطنها في شبكة النص. ولعل من بين المظاهر الأسلوبية الأكثر إثارة للجدل اليوم هو مدى صفاء لغتها من عدمها في ظل التعدد اللغوي الذي تعرفه، والذي يتجلى في الهجنة والابتذال الذي تعرفه في سجلاتها.

يتربع اليوم التهجين على مساحة كبيرة في الرواية لما أضافه من معان تداولية عجزت اللغة المعيارية عن تحقيقه حسبما يرى النقاد. ويتعدد التهجين Hybridation في

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

الاستعمال المعرفي، حيث، كل حقل إلا وجاء بتعريف خاص به. فهناك التهجين النباتي والتهجين الكيميائي والتهجين الحيواني والتهجين الإلكتروني الجزيئي ومنه التهجين اللغوي. وقد تناولت المعاجم والموسوعات العربية والأجنبية مصطلح ومفهوم التهجين. وحتى وإن ابتعدت في أصول وأبستمولوجيا التهجين إلا أنها التقت في المفهوم مع اختلافات بسيطة لم تؤثر على وظائفية المصطلح.

فالمعاجم العربية تكاد تجمع على أن مادة هجن يهجن تهجيناً وهجنة تعني. التداخل والتزاوج.

فقد جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، (هَجَّن الأمر قَبَّحه وعابه)¹ (عملية تزاوج بين حيوانين مختلفين في صفة وراثية أو أكثر وينتج عن ذلك مواليد ذات صفات مختلطة)². وجاء في معجم المعاني الإلكتروني أن (هجن) تعني فيما تعني: الخلط والمزج. حيث يقولون: الهجين من الخيل: ما تلده بردونة من حصان عربي.

الهجين من الناس: الذي كان أبوه عربي وأمه أعجمية

الهجين من النتائج: ما ينتج عن تزاوج نوعين أو سلالتين أو صنفين مختلفين. وتكلمت المعاجم الحديثة عن التهجين الكيميائي والإلكتروني والنباتي وغيرها من المزاوجات التي تنتج أصنافاً جديدة من الكائنات والمنتجات المادية. ومن التهجينات التي اشتغلت عليها المعرفة المعاصرة هو التهجين اللغوي. وقد عرفه ميخائيل باختين بأنه:

(مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، والتقاء وعيين لغويين مفصولين داخل ساحة ذلك الملفوظ، ويلزم أن يكون التهجين قصدياً)³ وهو ما يتجلى من التقاء لغتين أو أكثر في نص واحد بقصد أو بغير قصد. والتهجين بوجه عام هو مزج أو تداخل أو اتحاد صنفين من المواد أو أكثر في هذه المادة أو تلك وفي هذا الحقل أو ذاك.

أما الابتدال؟ لفظة واسعة الدلالة في العرف الاجتماعي والأدبي، وحتى العلمي. وتناولتها المعاجم في مختلف اللغات بشيء من العناية لما لهذه اللفظة من وقع توصيفي محقّر. ففي المعاجم العربية فإن الابتدال أو الابتدالية

هناك سؤال مطروح منذ مدة حول مدى أهلية اللغة الدارجة كلغة يعتمد عليها الأديب في نصوصه التي ينتجها كلياً أو جزئياً. وما مدى قدرة واستجابة هذه اللغة للفن

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

كتابة ونطقاً؟ وقد دارت نقاشات كثيرة حول هذا الموضوع منذ بداية النهضة. وقد ساهم كبار الأدباء والمفكرون العرب في هذا النقاش أمثال سلامة موسى وطه حسين من جهة ومصطفى صادق الرافعي من جهة أخرى. ناهيك الواقفين بين البيّنين. وانتهى الأمر إلى ضرورة التوفيق بين المستويين اللغويين.

وانجر عن هذه "الرخصة" أن أضحى استعمال الدارجة مستفزا لما وظف من كلمات نابية تجاوزت الابتدال إلى الفحش اللغوي *L'obscénité linguistique*. ويكون هذا الصنف من الكتابة قد تجاوز الموصى به من الاعتدال إلى الاختراق الأخلاقي. ويرى آخرون أن الرواية ليست مكلفة بحماية الأخلاق، وإنما هي مقطع من الحياة بخيره وشره. ولا ضير أن يعري الأديب المجتمع ويشير إلى عيوبه ونقائصه، وحالات ضعفه وقوته إلى شجاعته ورعونته، إلى سلميته وعنفه وإلى مقدسه ومدنسه. لم تعد الرواية أو الأدب عامة معلما وحارسا للأخلاق وقيم المجتمع. ومن ثم أباحوا عرض كل ما ينضح به المجتمع من خير وشر. ومن هنا جعلوا من الفحش اللغوي *Trivialité linguistique* جمالية أسلوبية.

وبمراجعة المعاجم العربية والأجنبية نجدها تعرف الابتدال اللغوي *Vulgarité linguistique* على أنه هو النزول بالمستوى اللغوي (مفردات وتراكيب) إلى مستوى متدنٍ من الاستعمال الذي يجانب الفصاحة. تبدّل الشّخصُ:

تَدَنَّى في سلوكه وخُلُقِه، ترك الاحتشام والتصوّن "تميل إلى التَّبَدُّل في ملابسها".

لَيْسَ البالي مِنَ الثياب. "تبدّل الشَّحَادُ حتى يستعطف قلوب الناس".

ترك التزيّن والتجمل "تبدّلت الأرملةُ جدادًا على زوجها"⁴. والابتدالية تعني السطحية والتدني والركاكة. والأسلوب أو العبارة الابتدالية *Vulgarité* هي التي لا سمو فيها ولا مثالية، خالية من الابتكار من كثرة الاستعمال إلى درجة التفاهة⁵.

والابتدال في الرواية المعاصرة لا يعني القبح دائما، فقد يعبر عن جمال ما، ومن اهتمام الفلاسفة بجمالية القبح *Esthétique de la laideur* أنهم أخضعوا الجمال والقبح للدرس الفلسفي مما أعطى مفاهيم جديدة للعالم وأشياؤه. فلم يعد ذوق الأمس يرضي إنسان اليوم، كونه متغيرا. (فالذوق الجمالي يتغير من عصر إلى عصر بما يتلاءم مع تطور الأذواق والاتجاهات الجمالية)⁶ فما كان بالأمس جمالا قد يصير قبحا والعكس . ومن ثم

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

يمكن القول بأن اللغة هي الأخرى باعتبارها ملمحا جماليا فنيا هي الأخرى متغيرة فيما التشهي والنفور على مستوى الأحاسيس الذي عبروا عنه بالقبح والجمال الصادران عن التفاعل اللغوي كاختيار للتعبير عن المواقف والأحاسيس حول موضوعات الحياة. إنما يعني المستوى السوقي للاستعمال، بمعنى تحقيق مستوى من الكلام يتناسب والسوق أو العامة. لأنه لا يعقل أن نعتمد لغة لا تجد تجاوبا وانسجاما مع غائية النص. والابتدال عند بعضهم لا يعبر عن انحطاط مستوى القول بقدر ما يعبر عن خيار فني يراد من ورائه صناعية جمالية أسلوبية تعبر عن الروح الشعبية. وبالمقابل فإن استعمال لغة متقنة غارقة في الفصاحة لا تعني التعالي والتميز عن العامة أو العلو الثقافي وإنما تتغيا هدفا جماليا يشرح لنا نفسيات وأجواء خاصة تصنعها طبقة من الناس نفتقدها في غيرهم.

والابتدال والتعلي اللغوي ليسا أمرين لازمين، وإنما هما اختيارات، ثم (إن الحكم بالابتدال على الألفاظ ليس وصفا ذاتيا لازما، وإنما أكثر ما يغلب عليه أنه وصف طارئ، بتأثير من تلك العوامل)⁷. وقد أشار القدامى إلى هذه الظاهرة، فهي تتراوح بين المدح والذم، فالاستعمال عندهم هو ما يحدد قيمة اللفظة ويدخلها أو يخرجها من دائرة الابتدال. وليس الابتدال وحده الذي أثار انتباه القدامى كالجاحظ مثلا، ففي إشارته إلى (التقعر والتشدد والتمطيط والجهرة والتفخيم) والتي كانت محل تعقيبات منه. حيث كان ذا موقف معتدل حين عبر عن استحسانه لكلام الأعراب والبلغاء على السواء، واشترط المشاكلة حين قال: (إني أزعم أن سخياف الألفاظ مشاكل لسخياف المعاني. وقد يحتاج إلى السخياف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم، ومن الألفاظ الشريفة الكريمة المعاني)⁸ التي كثيرا ما ترتبط بطبقة عليية. أو مثقفة.

للإشارة، فإن الألفاظ كائنات حية تتغير مدلولاتها وتتوسع عبر الزمن من خلال التجارب والتحويلات التي تعرفها الأمم و الثقافات، فالكلمة التي يحكم عليها بالابتدال في زمن من الأزمان قد يتغير الحكم عليها عندما ينتشلها أديب بارع من مستنقع الابتدال، يجلوها، ويعيد إليها طلاوتها، ويستعملها استعمالا (..)، تقع فيه موقع الغيث على التربة الخصبة، وعكس ذلك صحيح)⁹، من ذلك - مثلا- لفظ (التناسل) الذي هو لفظ جنسي، ظل محظورا كونه يشير أو يعري الذات المسرودة، لكن بدخول هذا المصطلح عن طريق

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

الاستعارة والافتراض، في عالم النقد الأدبي، فإنه قد توسّع مدلوله، وأصبح يعبر عن تضاعف الأشياء : ك(التناسل الحكائي) و(التوليد الدلالي). وكذلك بالنسبة لمصطلح (الابتدال)، فقد يرتبط بمجتمع دون آخر، أو زمان دون زمان، أو طائفة دون أخرى داخل المجتمع الواحد)¹⁰. ولكن في سيرورة المصطلح يعرف صيرورة جديدة، تكتسب دلالة أو دلالات أخرى.

ويرى بعضهم أن في اللجوء إلى "الرعاية" من اللفظ، أو المبتدل من القول فيه شعرية وتَمَلَّح، الذي قد لا يتفطن لهما بعض المتلقين. فالفصيح من اللفظ كثيرا ما يوصف بالجفاف، كأن ينقصه الماء والرواء. والتدفق الدلالي المعبر عن أعماق الشخصيات التي يجري على ألسنتها هذا النوع من الألفاظ. فالجاري من اللفظ يعطي العبارة صفة وملحاً مركزياً، لا تعرف إلا به، وقاراً كان، أو ابتدالاً. فاللفظ المتبدّل حين يجري على لسان شخص وقور لا يتغير من حيث القيمة الدلالية والجمالية، وإنما الذي يعرف التعبير هو المتكلم الذي ينتقل في نظر المتلقي من وضع إلى وضع آخر. فالنكتة قد يلقيها غير أهلها، فتخرج جافة، لأن بائها لا يعرف كيف ينزل بها على المتلقين. فالنكتة ليست لغة فحسب، بل هي هيئة بلاغية، وإشارات وإماءات وحركات ذهنية، وممارسة قولية، وتعبير عن تجربة ثقافية، تدرس في تناول المقالب الكلامية.

ولنا أن نسأل: إلى أي مدى تسمح الأعراف الأدبية بتوظيف ألفاظ العيب والسب والشتم على ألسنة الأصوات المتكلمة في الرواية؟. إذا كانت (الرواية جنس الحياة)¹¹ على حد تعبير واسيني الأعرج.

في كتابات واسيني الأعرج - مثلاً- ألفاظ عامية سوقية تمردية، لا تستحي من المتلقي، تجري على ألسنة شخصياته. ولا يرى النقد اليوم بأن مجتمع الرواية - بكل تجلياته اللغوية والسلوكية - هو نموذج مثالي ومعيارى، وإنما الرواية هي مقطع من حياة، تعج بكل ما في الحياة. غير أن (هذا لا يعني أن تلك الألفاظ والتراكيب قد اختص بها كلام العوام والسوقة دون غيرهم، ولكن كثير من الناس يكيلون الشتائم والسباب عند غضبهم)¹²، مع ضرورة التمييز بين مفهوم الابتدال في الحياة، والابتدال في الرواية، بحيث

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

ينبغي أن نضع الثاني في خانة الموقف الأيديولوجي للكاتب. وقد يكون ناتجا عن الموقف المضاد الذي تمثله الأصوات الأخرى.

ولا يجوز نسوي بين الابتدال الذي تفرزه التنضيدات اللغوية المهنية في الأدب التي تنتزل كشعرية في العمل الروائي، و(بين شتائم السوق والعوام وأصحاب الصناعات والحرف والباعة المتجولين، وبين سارد في الأدب العربي القديم. فلأديب أدواته التعبيرية التي يحسن توظيفها للتعبير عن الغضب والسخرية Ironie لتتحول إلى صورة مجسمة لا تغيب عن ذهن السامع. وقد برع في ذلك ابن الرومي والجاحظ، في رسالة "التربيع والتدوير"¹³. ويُخرج الخفاجي (أولئك الذين يضمنون هجاءهم ألفاظا من قاموس الشتائم)¹⁴ من زمرة الأدباء كونهم عجزوا عن تحويل غضبهم إلى نسيج في، وتدفعوا بأعماقهم كذوات صائتة، لا كذوات واعية فنيا.

أسباب الابتدال:

يحصّر محمد على رزق الخفاجي ظاهرة الابتدال اللغوي في جملة من الأسباب:
أولا: العوامل السياسية والاجتماعية:

1. اللغة والقيم: تخضع اللغة فيما يتعلق بقيمها الاجتماعية بتغير وثبات تلك القيم، فتكتسب الألفاظ مدلولات جديدة وفق الظروف السياسية والاجتماعية المهيمنة. فعندما كانت الملكية أو الليبرالية أو الاستعمار الغربي سادت مفردات يعينها ترمز إلى الطبقة العليا من المجتمع الملكي والإقطاعي وأناسه وتمجد قيمه.

فالألقاب من قبيل: (الملك- السلطان - الخواجة- السيد- البك - الباشا- الأمير- الأمير- ولي العهد- صاحب السمو- أفندي) ، كانت تشير إلى قيم ورتب تزهو بها الطبقات الحاكمة ولها رنينها لدى الطبقة المحكومة. وفي عهد الاستعمار عرفت كلمات مكانة اجتماعية لدى المستعمر(السيد- الضابط/ الفسيان- باشاغا- المُعَلِّم /....) وأخرى تحقيرية للمستعمر مثل (العمل العربي Travail Arabe - فاطمة- بيكو-.....).

وبتغيّر الأنظمة الملكية وحلول الجمهوريات والأنظمة الاشتراكية في بعض الدول العربية اختفت الألفاظ الملكية والليبرالية، والتحقيرية، وأصبح الناس يمجّدون هذه الألقاب لما تحمله من دلالات تتناقض والمرحلة الجديدة. ومن ثم تغير القاموس السياسي

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

للسلطة والطبقة السياسية، فظهرت ألفاظ وأسماء كانت مقموعة مثل: الاشتراكية - الديمقراطية - التأميم - القطاع العام - المساواة - إزالة الفروق الطبقية - العدالة الاجتماعية - القاعدة الشعبية - الثورة الثقافية - الثورة الزراعية - والصناعية -).

وبتلاشي الأحوال السياسية والاجتماعية الاشتراكية، اختفى القاموس السياسي والثقافي الذي ساد خلال الحقبة الاشتراكية، أو إبان القومية العربية، وحل محله قاموس معبر عن مرحلة الانفتاح والليبرالية. فلم تعد المصطلحات من قبيل: الاشتراكية - العدالة الاجتماعية - الطبقة العمالية - النضال من اجل الحرية والمساواة - المد الاشتراكي - القاعدة الشعبية وغيرها). أو من قبيل مصطلحات (القومية العربية- الإنسان العربي - الوحدة الكبرى- من المحيط إلى الخليج-النصر الساحق-الأبطال الأشاوس-القضاء على الصهيونية)، وغيرها من المصطلحات التي استغلها الروائي العربي وادخلها إلى مجتمعاته التخيلية لربط ماض معين لإشاعة روح الرفض لمرحلة معينة أو لاستحضار ماض منته لم نعد نراه إلا في الأعمال الفنية، أدبا أو مسرحا أو سينما.

هكذا عرفت اللغة مدلولات معينة في مراحل تاريخية، وفقدتها في مراحل تاريخية أخرى. وتظل الدوال اللغوية تنداح بين الأوضاع والدلالات المختلفة التي تهرب من تيار إلى تيار، ومن زمن إلى آخر.

ثانيا: الأثر النفسي والتربوي:

إذا كان الفقيه وفر لنفسه بدائل لغوية للمشرع أو لرجل الدين ما يحتاجه من ألفاظ التورية والتقوية والترميز تجنبنا للحرج وخذش الحياء. فإن الأديب وهو الذي لا يلتقي مع الفقيه في تصوره للعالم، لم يتعب نفسه في تحريك ناعورة المداراة، بل تحرك في طريق المكاشفة والتعري اللفظي ليعصور الواقع الاجتماعي بدون مواراة ومداراة، على اعتبار أنه غير مكلف بتجميد ألفاظ الابتدال التي تصبح عنده ألفاظا مطواعة مستجيبة عند الاستدعاء.

تتحول الدلالات المختلفة حسب الحالات النفسية التي تهيمن على المتكلمين أو ترافقهم أثناء عملية التلفظ. وتتحكم تلك الحالات في صوغ الدلالات. فقد تحمل لفظة ما دلالة ما في مرحلة، أو أثناء حالة نفسية معينة. فإن كانت إيجابية تندثر اللفظة بإيجابيتها، وإن كانت سلبية، فقدت تلك الدلالة، مما يجعل العامل النفسي متحكما في تاريخ

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

الملفوظات. وقد عدّد محمد علي رزق الخفاجي عددا من ملفوظات الابتدال تتحكم فيها عوامل في توجه دلالات، منها:

ألفاظ الغرائز:

وقد وظفها الروائي العربي، وحتى الشاعر في مدوناته السردية بشكل مكثّف وربطها بثقافة الأدب المكشوف بالتفاعل مع هاجس موضوع المرأة. ويختلف النقاد في نسبتها التاريخية من حيث التداول. ففي الوقت الذي يرى بعضهم أنها ممتصة من الثقافة التراثية عند كل من النفاذ في "الروض العاطر" و"ألف ليلة وليلة"، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، ينسب بعض آخر هذا الأسلوب إلى ما وصلنا من الرواية الغربية التي لا تتوانى في استعراض مفاتن الجسد وحيثيات العاطفة بدءا من اللقاء الأول الذي كان من خلال الرواية المترجمة في بداية النهضة في نهاية القرن التاسع عشر، تحت مطلب التشويق وإشاعة روح المرح، وتبني ثقافة الجنس التي تعددت مفاهيمه وتوظيفاته عند الروائيين العرب منذ ذلك الحين إلى اليوم. ومن ثم لا مست اللغة الرواية العربية التوجهات الغربية ونحت منحى غربيا لا يعرف الخجل من وصف الذات في جانبها المورفولوجي والتعاطي مع دواخلها المسكون عنها.

وبالنظر إلى اللغة الداعرة التي يسوقها الروائي العربي تحت مبرر أن الرواية مقطع من حياة الناس، ونزولا عند النفس الأمارة بكشف المستور والتعاقب مع الألفاظ الحميمية، الداعرة غالبا. وهو ما يتنافى مع الأخلاق والاعتدال العاطفي. ولذلك تحفظت الأخلاق العامة التي تعود إلى الأخلاق الدينية على إشاعة هذا النوع من اللفظ وسط العامة. وكلنا يتذكر ذلك التحفظ الذي صنعتة الثقافة العربية المحافظة حين امتنعت على التصريح والتلفظ المباشر بألفاظ الجنس ويقصد بها (الألفاظ والتراكيب المعبرة عن الغريزة الجنسية، وقد جرى العرف على ألا يصرح بها، وإنما يكتم عنها، لأن في ذكرها والتصريح بها خدشا للحياء)¹⁵، ومنها أعضاء التناسل المختلفة عند الرجل والمرأة كقولهم: (القلم) و(الدواة)، أو (المحبرة) أو (المتاع). غير أن الروائي المعاصر لا يخاطب بالكناية. فقد سمح للأصوات

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

السردية أن تتلفظ بألفاظ العيب، على اعتبار أنها جزء من الواقع الموصوف، وهي وقائع لغوية مسكوت عنها.

ألفاظ الملابس الداخلية:

هي الأخرى في ذكرها ابتدال وخذش للحياء، كونها تستر أعضاء لا يصحّ بها إلا كناية. ومن ثم، فإن وُصف بها شخص أو كني بها فقد تُعزل ويُتعامل معها بحذر، وتدخل في حكم المحظور والمبتذل والهجاء، كقولهم: (قميص فلان يشبه تنورة فلانة) أو (فلان ك...) والملاحظ أن ألفاظ الملابس الداخلية كثيرا ما تكون ذات شحنات دلالية قوية تثير الاشتماء، وهي غالبا ما تكون بالألفاظ الأجنبية.

وهذه الملابس تختلف ألفاظها في المجتمعات العربية كونها - غالبا مستوردة بمصطلحاتها. وقد يصنع لها المجتمع ألفاظا تثير حساسية هنا ، ولا تثيرنا هناك. ومن ذلك لفظة (لباس) بدلالاتها المحصورة في نوع من الملابس الداخلية، مازالت مبتذلة لا تستعملها إلا بقية من العامة في ريف مصر¹⁶. ويعدد الخفاجي في مؤلفه المذكور، ألفاظا أخرى للابتدال، منها:

ألفاظ فضلات الإنسان:

ألفاظ تذكّر بالضعف الإنساني. وتدني مستواه الاجتماعي والخلقي. أو ما يرتبط به من فضاءات التبرز والتبول، أو ما يشير إليهما كقولهم: (فم فلان فايح كالمرحاض).
2. الألفاظ والتراكيب النابية: كالذم بالأصل والنسب الوضيع، والسب بالكفر وضعف العقيدة، السب بالمهنة والحرفة، السب بقبح الخُلقة، النسبة إلى الحيوانات، السب بالألفاظ الجنسية، السب بالقاذورات، السب بالروائح الكريهة، سب الدين والوطن والدعاء عليهما.

3. ألفاظ متصلة بالأحوال والمقامات: كمنح بعضهم أوصافا قذحية، تقلل من شأن الموصوف، مثل اللجوء إلى:

- أسماء في ظاهرها التمدل، وفي باطنها الاستصغار أو التعبير عن الضعف (فرخ) أو (رويجل).

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

- استعارة الألفاظ والتراكيب، ذات دلالات مزدوجة (ثور) للتعبير عن القوة. كما تشير إلى الوحشية والخشونة والحيوانية.

- سلوك من استخف به الطرب (تحسبه مجنون ليلى / أو سكران).

- سلوك من استبد به الغضب (كأن يوصف بأنه ثور. أو غول)

وبالعودة إلى اللغة الروائية عند الروائيين العرب المعاصرين، نلاحظ أنهم يمزجون بين أكثر من لغة في النص الواحد. وهي استراتيجية أملت أمة عقيدة فنية ممتصة من معتقد ثقافي سياسي، وهي الواقعية الاشتراكية التي ترى في اللغة ملمحا أيديولوجيا. فاللغة الفصحى لدى أنصار المعسكر الاشتراكي، كثيرا ما يصفونها بأنها لغة برجوازية، كونها ارتبطت بقارئ نخبوي. ثم قد يكونون متأثرين بمخلفات العصر البرجوازي الذي كان يتأق في كل مظاهر الحياة اليومية بدءا من الماديات إلى المعنويات والروحانيات وهو ما لا يلتقي في مظهره وجوهره مع الفلسفة الاشتراكية التي تنتصر إلى الطبقة الدنيا فكريا ولغة. حيث يرون بأن إنسان الهامش له لغته التي تختلف عن لغة المركز.

وللإشارة، فإنه في زمن البرجوازية، كان التأق في اللغة والبحث عن المفردات التي تليق بمقام أبناء الطبقة الإقطاعية قائمة على تتجاوز استعمالات العامة. فقد وصل التأق إلى تجنب استعمال بعض المفردات اعتقادا من هؤلاء أنها تحط من شأنهم فوصلوا إلى القول: أعطني آلة التنظيف Donne-moi l'instrument de propreté بدل أعطني المكنسة Donne-moi le balai لأن لفظ المكنسة في نظرهم، لفظ مبتذل حقير على اللسان.

من هنا جاء الاهتمام بالتهجين اللغوي المعبر عن الطبقة الدنيا . ومن هنا كرس الروائيون العرب ذوي الاتجاهات اليسارية استعمال الدارجة في إنتاجهم تحت مبرر الإيهام بالواقعية. وإشاعة روح الفكاهة والمرح النابعة من الواقع المعيش والمصنوعة تاريخيا في بيئة بعينها من العالم العربي الذي صنعت جمالياته من يومياته غضبا وهدوءا، جدا وهزلا، حبا وكراهية. وغيرها من المظاهر الحياتية التي تتحول إلى مظهر ثقافي.

المراجع:

أحمد مخنار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ج 1.. ط1 2008. عالم الكتب. القاهرة.
ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي . ط1. 1987. دار الفكر. القاهرة.

اللغة في النص الروائي المعاصر بين التهجين والابتدال

كريمة الرفاعي ب بوعثمان، جمالية القبح في أعمال جيرار غروست. مجلة جماليات مج 4. ع1. 2017

محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ط1 1986، الدار الفنية القاهرة
عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ط7، 1998، دار الخانجي القاهرة
حوار لواسيني الأعرج مع كمال الرياحي: (واسيني الأعرج: الشعر إلى زوال والرواية أبقى)
منتدى (دروب).

الهوامش:

- 1 - أحمد مخنار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ج 1. ص 2329
- 2 - أحمد مخنار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ج 1. ط 1 2008. عالم الكتب. القاهرة ص 2329
- 3- ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي. ط 1. 1987. دار الفكر. القاهرة. ص 18
- 4 - أحمد مخنار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ج 1. ص 178
- 5 - المعجم نفسه. ص 179
- 6 - كريمة الرفاعي بوعثمان، جمالية القبح في أعمال جيرار غروست. مجلة جماليات. ديسمبر 2017. مج 4. ع 1. ص 92
- 7 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ط1 1986، الدار الفنية القاهرة، ص82.

- 8 - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ط7، 1998، دار الخانجي القاهرة، ص 145
- 9 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص82
- 10 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص82.
- 11 - حوار لواسيني الأعرج مع كمال الرياحي: (واسيني الأعرج: الشعر إلى زوال والرواية أبقى) منتدى (دروب)
- 12 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص 53.
- 13 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص 53.
- 14 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص 53
- 15 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص42
- 16 - محمد علي رزق الخفاجي، ظاهرة الابتدال في اللغة والنقد، ص 44

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

د: سهيلة عريق

جامعة الجزائر-2-

ملخص:

الأمير عبد القادر الجزائري ليس فارساً أو محارباً فحسب، بل كان من قواد الحركة الأدبية في الجزائر، كتب في عدة أغراض أدبية من خلال شعره، فخاض في الفخر وكان متفوقاً فيه، بالإضافة إلى غرض الحب والغزل بزوجته التي رسمها عفيفة نقية، كما وجد غرض المدح في ثنايا شعره، وكان مدحه مدحاً سياسياً وثناءً أدبياً، اختص به الأصدقاء والخلان، كما تلون شعره (بالشعر الديني) من خلال النزعة الصوفية التي تمثلها أحسن تمثيل لأنه عاش تجربة التصوف، وعبر عن الحب الإلهي، وكذلك المدح النبوي.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر، الحركة الأدبية، الأدب الجزائري الحديث، التصوف.

ABSTRAC:

Emir Abdelkader Algerian man of letters

We had in our talk about the Emir Abdelkader Algerian is not as flustered or a wanrir, but as a leader of the literary movement and then we were the most important poetic purposes for which excelled pride, where a percentage of proud and his soldiers, and his wife was spun chaste pure.

We also find a political literary praise and literary praise, which singled out by friends and his poems in the description and the other in mysticism (religions poetry) as well as prais of the prophet.

مقدمة في مناقب الأمير عبد القادر وأثاره:

ورد في حق الأمير عبد القادر الجزائري أقوال كثيرة من طرف جنرالات فرنسا، من بينها قول المارشال الفرنسي سولت: "لا يوجد الآن أحد في العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاث رجال، كلهم مسلمون، وهم الأمير عبد القادر الجزائري، محمد علي باشا، والشيخ شامل الداغستاني".

إذن فشجاعة الأمير وبسالته وسيرة حياته المشرفة، لا تحتاج إلى تزكية من أبناء جلدته، فقد خلد خصمه ذكره، لأنه أدري به من غيره، وبذلك صدق عليه قول الشاعر:

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

ومليحة شهدت لها ضرباتها *** والحسن ما شهدت به الأعداء

وقد اعترف الأمير نفسه بأن أحسن من وصفه الفرنسيون فقال:

سلوا تخبركم عنّا فرنسا *** ويصدق إن حكمت منها المقال⁽¹⁾

ولعلّ تاريخه مع فرنسا، هو ما جعل الناس لا يعرفون عنه إلا أنه بطل شجاع حارب العدو ستة عشر عاماً، حيث ركّز المؤرخون على سيرته السيفية وحجّبوا سيرته القلمية، فشابه هذا الظلم المتبني الذي ركّز المؤرخون على شعره ونسوا أن الخيل والليل والبيداء تعرف، والجدير بالذكر أنه رغم انشغالات الأمير في تلك الحقبة إلا أنه كان أديبا وكاتباً كما كان محارباً⁽²⁾، فغالبا ما كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه باللسان.

وكما شهد له عدوه بالشجاعة، فقد شهد له أيضا بالبلاغة، إذ يقول (شارل هنري تشرشل) صاحب كتاب (حياة الأمير عبد القادر الجزائري): "ستان ما بين السياسة الفرنسية والأفكار العربية"⁽³⁾، مشيراً بذلك إلى بلاغة الأمير ودقة أفكاره وهذا بعد تصفحه للمراسلات التي كانت بين الأمير والجنرال الفرنسي (دي ميشال). فقريحة الأمير عبد القادر جاءت بأحسن ما عندها، فكانت من أهم آثاره النثرية :

وشائج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب: وهي رسالة في فنون الحرب، تتضمن الأنظمة والقوانين العسكرية التي سنّها الأمير لجيشه الفتى. المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد: وهو كتاب ردّ به الأمير على الطاعنين في دين الإسلام.

ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: وهي رسالة مطولة تتضمن مسائل جمة في مختلف العلوم كالتاريخ والفلسفة والدين والإصلاح الاجتماعي والأخلاق. المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد: وهو كتاب في ثلاثة مجلدات حول التصوف والعقيدة الإسلامية. تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام.

رسائل متنوعة: وهي عديدة فيها السياسية التي وجهت لرؤساء حكومات فرنسا، ومنها إلى الأسقف الفرنسي دوش، ومنها إلى الجنرال دوماس. الصافنات الجياد: وهو كتاب في محاسن الخيل وصفاته⁽⁴⁾. هذا فضلا عن آثاره الشعرية المتمثلة في :

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

القصائد الشعرية الواردة في مقدمة كتاب الأمير الصوفي الشهير (المواقف)، والتي بلغت تسع عشرة قصيدة.

الديوان : وهو أكبر آثاره الشعرية.

والحقيقة أن قسماً كبيراً من شعر الأمير ضاع، عندما استولى الفرنسيون على عاصمته المتنقلة (الزمالة) وما بقي منه جمعه ولده (محمد) في كتابه (تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر). فقد كان الأمير أول شاعر بالمغرب العربي، وأول من حمل الرسالة الأدبية الشعرية في الجزائر، في الوقت الذي انطفت فيه شعلة الشعر، وتجمدت جميع الفرائح⁽⁵⁾.

الأغراض الأدبية في شعر الأمير عبد القادر:

الفخر في شعر الأمير عبد القادر:

ولئن كان شعره في مجموعه لا يتسم بالقوة اللفظية والجزلة البلاغية على غرار شعراء العرب الأقدمين، فإنه كثيراً ما تلاقى مع ابن شداد في فخره، وأبي تمام في مدحه، وابن زيدون في غزله، ثم أنه سخّر شعره لهدف أسمى من ذلك كله، وهو الدفاع عن الوطن، وإيقاظ روح الجهاد في نفوس الشعب⁽⁶⁾، وعليه فقد كان شعر الفخر والحماسة أقرب صلة بحياة الأمير في مرحلة جهاده⁽⁷⁾. وقد تعددت دواعي الفخر عند الأمير حتى كان أولى به من غيره، فهو إما يفتخر بنسبه النبوي الشريف:

أبونا رسول الله خير الورى طرا *** فمن في الورى يبغى يطاولنا قدرا⁽⁸⁾

وإما يفتخر باستمرارية النسب الحسيني النبوي:

وكان لنا دوام الدهر - ذكر *** بذا نطق الكتاب ولا يزال⁽⁹⁾

وفي هذا إشارة إلى دعاء المسلمين عند التشهد الأخير (اللهم صلي على محمد وعلى

آل محمد ...)، وإما يفتخر بعروبته:

ورثنا سؤودا للعرب يبقى *** وما تبقى السماء ولا الجبال⁽¹⁰⁾

ولئن كان هذا الجانب من الفخر هو ما يعرف بالفخر الفطري أي أنه غير إرادي، فقد أضاف له الأمير عبد القادر فخراً صنعه هو، إذ ذكر كيف يركب الأخطار من أجل المكارم فقال :

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

لنا في كل مكرمة مجال *** ومن فوق السماك لنا رجال

ركبنا للمكارم كل هول *** وخضنا أبحرا ولها رجال

إذا عنها توانى الغير عجزا *** فنحن الراحلون لها العجال⁽¹¹⁾

وعبد القادر في هذه الأبيات لا يقدم صورة حربية متوهمة، بل يصف واقعا عاشه وسخر حياته لأجله، ولأدلّ على ذلك هول أهم معاركه كمعركة (المقطع) ومعركة (سيدي إبراهيم). كما عدد الأمير مناقبه الأخلاقية، كالتنزه عن اللؤم، والحلم، والكرم.

رفعنا توبنا عن كل لوم *** وأقوالي تصدقها الفعال

ونعلم إذ جنى السفهاء يوما *** ومن قبل السؤال لنا نوال⁽¹²⁾

أيضا افتخر بصبره الفولاذي، فقال:

ومن عجب صبري لكل كريهة *** وحملي أنقلا تجل عن العد⁽¹³⁾

وافتخر بشجاعته فقال:

ألم ترفي (خنق النطاح) نطاحنا *** غداة التقيناكم شجاع لهم هوى

وكم هامة ذاك النهار قد دتها *** بحد حسامي والقنا طعنه شوى⁽¹⁴⁾

ولما كان الأمير بكل هذه الفضائل والمزايا، فقد سعت إليه الإمارة دون جهد منه أو

عناء فأنشد قائلا:

لذاك عروس الملك كانت خطيبي *** كفجأة موسى بالنبوة في طوى

وقد علمتني خير طفء لوصولها *** وكم رد عنها خاطب بالهوى هوى

فواصلتها بكرا لدي تبرجت *** ولي اذعنت والمعندي بالنوى نوى⁽¹⁵⁾

وقد كان الأمير عند حسن ظن عروسه، إذ قام بالمهمة على أحسن حال، فأقام العدل حتى بلغ أمر بلاد الجزائر في الأمن في عهده إلى حالة لو سارت فيها البنت البكر الجميلة في صحاريها وقفارها حاملة نفائس الجواهر على رأسها، لا تجد من يسألها فضلا عمّن يتعرض لها بسوء⁽¹⁶⁾. وقد افتخر الأمير بهذه السياسة العادلة فقال:

وقد سرت فهم سيرة عمرية *** وأسقيت ظامها الهداية فارتوى

وإني لأرجو أن أكون أنا الذي *** ينير الدياحي بالسنا بعد ما لوى⁽¹⁷⁾

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

فصدق من لقبه بثالث العمرين⁽¹⁸⁾. وكثيرة هي المواقف التي يشبه فيها الأمير عنتره بن شداد في الفخر، فإذا قال عنتره:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى *** وكان لو علم الكلام مكلمي

فإنَّ الأمير يقول:

إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحمما *** أقول لها صبرا، كصبري واجمالي⁽¹⁹⁾
ولعل الأمير بهذا التشابه، أراد أن يتمثل صور فرسان العرب القدماء، وقد كان فخره بعيدا عن كل نرجسية، ولهذا نجده تارة يفتخر بجنوده فيقول:

وألذ شيء عندهم لحم العدا *** ودماؤهم، كزلال عذب المنهل⁽²⁰⁾

وتارة أخرى يدعو لهم:

يا رب إنك في الجهاد أقمتمهم **** فبكل خير عنهم فتفضل⁽²¹⁾

ولعلَّ الأبيات المقدمة توجي بأن الصورة الفخرية لدى الشاعر استطاعت أن تتكامل إذ ألف بين النسب الطبيعي والنسب الوضعي، بمعنى أنه لم يكتف بالمجد التليد الموروث، بل أضاف له مجدا صنعه بأعماله، كما أن التجربة الشعورية التي نلمسها في الأبيات تمثلت في الاعتزاز والاعتداد ونشوه الفخر بعيدا عن التضخيم في الذات وبعيدا عن كل نرجسية ذميمة. هذا ومن بين مواضيع الفخر التي أولاهها الأمير اهتماما، فخره بحياة البدو فقال:

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني *** لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر⁽²²⁾

الغزل والحب في شعر الأمير عبد القادر:

أما عن الغزل فقد كان الأقرب إلى حياة الأمير وهو في الأسر. وقصائد الأمير ومقطوعاته في الغزل أشد التصاقا بالنسيب، وأهمها في زوجه يقول وقد اشتد به الشوق:

ألا هل وجود الدهر بعد فراقنا *** فيجمعنا والدهر يجري إلى الضد

لكي تعلمي أم البنين بأنه *** فراقك نارواقترابك من خلدي⁽²³⁾

وقد سما الأمير في غزله عن الأوصاف المادية إلى الأوصاف الروحية، فهو يحب الزوجة الرضية، والأم الحنون، والابنة المحببة، فالمرأة في نظره تمثل التعاطف في أسمى

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

صوره وأشكاله، وهي النصف المتمم للإنسانية كلها⁽²⁴⁾. و أول ما يلاحظ في غزل الأمير ذلك الهيام الدائم في نفسه، و تتجلى أسمى صور الحرمان والأسى في قوله:

غريق أسير السقم مكلوم اكشا *** حريق بنار الحجر والوجد والصد

غريق، حريق هل سمعتم بمثل ذا *** ففي القلب نار والمياه على الخد⁽²⁵⁾

وقد أبدع الأمير في هذه الأبيات إذ جمع بين الضدين (غريق - حريق)، من أجل تأكيد المعنى وتوضيحه. ويستمر الأمير في تقديم المتناقضات، إذ بينما يذوب حبا في صاحبتة تقابله هي بالجفاء والقسوة.

أريد حياتها وتريد قتلي *** بهجر أو بصد أو بعاد⁽²⁶⁾

ولعل هذا الشوق الكبير لحبيبته جعله يحب الليالي علّها تمن عليه بطيفها:

أحب الليالي كي أفوز بطيفها *** وأرجو المني بل قد أقول أنال⁽²⁷⁾

ولقد اشتد الحب بالأمير فسلبه عقله:

وبي ما يزيل العقل عن مستقره *** فلا تعجبوا إن قيل فيه خبال⁽²⁸⁾

على أن خبال المحبين والعاشقين أمر ليس بالجديد، حتى أصبحت صفة الجنون تعبيراً عن أرقى صور الحب، فهذا مجنون ليلى، وذاك مجنون بثينة... إلخ، ويتعجب الأمير وهو البطل الهمام من تدلّله وخضوعه، وهو الذي تصدى لدولة تفوق دولته عدة وعددا:

ومن عجب تهاب الأسد بطشي *** ويمنعني غزال عن مرادي⁽²⁹⁾

والأمير بهذا يجمع بين الغزل والفخر، ويقابل بين الضدين، فبينما جردت سيوفه لتقطع هامات أعدائه، قتله سيف حبيبته وهو في غمده ثم يصل به الأمر أن يتصور هجران حبيبته عقابا له عن ذنب اقترفه فيقول:

فإن كان هذا البعد تأديب مذنب *** فإننا بهذا القدر صرنا على الشفا⁽³⁰⁾

و لعل غرق الأمير في بحر الحب جعله أدري بهذا الداء من غيره، ولهذا ردّ على من

سألوه عن الحب، هل هو طبيعة أم مرض؟ وهل له شفاء؟ فقال:

بأن سقيم الحب هيات ماله *** دواء إذا ما الحب أصبح نائي⁽³¹⁾

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

وقد كان غزل الأمير في معظمه من النوع الرصين الذي يعرف للمرأة قد رها، ولعل السبب الرئيسي في سمو الأمير عن الغزل الإباحي تكوينه الديني، الذي انتهى به إلى تلك الخلوة الصوفية.

المدح في شعر الأمير عبد القادر:

وللأمير في باب المدح عدة قصائد ومقطوعات، فهو إما يمدح شيوخه المتصوفين، وإما يمدح السلاطين والأمراء الذين أحسنوا معاملته وإما يمدح أصدقاءه. فمن المدح الصوفي قوله في الشيخ محمد الفاسي مقدم الطريقة الشاذلية:

هشوش بشوش يلقي بالرحب قاصدا *** وعن مثل حب المزن تلقاه يفتر
فلا غضب حاشا بأن يستفزه *** ولا حدة كلاً ولا عنده ضرر⁽³²⁾

وقال أيضاً:

شمائله تغنيك إن رمت شاهدا *** هي الروض لكن شق أكاماه القطر⁽³³⁾
ويرى الأمير لو أن الإمام علي كرم الله وجهه أدرك الفاسي للقبه بالبحر:
أبو حسن لو قد رآه أحبه *** وقال له أنت الخليفة يا بحر⁽³⁴⁾

كما مدح الأمير عبد القادر "محمد الشاذلي" وهو من علماء المغرب المشهورين، وقد كانت بين الرجلين عدة مراسلات شعرية:

أنت الذي في الفضل أصبح مفردا *** لعلاه ما من مدع ومزاحم
لازلت ميمون النقيبة طالعا *** بالسعد ذا فضل، وخذن مكارم⁽³⁵⁾

ومن المدح السياسي، ما أنشده الأمير في السلطان عبد المجيد عندما وصل إلى بروسة، بعد أن أطلقت فرنسا سراحه عام 1853.

الحمد لله تعظيماً واجلالاً *** ما أقبل اليسر بعد العسر إقبالا
وما أنت نفحات المسك ناسخة *** من المكاره أنواعاً وأشكالاً

وأشكر الله إذا لم ينصرم أجلي *** حتى وصلت بأهل الدين أوصالاً⁽³⁶⁾

كما مدحه في قصيدة أخرى أثر اشتباك روسيا مع الدولة العثمانية، وكانت

القصيدة بمثابة توسلات ودعاء:

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

يا ذا الجلال وذا الاكرام مالكننا *** يا حي يا موليا فضلا وإحسانا
يا رب أيد بروح القدس ملجأنا *** عبد المجيد ولا تبقيه حيرانا (37)
ومن الذين مدحهم الأمير والي بروسة، خليل باشا إذ كان صديقا حميما له:
له قل، يا شقيق الروح إعني *** علام هجرت بلدتنا بروسة!
لقد كانت تفاخر كل مصر *** وتطلع من شمائلهم شموسا
وكان الزمان بكم ضحوكا *** فصار لنا بفقدكم عبوسا (38)
كما مدح عبد الكريم الحمزاوي، وهو من وجهاء دمشق وشعرائها:
كريم، من كريم، من كريم *** كريم، من كريم، من كريم (39)
ومدح محمود الحمزاوي مفتي دمشق فقال:

وهو الإمام، وأهل كل محامد *** ما دعد؟ ما علوى؟ ما أسماء؟ (40)
وقد كان الأمير على صلة طيبة بأل الحمزاوي، لأنهم يشتركون معه في النسب النبوي الشريف. أما المدح الأدبي فقد بدأ الأمير في نظمه في الفترة الممتدة ما بين (1852م - 1883م) وقد خص به الأصدقاء من الأدباء والشعراء، والفقهاء، وعلماء الدين كمدحه لأمين الجندي مفتي الشام:

أحلى المديح، مديح خل فاخر *** أقواله تنبي كدر باهر
يا صاح، خاتمه الأفاضل كلهم *** من كل شهيم، كاتب أو شاعر (41)
كما مدح العالم الحاج مصطفى شبلي البغدادي عند مروره بدمشق:
أحيتي! لكم صفو الوداد، كما *** مخضتموني ودا، ليس بالدون (42)
ومن الذين خصهم الأمير بمدحه ابن عمه الطيب بن المختار فقال:
أما والذي تعنو لهيبته الورى *** وجل اعتزازا أن يكون له ند
لأنتم، وإن شط المزار بشخصكم *** أود من القربى وأدنى إذا عدوا (43)
وكذلك مدح أبا نصر الطرابلسي، والملاحظ أن الأمير فعليا ما يركز في مدحه على الحسب والنسب والفكر والشجاعة، وعلوم الممدوحين وأثارهم (44).
هذا وقد بعث الأمير إلى صديقه (قدور بن رويلة) حينما سمع بنفيه إلى المدينة المنورة بأبيات مستهلهما:

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

قد طاب في طيبة الغرام مقامكم *** جوار محبوبنا من كنت ترقبه⁽⁴⁵⁾
ولعل سلات الأمير تدل على احترامه لأصدقائه، ومنزلتهم الكريمة عنده. ولم يخل
إبداع الأمير عبد القادر من غرض الوصف، إذ أثر قيامه برحلة في سوريا استوقفت نظره
ناعورة فأنشده:

وناعورة ناشدتها عن حنينها *** حنين الحوار، والدموع تسيل

فقالته وأبدت عندها بمقالها *** وللصدق آيات، عليه دليل⁽⁴⁶⁾

وتندرج الأبيات في الوصف الوجداني التشخيصي، إذ حول الناعورة بصورة
تشخيصية إلى عنصر يدب فيه الروح والحياة. ولعل أحسن قصيدة وصفية للأمير هي: "ما
في البداوة من عيب"، وهي في باب الفخر لكن الأمير ضمنها لوحات عكست حياة البادية،
حيث نقل المظاهر نقلا حسيا دقيقا، فكانت الأبيات من أروع ما كتب:

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقيا *** بساط رمل به الحصباء كالدرر

أوجلت في روضة قد راق منظرها *** بكل لون جميل شيق عطر⁽⁴⁷⁾

كما كانت القصيدة صورة صادقة عن حياة البدو القائمة على الحل والترحال:

يوم الرحيل إذا شدت هوادجنا *** شقائق عمها مزن من المطر

فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى *** مرقعات بأحداق من الحور⁽⁴⁸⁾

ولعمري أننا نحس وكأن البيئة الجاهلية قد بعثت من جديد من خلال القاموس
اللفظي المستعمل (هوادج، شقائق، مزن، الحور، الحصباء ...) وهو ما يؤكد أن لغة الأمير
مستقاة من الموروث الشعري القديم، وهي لغة ترقى فوق مستوى عصره.

التصوف في شعر الأمير عبد القادر:

وفي باب الشعر الديني نجد للأمير عبد القادر قصائد في التصوف وأخرى في المديح
النبوي أو الحجازيات. والدارس لشعر الأمير الصوفي يلاحظ عدم اختلافه عن شعر
المتصوفين القدامى، إذ اشتهر بنزعته الغزلية والخمرية، حيث يكثر في بعض قصائده ذكر
الخمروالكأس حتى لنخال أن القصيدة خمرية.

معتقة من قبل كسرى مصونة *** وما ضمها دن ولا نالها عصر

ولا شانها زق ولا سار سائر *** بأجمالها كلا ولا نالها تجر⁽⁴⁹⁾

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

والجدير بالذكر أن خمرة المتصوفين تختلف عن الخمرة التي تعاطاها أبو نواس إذ أن هذه الخمرة لا تؤدي إلى فقدان الوعي بل تؤدي إلى معرفة الحبيب الأزلي، ولهذا تسمى "الخمرة الإلهية" فهي شبيهة بتلك التي وعد الله المحسنين بما في الجنة:

فلا غول فيها ولا عنها نزفة *** وليس لها برد وليس لها حر⁽⁵⁰⁾

والملاحظ أن الأمير عبد القادر اتخذ من الليل فرصة للقاء سواء عند تغزله بحبيبته (أم البنين) أو عند مناجاته الله في خلوته:

يروعي الصبح إن لاحت طلائعه *** يا ليته لم يكن ضوء واصباح⁽⁵¹⁾

وهو يعجب من صبر المحبين ومعاناتهن في كتم الهوى فيقول:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبي *** صبر المحبين ما ناحوا ولا باحوا

أريد كتم الهوى حيناً فيمنعني *** تهتكى كيف لا والحب فضاح⁽⁵²⁾

والأمير في شعره الصوفي ينتقل من عالم البشرية المادية إلى عالم الإنسانية الروحية⁽⁵³⁾. أما عن المدائح النبوية، التي وجد فيها الشعراء المتصوفون ملجأ سكنوا إليه، دفعهم إلى ذلك الحالة التي آل إليها المسلمون حين تخطفهم الأعداء وتكالبت عليهم المحن، فقد كان أهمها عند الأمير قوله:

يا سيدي يا رسول الله يا سندي *** ويا رجائي ويا حصني ويا مددي

وكذلك قوله:

وجهت وجهي أنلني ما دعوت به *** بأهل بدر حماة الدين أكانا

وتجدر الإشارة أن ظاهرة المدائح النبوية منتشرة كثيرا بالمغرب العربي، وخاصة بالجزائر، إذ ينزل فيها الشاعر باللغة من المستوى المثالي موظفا ألفاظا أقرب إلى العامية، وغالبا ما يستهل المديح أو يختم بالصلاة والسلام على رسول الله، وفضلا عن المدائح النبوية نجد للأمير مقطوعات صغيرة قالها في أهل مكة والمدينة تشوقا إليهم، ومحبة فيهم، وهي ما يعرف بالجزائيات كقوله في أهل المدينة:

أوقات وصلكم، عيد وأفراح *** يا من هم الروح لي، والروح والراح

يا من إذا اكتحلت عيني بطلعتهم *** وحققت في محيا الحسن تراتح⁽⁵⁴⁾

الأمير عبد القادر الجزائري والحركة الأدبية

ويبقى عبد القادر الجزائري مهما قيل عنه مهضوم الحق لأنه ليس رجل حرب أو أدب فحسب، بل أنه رجل رسم تاريخ أمة.

المصادر والمراجع:

ديوان الأمير عبد القادر الجزائري: شرح وتحقيق ممدوح حقي، ط1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دت.

محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، ج1 و2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1384هـ/1964م.

حسن السندوبي: أعيان البيان، ط1، المطبعة الجمالية، بحارة الروم، مصر، 1332هـ/1915م.

فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دط، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1983م.

عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث: ديوان المطبوعات الجامعية، دار الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1993م.

مجلة الثقافة (عدد خاص)، السنة 13، عدد 75، رجب/شعبان 1403هـ /ماي/جوان 1983م، الجزائر، مقال لأحمد الجندي.

الهوامش البحث :

(1) ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، شرح وتحقيق ممدوح حقي، ط1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دت، ص 12.

- 2 (حسن السندوبي، أعيان البيان، ط1، المطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر، 1914م، ص 175.
- 3 (محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، بيروت، 1964م، ج21، ص 176.
- 4 (المرجع السابق، ص ص: 93-100.
- 5 (يحي بو عزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، ص 146-148.
- 6 (المرجع نفسه، ص 147.
- 7 (فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، ص 186.
- 8 (الديوان: ص 14.
- 9 (الديوان، ص 16.
- 10 (المصدر نفسه، ص 16.
- 11 (المصدر نفسه، ص 15.
- 12 (المصدر نفسه، ص 15-16.
- 13 (الديوان، ص 45.
- 14 (المصدر نفسه، ص 32.
- 15 (المصدر نفسه، ص 35.
- 16 (محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ص 219.
- 17 (الديوان، ص 36.
- 18 (فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص 32.
- 19 (الديوان، ص 28.

- 20 (المصدر نفسه، ص 95.
21 (المصدر نفسه، ص 97.
22 (الديوان، ص 22.
23 (المصدر نفسه، ص 46.
24 (أحمد الجندي: مجلة الثقافة، عدد 25، ماي/جوان 1983، الجزائر، ص 321.
25 (الديوان، ص 45.
26 (المصدر نفسه، ص 41.
27 (المصدر نفسه، ص 43.
28 (المصدر نفسه، ص 43.
29 (المصدر نفسه، ص 41.
30 (الديوان، ص 40.
31 (المصدر نفسه، ص 75.
32 (المصدر نفسه، ص 139.
33 (الديوان، ص 138.
34 (المصدر نفسه، ص 141.
35 (المصدر نفسه، ص 59.
36 (المصدر نفسه، ص 105.
37 (الديوان، ص 109.
38 (المصدر نفسه، ص 114.
39 (المصدر نفسه، ص 120.
40 (المصدر نفسه، ص 122.

- 41 (الديوان، ص 78.
- 42 (المصدر نفسه، ص 79.
- 43 (المصدر نفسه، ص 81.
- 44 (فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص 249.
- 45 (عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، درة الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1993م، ص 249.
- 46 (الديوان: ص 160.
- 47 (المصدر نفسه، ص 22.
- 48 (المصدر نفسه، ص 23.
- 49 (الديوان ، ص 230.
- 50 (المصدر نفسه، ص 230.
- 51 (المصدر نفسه ، ص 234.
- 52 (الديوان ص 235.
- 53 (يحي بو عزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص 159.
- 54 (المصدر نفسه، ص 152.

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

د. رافع رضا.

جامعة بومرداس.

الملخص باللغة العربية:

تتناول هذه الورقة البحثية قضية تأثير النحو الكوفي على النحو الأندلسي، وهي تبين مدى التواصل بين المشرق والمغرب (الأندلس) في المسائل النحوية، كما أتمها ترصد أهم الأسباب التي ساهمت في التأثير على التفكير النحوي عند علماء الأندلس، وتبين بعض المسائل النحوية التي لقيت قبولا عند بعض النحويين، وهذا لا يعني أن أغلب النحاة الأندلسيين كانوا متأثرين بنحو أهل الكوفة أو البصرة، وإنما هي مسائل نحوية مُعينة لقيت استحسانا عند بعضهم.

Abstract:

This research paper deals with the issue of the influence of Kufic grammar in Andalusian grammar, and it shows the extent of communication between the East and the Maghreb (Andalusia) in grammatical matters, as well as it monitors the most important reasons that contributed to influencing the grammatical thinking of Andalusian scholars, and shows some of the grammatical issues that were accepted by Some grammarians, and this does not mean that most Andalusian grammarians were influenced by the people of Kufa or Basra. Rather, they are specific grammatical issues that were favored by some.

مقدمة:

ظهرت البواكير الأولى للنحو العربي في المشرق من أجل صون اللغة العربية من لوثة الأعاجم بعد أن فشا اللحن في الكلام العربي، بل تجاوزه في بعض الأحيان إلى القرآن الكريم، وقد كانت العراق مهذاً لتأصيل هذا العلم الجليل، ولعلَّ أهل البصرة قد انشغلوا بالنحو وتعهده بالريادة قرابة قرن من الزمن، وحين ذاك كان العلماء الكوفيون منشغلين برواية الأشعار والتندر، إلا أنَّ الأمر في الأندلس يختلف عن هذه الشاكلة؛ لأنَّ العربيَّة هناك لم تكن قويَّة سامقة الفروع في بدايتها الأولى، وإنَّما كانت لغة ناشئة محتاجة إلى جمع التَّصوص أكثر من حاجتها إلى وضع ضوابط تنتجى سمت كلام العرب، لكن سرعان ما

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

خطت الدّراسات النحوية بعد ذلك خطوات حثيئةً بعد أن استتب الأمر للعرب في الأندلس، وهذه الخطوات الأولى للدراسات النحوية في بلاد الأندلس شهدت نوعاً من التأثر بنزعة النحو الكوفي، والإشكالية التي يطرحها هذا المقال هي: ما الأسباب التي جعلت النحاة الأندلسيين في بداية عهدهم يتأثرون بالنحو الكوفي؟ وما هي أبرز القضايا النحوية التي لقيت صدى عندهم؟.

1-اهتمام الأندلسيين بالدراسات النحوية:

لقد كان الأندلسيون حريصين على الاعتناء باللغة العربية في مخاطباتهم ومجالسهم العلميّة كما سعوا للحفاظ على استقامة ألفاظهم، وصحّة كلامهم وحُلوه من اللّحن، و"كان الذي يلحن في درس أو قراءة يُنظر إليه نظرة ازدراء واستهجان، بل إنّ العالم منهم في أيّ علم كان، إذا لم يكن عارفاً بالنحو وفنونه لا يكون جديراً بالاحترام والتميّز"⁽¹⁾.

ولا عجب أن نجد نحاة الأندلس يتزايدون يوماً بعد يوم، وينهلون من مجالس علمائهم بل فيهم من شدّ الرّجال إلى المشرق طالبا للعلم مستزيدا فيه، وقد أحصى سعيد الأفغاني في بغية الوعاة للسيوطي سبعمائة واثني عشر نحوياً أندلسياً، وهو عدد يساوي ثلث عدد النحاة في العالم الإسلامي كلّهُ⁽²⁾، وهذا دليل على المكانة التي نالها النحو عند الفرد الأندلسي، يقول ابن سعيد المغربي: "كل عالم في أيّ علم لا يكون متمكناً من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتميز، ولا سالم من الازدراء"⁽³⁾.

ولاشك أن كثرة هؤلاء النحاة على اختلاف عصورهم وتنوع مشاربهم أثرت الدّراسة النحوية الأندلسية إثراءً كبيراً، وسأحاول أن أقف عند حدود هذا الإثراء انطلاقاً من المدرسة الكوفية أولاً، لأنّ نفحات النحو الكوفي كانت سبّاقة في الوصول إلى الأندلس، معرجاً بعدها إلى المدرسة البصرية التي أثّرت تأثيراً كبيراً على فكر الأندلسيين فيما بعد.

2. أسباب انتشار المذهب الكوفي في الأندلس:

لقد أجمع الدارسون للنحو الأندلسي أنّه بدأ بنزعة كوفيّة خالصة، والسبب في ذلك يعود إلى عامل تاريخي؛ فالأندلسيون لما أقبلوا على طلب النحو العربي وجدوا النحو

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

الكوفيّ في بداية مخاضه، وآراءه النحوية الأولى بسيطة بعيدة عن التعقيد، فأخذوا بها، لأنهم وجدوا فيها سهولة ويسراً يناسب مستواهم العلمي، فبساطة الآراء الكوفية كانت محطّ اهتمام الأندلسيين المبتدئين في علم النحو⁽⁴⁾، وهذا أمر طبيعي لأنّ الدارس لعلم من العلوم بطبيعة الحال يتدرج فيه من السهل إلى الصعب الأكثر دقة وإحكاماً. أمّا البصريون فمذهبيهم كان قد اكتمل نضجاً، فخاضوا في العلل واهتمّوا بالقياس وانهرؤا به حتى كاد أن يكون النحو عندهم هو القياس، قال أبو علي الفارسي (ت377هـ): "أخطئ في خمسين مسألة في اللّغة، ولا أخطئ في واحدة من القياس"⁽⁵⁾، ونتيجة لهذا التشدّد في القياس والتشعب في العلل، نفر الأندلسيون المبتدئون من النحو البصريّ وتعقيداته، واتّجهوا إلى النحو الكوفيّ القائم على السماع الميسر، وابتعدوا عن غيره، فهم لم يتحرّوا صحّة ما يصل إليهم من مواد، بل لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه⁽⁶⁾، كما أنّهم كانوا يبتعدون عن مسائل التّأويل والتّقدير والأحكام العقلية ويقلّون من صور المحذوف⁽⁷⁾، على عكس نظرائهم البصريين الذين يتحرّون في المسموع عن الرّوابة الثقات، واشتروا في الحمل على القياس الأكثر وإلّا الكثير وإلا على القليل فالأقل وإلا على التّادر، أو حمل الشّبه على الشّبه والنّظير على النّظير⁽⁸⁾، فمذهبيهم مذهب سماع يأخذ بجميع لغات العرب سكان البادية أو الحاضرة، سواء أكانوا منعزلين أم مخالطين لغيرهم من الأمم، فالكوفيون يهون عليهم نقض قاعدة نحوية أو أصل من أصول النحو ولا يهون عليهم طرح المسموع⁽⁹⁾، وهم بمنهجهم هذا يحاولون وضع قواعد للموجود الشاذ دون إهمال شيء حتى الموضوع والمصنوع⁽¹⁰⁾، ولاشك أن البعد الزمني بين تأثير المذهب الكوفي على النحاة الأندلسيين الأوائل لعب دوراً مهماً في تعلقهم بالآراء النحوية، فبعد مرور قرن على دخول النحو الكوفي إلى الأندلس دخل النحو البصري عن طريق محمد بن موسى الأفشين - أو الأفشينق - (ت:307هـ) الذي ذهب إلى البصرة، وأخذ عن المازني، ثم ذهب إلى مصر واستنسخ كتاب سيبويه رواية عن أبي علي أحمد بن جعفر الدينوري (ت:289هـ)، وأدخله معه إلى الأندلس⁽¹¹⁾، ومن أبرز أسباب تأثر الأندلسيين بالنحو الكوفي نذكر:

1.2- انتقال العلماء من الأندلس إلى المشرق:

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

لقد لعبت الرّحلة في سبيل طلب العلم من الأندلس إلى المشرق دوراً هاماً في شيوع المذهب الكوفي في الأندلس، فرحلة جُودي السابقة رافقتها رحلاتٌ علمية أخرى، كرحلة قاسم بن أصبغ سنة (274هـ)، وهناك لقي علماء مشهورين منهم: المبرد وأبو العباس ثعلب، وابن قتيبة الدينوري المتوفى حوالي (270هـ)،... ورحلة عبد السلام بن ثعلبة الخشني المتوفى سنة 286هـ، الذي عاد إلى الأندلس محملاً بكثير من كتب اللُغة والشّعر الجاهلي، ورحلة محمد بن أبي علاقة البواب القرطبي الذي التقى في رحلته بابن الأنباري ونفطويه. وكتب التّراجم والسير تعجُّ بأسماء العلماء الذين حملوا أنفسهم جهد الرّحلة وركوب المخاطر إلى المشرق لتلقي العلم على يد الشيوخ الكبار من علماء الكوفة، وهذه الرحلات فيما بعد قلت ألفت بظلالها على التفكير النحوي الأندلسي.

2.2- انتقال العلماء من المشرق إلى الأندلس:

توافد كثير من علماء المشرق إلى الأندلس "لتوافر المرغبات مادياً وأدبياً، وممن وردها أبو علي القالي الذي رعاه أحسن رعاية الحكم المستنصر ولي عهد أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر سنة 333هـ وأحسن مثواه حتى لقي ربه"⁽¹²⁾.

3.2- وصول المؤلفات الكوفية إلى بلاد الأندلس:

لقد وصلت الآراء الكوفية إلى الأندلس بوصول كتاب الكسائي وإقبال الدّارسين عليه، وكتابه وصل عن طريق جُودي بن عثمان المتوفى سنة (198هـ)، وهو على ما يبدو كتاب صغير ومختصر، يعطي الفائدة المرجوة دون توسع في القياس أو عمق في الأفكار، فهو خير وسيلة تعليمية لقوم حديثي العهد بعلم النحو⁽¹³⁾، وتذكر المصادر في شأن هذا الكتاب أنّ جودي بن عثمان قد رحل إلى المشرق وروى هناك عن الكسائي والفراء والريثاني، وروى عن الكسائي كتابه، واستصحبه معه في عودته، غير أنه ولى وجهه شطر قرطبة، فكان أول من أدخل كتاب الكسائي لهذه البلاد، وله كتاب في النحو يسمى، "منبه الحجارة"⁽¹⁴⁾.

لقد انكبَّ علماء الأندلس في هذه الفترة الأولى على دراسة وشرح هذا الكتاب، ولعلّ هذه الدراسة كانت بمثابة اللبنة الأولى لرسوخ علم النحو في الأندلس، ولاشك أن هذا العلم كان يربو عن سائر العلوم اللغوية الأخرى التي شاعت في الأندلس دراسة وشرحا ونقداً، والظاهر أن الأندلس تأخرت في عنايتها بالنحو البصري، و"أنّها صبّت عنايتها أولاً على

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

النحو الكوفي مقتدية بنحوها الأول جودي بن عثمان⁽¹⁵⁾. وسنحاول في هذا المقام التطرق إلى أبرز النحاة الأوائل الذين اهتموا بشرح كتاب الكسائي في بلاد الأندلس:

- أبو الحسن مُفَرَّج بن مالك النَّحوي: لُقِّبَ بالبغل، وله كتاب في شرح كتاب الكسائي⁽¹⁶⁾، عبد الله بن سليمان بن المنذر بن سالم المكفوف: الملقب دُرَيْوْد، بفتح الدال والواو وبينهما راء ساكنة، وربما صَغَّرَ فقيلاً (دُرَيْوْد)، وكان أعمى، اشتهر بالنحو والأدب وقرض الشعر ومدح الملوك⁽¹⁷⁾، وقد شرح كتاب الكسائي، كانت وفاته سنة خمس وعشرين وثلاثمائة للهجرة⁽¹⁸⁾، محمَّد بن سليمان الأنصاري المعروف بالجُرْفِي كان مقرئاً ذا فضل وعبادة وورع، توفي في رجب من سنة (326هـ)⁽¹⁹⁾، أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد اللغوي الأندلسي لُقِّبَ بصاحب الشُّرْطَة تكريماً وتشريفاً لعلمه وسمو مكانته، وله كتاب العالم في اللُّغة في نحو مائة مجلد، وله شرح كتاب الأخفش، توفي سنة (382هـ)⁽²⁰⁾، وكانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم في المئة الخامسة تفسير الحوفي لكتاب الكسائي⁽²¹⁾.

وعموماً فإنَّ هذه طائفة حسنة من العلماء والنحاة الأندلسيين الذين عنيوا بالنحو الكوفي خاصة آراء الكسائي والفراء الذين أقبل على مؤلفاتهم نحاة الأندلس بالدراسة والشرح.

3- المسائل النحوية الكوفية عند الأندلسيين:

سنحاول في هذا المقام الوقوف عند أبرز القضايا النحوية التي وافق فيها الأندلسيون نحاة الكوفة ومنها:

- العامل في المبتدأ والخبر:

وافق بعض نحاة الأندلس نحاة الكوفة في العامل في المبتدأ والخبر، فالكوفيون يرون أنَّ المبتدأ والخبر "يترافعان، وأنَّ كلَّ واحد منهما يرفع الآخر"⁽²²⁾، وهذا الرأي يظهر في قول أبي حيان في كتابه ارتشاف الضرب بعد أن استعرض آراء المذهبين البصري والكوفي فقال: "الذي نختاره من هذه المذاهب هو مذهب الكوفيين، وهو أنَّهما يرفع كل منهما الآخر"⁽²³⁾، ورأي الكوفيين قد لقي انتقاداً من علماء البصرة الذين يرون أن العامل لا يمون عاملاً ومعمولاً في الوقت نفسه.

- الاسم الواقع بعد لولا:

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

اختلف النحاة في الاسم الواقع بعد لولا الامتناعية فذهب البصريون إلى أن الاسم المرفوع بعد لولا مبتدأ وخبره محذوف وجوبا، أمّا الكوفيون فيرون أن الاسم المرفوع فاعل لفعل محذوف، وقد وافق هذا الرأي من نحاة الأندلس المالقي (ت 706هـ) فقال: " الاسم الواقع بعد لولا يرتفع على تقدير فعلٍ نابت "لا" منابه، فإذا قلت: (لولا زيدٌ لأكرمتك)، وقوله تعالى: ﴿... لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ / 31]، فالعنى: لو انعدم زيدٌ، ولو انعدمتم، وهذا هو الصحيح، لأنّه إذا زالت "لا" وُلِيَ "لو" الفعل ظاهراً أو مقدّراً، وإذا دخلت " لا " كان بعدها الاسم، فهذا يدل على أنّ " لا " نائبة مناب الفعل... وممّا يدل على أنّ ما بعد "لولا" من الظواهر والمضمر المنفصل ليس مبتدأ أنّ "أنّ" المفتوحة تقع في موضعه في نحو: (لولا أنّك منطلق لأحسنت إليك)، ولا تقع في موقع المبتدأ إلاّ المكسورة، فاعلمه⁽²⁴⁾، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرأي لم يكن شائعاً عند أغلب نحاة الأندلس.

-اسمية رُبّ:

لفظ رُبّ من الألفاظ التي وقع فيها خلافٌ بين النحاة حول حرفيتها أو اسميتها، فالبصريون يرون أنّها حرف جرّ شبيه بالزائد، أمّا الكوفيون فيرونها اسماً يحكم على موضعه بالإعراب، وحجّتهم في اسميتها أنّها محمولة على "كم"، لأنّ كم للعدد والتّكثير، ورُبّ للعدد والتّقليل، فكما أنّ كم اسم فكذلك رُبّ⁽²⁵⁾، واستدلوا على اسميتها بالإخبار عنها، كقول الشّاعر ثابت قطنه، [الكامل]:

إِنْ يَفْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ عَاراً عَلَيْكَ وَرُبَّ قَتْلِ عَارٍ⁽²⁶⁾

فلفظ (رُبّ) عند الكوفيين مبتدأ، و(قتل) مضاف إليه، وخبره لفظ (عار). ورأي الكوفيين هذا لقي صدى عند بعض الأندلسيين من أمثال ابن الطراوة النحوي الأندلسي وتلميذه أبي القاسم السهيلي الذي يدعم رأي شيخه قائلاً: "وأجاز الكسائي أن تكون رُبّ اسماً مبتدأ، والمرفوع خبرها، وإليه كان يذهب شيخنا أبو الحسين سليمان بن الطراوة السبائي، ومنذُ سمعتُ هذا القول لم أقدر أن أعرج معتقدي عنه"⁽²⁷⁾، والثابت في هذه المسألة أنّ نحاة البصرة يجمعون على حرفية ربّ.

-إعراب المثني والجمع:

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

وافق ابن خروف الكوفيين في أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع علامات إعراب، ومذهب البصريين أنها حروف إعراب بمنزلة التاء من (قائمة)، والألف من (حبلى)⁽²⁸⁾.

- الفعل حبذا:

عدّ البصريون صيغة حبذا فعلا لا اسما ، لأنّ الجزء الأول منها فعل فغلب عليها الفعلية، لأنّ القوة للجزء الأول⁽²⁹⁾، أمّا الكوفيون فرأوا أنّها اسم وافقهم من نحاة الأندلس ابن عصفور الإشبيلي الذي عدها اسما وراح يسرد حجج الكوفيين، ليخلص في الأخير إلى جعلها اسما فقال: "... والذاهبون إلى أنّه اسمٌ استدلوا على ذلك بأنّ تغليب الاسم على الفعل أولى من تغليب الفعل على الاسم، لأنّ الأسماء أصل الأفعال، والأصول أبدا تغلب على الفروع إذا اجتمعت... وهذا هو أصح المذاهب في حبذا"⁽³⁰⁾. وتبقى هذه المسألة خلافية بين نحاة المدرستين.

-العامل في الفعل المضارع المرفوع:

ذهب البصريون إلى أنّ العامل في رفع الفعل المضارع هو ارتفاعه لمشابهته الاسم، فهو "عامل معنوي لا لفظي فأشبهه الابتداء، فكما أن الابتداء يوجب الرفع، فكذلك ما أشبهه"⁽³¹⁾، أمّا الفراء النحوي الكوفي فيرى أن رافع الفعل المضارع " هو تجرده من النواصب والجوازم"⁽³²⁾، لأنّ الفعل المضارع يكون مجزوما إذا سبق بجازم، ويكون منصوبا إذا سبق بناصب، ويكون مرفوعا إذا تجرد من النواصب والجوازم، وقد لقي هذا الرأي استحسانا عن ابن خروف وهو من أشهر نحاة الأندلس الذي قال: " ورفعه لعدم الجازم والناصب لا لوقوعه موقع الاسم"⁽³³⁾ ، ويظهر من رأي ابن خروف موافقته لرأي الفراء الكوفي، وتجدر الإشارة إلى اختلاف النحاة الكوفيين في هذه المسألة حتى أنّ الكسائي يرى أن الفعل المضارع 'نما ارتفع لمجيء الزوائد في أوّله وهي حروف المضارعة، وقد رمي قوله هذا بالضعف لأنّها لو كانت علة في رفعه لما انتصب بدخول النواصب ولما انجزم بدخول الجوازم عليه.

-دخول اللام على خبر لكنّ:

منع البصريون دخول اللام على خبر (لكنّ)، أمّا الكوفيون فقد أجازوا دخول اللام على خبر لكنّ قياسا لورود السماع بذلك عن العرب كقول الشاعر[الطويل]:

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

يَلُومُونِي فِي حُبِّ لَيْلَى عَوَاذِلِي وَلَكِنِّي مِنْ حُبِّهَا لَكَمِيدٌ.

كما أنّ الأصل في لَكَنَّ إنّ زيدت عليها (لا والكاف)، فصارتا جميعا حرفا واحدا⁽³⁴⁾، وتبعهم من نحاة الأندلس المالقي فقال: "والصحيح أنّ اللام دخلت في خبر لَكَنَّ على القياس، وإن جاء قليلا"⁽³⁵⁾، والخلاف بين النحويين في هذه المسألة يطول إلا أن الظاهر من كلام المالقي أنه يحترم المسموع من كلام العرب على شاكلة النحاة الكوفيين.

8- الإلغاء والإعمال في أفعال القلوب:

أفعال القلوب من الأفعال المتعدّية إلى مفعولين، ومن خصائصها أنّها إذا تأخرت أُلغيت، وإذا توسطت جاز الإعمال أو الإهمال، أمّا إذا تصدّرت فلا يجوز فيها الإلغاء عند البصريين، خلافا للكوفيين والأخفش وأبي بكر بن الزبيدي⁽³⁶⁾، وأثبت الشّاطبي هذا الرّأي فقال: "والَّذين أجازوا إغناءها مع التّقديم هم الكوفيون والأخفش وابن الطراوة"⁽³⁷⁾، غير أنّ الإعمال عنده أحسنُ من الإلغاء⁽³⁸⁾.

9- حذف نون الوقاية من ليت:

ذهب الكوفيون إلى جواز حذف نون الوقاية من (ليت)، " فيقال لي تي ، وعلى ذلك الفراء وثعلب، وأجاز ابن مالك الأندلسي تجرد لیت من نون الوقاية ، إلا أنّ ذلك عنده قليل، والأكثر اقترانها بها"⁽³⁹⁾، وذهب البصريون إلى أنّ نون الوقاية تلحق لیت ولا يجوز حذفها، وإذا حذف فإنها داخلة في باب الضرورة الشعرية، قال سيبويه: " قال الشعراء لي تي إذا اضطروا، كأنهم شبهوه بالاسم ، حيث قالوا الضاربي"⁽⁴⁰⁾.
خاتمة:

إنّ المتتبع لتاريخ الحركة النحوية في بلاد الأندلس يجد أن العلماء الأندلسيين في بداياتهم تأثروا بأراء النحويين الكوفيين، وهذا التأثير كما أسلفنا الذكر يعود إلى أسباب عديدة منها:

-رحلة علماء الأندلس إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية وحينها تتلمذوا على يد أشهر علمائها.

-عودة علماء الأندلس إلى بلادهم وقد حمل نحوهم جودي بن عثمان كتاب الكسائي معه ودرسه لطلبته في الأندلس.

تجليات النحو الكوفي في بلاد الأندلس

- مجيء عدد من العلماء المشاركة إلى بلاد الأندلس وقد تأثر بعضهم بالفكر النحوي الكوفي.
- النحو الكوفي لقي صداه عند النحاة الأندلسيين الأوائل، لكنه سرعان ما فتح المجال فسيحا أمام النحو البصري الذي ما فتئ يلقي إقبالا كبيرا خاصة كتاب سيبويه الذي تعدد شراحه.
- أغلب القضايا النحوية الأندلسية ذات الصبغة الكوفية كانت تدور في فلك بعض النحاة الأندلسيين لا ككلمهم.

الهوامش :

- (1)- سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ط1، 1993، ص: 309.
- (2)- مازن المبارك، سعيد الأفغاني حامل لواء العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 2002، ص: 111.
- (3) - المقري أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، د س، ج1، ص: 221.
- (4)- فادي صقر أحمد عصيد، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو، رسالة ماجستير، فلسطين، 2006، ص: 13.
- (5)- ابن جني، أبو عثمان، الخصائص، تح: محمد علي نجار، المكتبة العلمية، بيروت، 1952، ج2، ص: 88.
- (6)- الكنغراوي، صدر الدين، الموفي في النحو الكوفي، تعليق: محمد بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، 2010، ص: 588.

- (7)- عبد الله بن محمد الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة للطباعة، القاهرة، د ط، 1993، ص: 237.
- (8)- إبراهيم عبود السامرائي، المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2010، ص: 31.
- (9)- عبد الله بن حمد الخثران، المرجع السابق، ص: 237.
- (10)- عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1974، ص: 140.
- (11)- الهادي الفضلي، مراكز الدراسات النحوية، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1986، ص: 52، 53.
- (12)- الطنطاوي محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، د س، ص: 219.
- (13)- فادي صقر، المرجع السابق، ص: 14.
- (14)- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1995، ج1، ص: 201.
- (15)- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، د س، ص: 289.
- (16)- الزبيدي أبو بكر بن محمد، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ص: 273.
- (17)- نفسه، ص: 298.
- (18)- السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1979، ج2، ص: 44.
- (19)- الزبيدي، المصدر السابق، ص: 285.

- (20)- ياقوت الحموي، معجم الأدياء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 164.
- (21)- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د س، ص: 96.
- (22)- ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العربي بدمشق، د ط، د س، ص: 68.
- (23)- أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، ص: 921.
- (24)- المالقي، أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د ط، د س، ص: 294.
- (25)- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، الإنصافُ في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ج1، ص 319.
- (26)- ثابت قطنة، الديوان، تح: ماجد أحمد السامرائي، مطبعة الجمهورية، بغداد، العراق، د ط، 1970، ص: 18.
- (27)- السهيلي، أمالي السهيلي، تح: محمد إبراهيم البناء، مطبعة دار السعادة، القاهرة، د ط ، 1970، ص: 72.
- (28)- ابن خروف، علي بن محمد، شرح جمل الزجاجي، تح: سلوى محمد عمر عرب، مكتبة الملك فهد الوطنية، أم القرى، السعودية، د ط ، 1997، ج1، ص: 263.
- (29)- ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سوريا، د ط، د س، ص: 109.

- (30)- ابن عصفور، علي بن مؤمن، شرح جمل الزجاجي، إشراف: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج2، ص: 76، 77.
- (31)- ابن الأنباري، أسرار العربية، ص: 28.
- (32)- نفسه، ص: 29.
- (33)- ابن خروف، شرح جمل الزجاجي، ج1، ص: 273.
- (34)- ابن الأنباري، الإنصاف، ج1، ص: 171.
- (35)- المالقي، رصف المباني، ص: 279.
- (36)- أبو حيان، ارتشاف الضرب، ص: 2107.
- (37)- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: محمد إبراهيم البناء، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، ط1، أم القرى، السعودية، 2007، ج2، ص: 476.
- (38)- السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، دارعالم الكتب، القاهرة، د ط، 2001، ج2، ص: 229.
- (39)- محمد بن عمار درين، تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، سلسلة الرسائل الجامعية، الرياض، السعودية، ط1، 2006، ج1، ص: 126.
- (40)- سيبويه عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج2، ص: 370.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

د.العربي ركي

جامعة المدينة

الملخص بالعربية:

بدأ الفتح الإسلامي لبلاد (المغرب الأدنى) سنة: 21 هـ فكانت حملة عمرو بن العاص على برقة هي أول الفتح، و هو فتح ثقافي هدفه دعوة أهل المغرب إلى الإسلام الذي يوجب عليهم أن يتعلموا العربية لأنها أداة و وسيلة لتعلم الدين الإسلامي و شعائره التي لا تقام إلا بها واستمر الفتح إلى أن تم التعريب تلك البلاد في القرن الثاني الهجري في عهد عمر بن عبد العزيز الذي أمر أحد عماله إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر المخزومي، حيث اختاروا عشرة رجال ممن يحسنون التعليم فأرسلوا إلى القيروان و ابتنوا لهم مساكن ومساجد وكتاتيب متقاربة و جنباً لجنب.

يسعى البحث إلى بيان: نشأة التفسير و المراحل التي مر بها و أهم العوامل التي مهدت لنشأته، مبرزاً من خلال ذلك أهم خصائص التفسير في هذه المرحلة مبيناً البصمة المغربية عليه، و أهم العوامل التي ساهمت في تأسيس علم التفسير و المناهل العلمية التي كونت الشخصية العلمية المغاربية، و التأثيرات الخارجية – الاتصال بالشرق-، و دور الكتاتيب والمساجد في تعليم علوم اللغة العربية و القرآن الكريم، و كذا دعوة الإسلام إلى العلم و طلبه و شد الرحال إليه و التواضع في طلبه و تبجيل العلماء، و الوقوف على أول تفسير مغربي ظهر في تلك الحقبة الزمنية.

الكلمات المفتاحية:الفتح، التفسير، الكتاتيب، المساجد، العربية، شعائر، المغرب، القرآن، الفاتحين، المأثور، تعليم، تعلم.

الملخص بالإنجليزية:

From the Islamic openings till the 4th century AH

The Islamic openings to the lower Maghreb (Morocco) began on 21 AH. The first opening was of Amr ibn al-Aas on the city of Burqa . It was a cultural opening aimed at inviting the people of Maghreb to Islam, and therefore learning the Arabic language since it is the only means to learn Islam with all its rituals and practices ,The openings lasted until the Arabization of all that land on the second century AH (After Hijra) in the

era of Ben Abdul Aziz. This latter ordered one of his workers Ismail bin Abdullah bin Abi Muhajir Makhzoumi to choose ten literate men who know reading and writing and send them to Kairouan where they built for them homes, mosques and kuttabs close to each other.

This research paper aims at highlighting the emergence of Tafsir , the stages that it passed through and all the factors that were involved in its foundation. I focused on the main characteristics of Tafsir at this stage indicating the Moroccan fingerprints on it, and the main factors that led to the emergence of this science. I tried also to show the scientific approaches that contributed in developing this science and creating the Moroccan scientific personality, the external influences, the contact between the orient and the west, and the great role of kuttabs and masjids (mosques) in teaching the Arabic language, Fiqh sciences and the holy Quran. The research shows also that Islam calls for requesting science, the reverence of scientists, modesty, and looking for the truth wherever it could be. It seeks to find the first Moroccan interpretation (Tafsir) that emerged in that era.

استهلال:

- قسم المؤرخون بلاد المغرب تقسيمات عدة و سموها تسميات شتى، فالقدماء كانوا يسمونها بإفريقية ثم سماها من جاء بعدهم ببلاد المغرب¹ وهي عندهم تقسم إلى:
- 01 – المغرب الأدنى: وهو يضم تونس وليبيا وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر.
- 02 – المغرب الأوسط: ويضم ما بقي من الجزائر.
- 03 – المغرب الأقصى: وهو يضم المغرب.

بدأ المسلمون فتح بلاد المغرب على مراحل، فكانت أول حملة لعمر بن العاص سنة (21 هـ)، حيث فتح القسم الشرقي لطرابلس، ثم الحملة الثانية كانت في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (27 هـ)، حيث جمع كبار الصحابة مستشيرا إياهم في أمر فتح و غزوا إفريقيا، و حثهم على الخروج لفتح إفريقيا و سميت تلك الغزوة بغزوة العبادلة² ثم تلتها حملة عقبة بن نافع سنة (50 هـ) حيث فتحها فتحا مينا ونهائيا، فخضع المغرب لسلطان المسلمين، و هنا نشير إلى أن الحملات السابقة لعقبة بن نافع لم تنجح بشكل كبير لأسباب كثيرة موجودة في كتب التاريخ، ليس هذا حين الكلام عليها، ولقد

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

استغرق تعريب بلاد المغرب (70 سنة) و هي مدة قصيرة إذا ما قورنت بتعريب بلاد المشرق، ولذلك أسباب جعلت بلاد المغرب تتحول تحولا سريعا فتعرب لسانها، و أسلمت مع الفاتحين لله رب العالمين.

اهتم الفاتحون الأوائل بأمرين اثنين متلازمين: تعليم العربية و نشر تعاليم الدين الإسلامي، و نشر تعاليم الإسلام يتطلب نشر اللغة العربية التي هي الأداة والوسيلة التي بها أداء شعائر الإسلام، و فعلا لقد أقبل سكان المغرب على اللغة العربية و الإسلام إقبالا لا نظير له رغم وجود بعض ممن ناوأ الفاتحين في بادئ الأمر ولكن سرعان ما عدلوا عن ذلك و دخلوا تحت راية الإسلام و العروبة، فتعلم العربية كتابة و قراءة وفهما و دراية كان من أولويات الفاتحين و سكان المغرب فهي وسيلة التواصل بين الفاتحين و سكان المغرب، فاللغة العربية والقرآن الكريم يسيران جنبا لجنب، فكان تعلم العربية حبا فيها و حبا لمعرفة القرآن الكريم ومعرفة معانيه وكيفية تلاوته، فهي أداة المبتدئ و المنتهي، لذلك يحرص على تعلمها كل من أراد علما من علوم العربية أو علوم القرآن، فلا تجد عالما من العلماء إلا و له نصيب منها و حظ كبير من علومها، فالعلاقة بين العربية والقرآن علاقة تلازم، فطلب أحدهما يلزمه الآخر، لذلك كان القرآن الكريم محل اهتمام العلماء و المسلمين جميعا فقد تعهدت يد العناية من جوانب شتى تلاوة و حفظا و تفسيرا و خطأ و رسما و دراية ... فقد نال الحظ الأكبر من العناية والرعاية، مع اختلاف في الأسبقية، و كل علم تتفرع عنه علوم أخرى كما هو معلوم.

إن أسبقية المشرق للمغرب في جميع العلوم فضل يقر به القاصي والداني، فقد نزل القرآن في الحجاز و كانوا أهل عربية رضعوا لسانها منذ نعومة أظفارهم، و اعتنوا بها عناية فائقة، فحفظوها من التأثيرات الخارجية التي تصيب اللسان، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاخَذَرَهُمُ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾³، أما سكان المغرب فكانوا على غير ذلك، كما أن علماء المغرب قد تتلمذوا على أيدي المشاركة في بداية الفتح و فيما بعده عن طريق الرحلات العلمية.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

فالفاتحون الأوائل لبلاد المغرب كانوا من الصحابة (ومع كثرة الصحابة رضي الله عنهم الذين دخلوا إفريقية فقد كان لأحداث الفتح وكثرة ارتداد الفارقة وتكرار إعادة الفتح أثره في انشغال الصحابة رضي الله عنهم عن الاستقرار في إفريقية للتعليم ولذا لم تذكر المصادر شيئاً من هذا الجانب التعليمي)⁴ والتابعين الذين دخلوا القيروان وبنوا بها مسجد القيروان الذي كان له الدور الأكبر في نشر العربية و الإسلام، فقد كان من أولويات الفاتحين بناء المساجد محاذية لمساكلهم وجعلوا الكتاتيب بقرها لتعليم الناشئة العربية و تحفيظهم القرآن الكريم، (فقد اختط كل واحد من أعضاء البعثة دارا لسكناه و مسجدا لعبادته وكتابا لتحفيظ القرآن)⁵، و ما تزال تلك الخطة حتى عصرنا هذا في كل مصر أو قطر من أقطار الإسلام، (و لم يدخل الإسلام بلدا إلا رافقه التعليم و العلم، إذ كان المسلمون لا ينزلون بلدا أو يقتحونه إلا أقاموا فيه مسجدا و أخذوا يدعون للإسلام و يحفظون الناس القرآن و ينشئون لهم الكتاتيب و تتحول الناشئة بعد حفظ القرآن إلى حلقات العلماء في المساجد يدرسون عليهم شيئاً من تفسير القرآن الكريم و الحديث النبوي و الفقه كما يدرسون عليهم العربية)⁶، فهذا هو المنهج المتبع لتعليم الناشئة في تلك العصور و ما تزال بعض الدول تسير على ذلك إلى يومنا هذا.

مصادر التفسير في هذه المرحلة:

إن التفسير في هذه المرحلة كان تفسيراً بالمأثور بالدرجة الأولى، و هو تفسير استدعته جملة من العوامل و الدوافع فالمرحلة كانت مرحلة تمهيد لنشر الإسلام بالدرجة الأولى فكان لزاماً على الدعاة و المفسرين أن ييسروا للناس أمور الدين لذا فإننا نرى أن التفاسير التي تناقلها من دونوا الكتب أخذت من المصادر التالية:

-الصحيح من الأحاديث المرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه، أما الأحاديث الضعيفة والموضوعة فإنها مستبعدة من ذلك و لا يتأتى ذلك إلا بمعرفة علم الحديث حتى يحترس به من الوقوع في الزيف و التحريف، وأغلب التفسيرات التي وردت عن الرسول صلى الله عليه جاءت على شكل أحاديث رواها أصحاب الصحاح و المسانيد فمن ذلك ما رواه البخاري، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾⁷، شق على المسلمين أمر الآية و أشكل

عليهم فهمها لما ذكرت كلمة الظلم التي كانت تعني عندهم الظلم مطلقا أي التعدي على الغير ، فسألوا الرسول صلى الله عليه فقالوا: يا رسول الله أين لا يظلم نفسه ؟ قال ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁸.

-أقوال الصحابة الصحيحة المأثورة عنهم، فهم في المرتبة الثانية بعد الرسول صلى الله عليه، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (سلوني فوالذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيم نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته)⁹، وكلمهم من رسول الله مقتبس، فقد كانت همة هؤلاء عالية، لا تعرف الفتور والضعف، ولا التكبر والاستنكاف، فلا تجد تفسيراً من التفاسير إلا وفسر القرءان بأخذه من تلك المصادر، فهذه المصادر ما يزال المفسرون يعتمدونها في تفاسيرهم إلى الآن، وكان الصحابة و التابعون يتلقون ذلك مشافهة و حفظاً، فلما جاء عصر التدوين دونها مشفوعة بالأسانيد، وبالتالي حققوا الأمانة العلمية ، فتلقت الأمة تلك التفاسير بالقبول والرضا.

دوافع ظهور التفسير:

قد تتماثل دوافع ظهور العلوم، ومما تتماثل فيه العلوم حين تظهر الحاجة إليها فمثلا علوم الأرض و الطبيعة و الطب ... سيرا على القاعدة العامة الحاجة أم الاختراع، و قد يكون الدافع الإعجاب وحب المعرفة، فالإنسان مجبول على حب المعرفة، كما طلب أن العلم في الإسلام عبادة يؤجر عليها المسلم، هذه الدوافع - حسب رأينا - هي التي دفعت هذا الكم الهائل من العلماء والباحثين إلى البحث في القرءان الكريم ودراسة قضايا التي تعن في كل عصر من العصور، و تطبيقا لقول نبينا عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرءان وعلمه)¹⁰، و التعلم ههنا عام يشمل كل علوم القرءان من قراءات و التفسير وأسباب النزول و الناسخ و المنسوخ ... فتعلم العلم في الإسلام هو الأساس الذي تبنى به المجتمعات والحضارات، فالعالم في الإسلام يفضل العابد كما هو معروف، فترغيب الإسلام الناس في العلم كان له كبير الأثر في شحذ همم طلاب العلم والعلماء.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

ويتضح الأمر جليا في سكان المغرب حين دخلوا في الإسلام وتعلموا العربية في زمن قصير، وهو أمر يدل على تلك الرغبة العارمة التي نشأت في نفوس هؤلاء بسبب تعاليم الإسلام وسماحته ومعاملة الفاتحين لغيرهم، والعدالة التي جاءوا بها، كل هذه الدوافع ساهمت في نشر الإسلام واللغة العربية وانتشار العلم والعلوم الإسلامية خاصة علوم القرآن وعلوم العربية.

دور الرحلات العلمية في تطور علم التفسير:

إن النهضة العلمية التي قامت في المشرق كانت متعددة الجوانب، كثيرة المشارب، وكان التنافس في بلاد المشرق على قدم وساق بين العلماء خاصة في مجال التأليف، وكانت العلوم الإسلامية قد حظيت بعناية العلماء والباحثين تأليف وتديسا، فشدت الرحال إلى الحجاز والعراق ومصر، فقطع المشرق شوطا متقدما في مجال العلوم المختلفة وكان المغرب الأدنى ما يزال يتدرج في سلم التطور وكان لزاما عليه حتى تتسارع خطاه نحو تلك النهضة أن يشد الرحال إلى مناهل العلوم ومنابعها ليطلب العلم ويتوسع فيه يبتغي الزيادة (ومن أشهر من رحل منهم إلى المشرق عبد الرحمن بن زياد بن انعم (74-161)، وعبد الله بن فروخ الفارسي (115-176) و الهلول بن راشد الرعييني (128-183)، وعبد بن عمر بن غانم الرعييني (128-190)، وأسد بن الفرات (142-214) وغيرهم)¹¹، وهذا ما يؤكد الاتصال بين المشرق والمغرب، ومدى تأثير المغرب بعلماء المشرق، كما كان لرحلات الحج أثر كبير في اتصال علماء المغرب بعلماء الحجاز، حيث كانت زيارة البيت الحرام داعيا من دواعي طلب العلم في تلك العصور، فبعد أن تؤدي المناسك تقام حلقات العلم في الدين وغيره.

مراحل تطور علم التفسير:

إن تتبع ظاهرة ما أو علم من العلوم ورصد أهم التحولات التي لحقته في سيرورته التاريخية يبدو من الأمور التي تعسر على الباحث خاصة إذا كانت المؤلفات التي تركها الأجداد لحقها ما لحقها من عوامل التلف، فقد تعرضت بعض المكتبات للحرق في أزمنة الفتن التي لحقت دويلات المغرب العربي، ومهما يكن من أمر، فإننا سنحاول رصد أهم التطورات التي لحقت بعض العلوم، مع وجود قلة من المصادر التي لم تشر إلى علم التفسير

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

وإن كانت الإشارة في الكتب لا تفي بالغرض، يذهب أغلب الباحثين إلى أن العلوم الإسلامية والعربية استقرت أسسها وقننت قوانينها وقعدت قواعدها في نهاية القرن الثاني الهجري، و من تلك العلوم التي استكملت حلقة بنائها علوم القرآن التي انبثقت من القرآن الكريم مثل الفراءات التي كانت أسبق علوم القرآن الكريم ظهوراً ، ذلك أن القرآن الكريم نزل مشافهة وتلقيا وكذلك تلقاه الصحابة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم غضا طريا كما أنزل بأحكامه مرتلا بينا واضحا وهكذا تلقته الأجيال اللاحقة عن السابقة، فاعتنت به الحفاظ وصدحت به الحناجر تجويدا وترتيلا واحتارت العلماء في معانيه التي تتجلى في كل عصر، وعلوم القرآن بما أن منبعها واحد فإنها كلها تأخذ ببعضها البعض في فهم معاني القرآن وتفسير نصوصه، ولقد مر علم التفسير بمراحل كغيره من العلوم، وقد قسم د صلاح عبد الفتاح الخالدي¹² مراحل تطور التفسير إلى أربع مراحل (المرحلة الأولى - التفسير في طور التأسيس ، المرحلة الثانية - التفسير في طور التأصيل، المرحلة الثالثة - التفسير في طور التفرع ، المرحلة الرابعة - التفسير في طور التجديد) وهو تقسيم وجيه، غير أنني رأيت أن أقسم مراحل تطور التفسير إلى مرحلتين فقط، مرحلة ما قبل التدوين و مرحلة ما بعد التدوين، على النحو التالي:

المرحلة الأولى - ما قبل التدوين :

و هي تبدأ منذ أن نزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه إلى عصر التدوين، وفي هذه المرحلة كان الرسول صلى الله عليه وسلم مرجعا للمسلمين في كل الأمور، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر بعض الآيات التي تخفى على الحذاق فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيات تعد علمهن إياه جبريل)¹³، وهو المؤسس الأول لعلم التفسير، فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بعدم التعجل في حفظ القرآن الكريم وكان بدوره يأمر الصحابة بعدم العجلة بحفظ القرآن، ﴿فَنَعَالَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹⁴ ، ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾¹⁵ ، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص قيل إنه حفظ سورة البقرة في سبع سنين، فكان إذا حفظ شيئا من القرآن الكريم فهمه وعمل به، فكان

المسلمون إذا أشكلت عليهم آية من آيات القرآن الكريم هرعوا إليه، فمن ذلك ما وقع لعدي بن حاتم في فهمه لقوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ نِمَّ أَنْتُمُ الصِّيَامِ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾¹⁶ ، حيث عمد إلى عقالين أحدهما أبيض و أسود فجعلهما تحت وسادته فجعل ينظر فيهما حتى يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود وبالتالي يعرف ميقات الفجر، فلما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بصنيعه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا : إن كان وسادك إذا لعريض، إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى تولى تلك المهمة جماعة من الصحابة ممن كان قد سمع شيئا من الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اجتهادا منهم ممن كان يجيد التفسير والقراءة والتأويل والفقهاء كابن عباس و عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب ، أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعري، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عباس، وأشهرهم الثلاثة الأوائل، فمن ذلك فابن عباس فسرق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾¹⁷ ، فقد فسر المعاد بأنه مكة التي هاجر و طر منها ،) وهكذا ظل التفسير يتضح طبقة بعد طبقة و تروي الطبقة التالية ما كان من الطبقات قبلها و تزيد عليه ما عرض لها¹⁸ وبذلك تكونت مدارس في كل مكة و المدينة و الكوفة، و لكل مدرسة منهجها في التفسير و خصائص معينة¹⁹، تخرجت منها جلة من العلماء في مختلف الأمصار، هذا بالنسبة للجزيرة العربية و دول المشرق بصفة عامة .

أما البلاد التي فتحها المسلمون فإن الصحابة و التابعين هم من تولى نقل تلك العلوم من تفسير وغيره، و هي مرحلة أولية فرضتها الظروف، فأهل المغرب ما كانوا على ملة الإسلام و ما كان لسانهم عربيا فكان لزاما على الفاتحين أن يعلموا أبناء تلك البلاد ما أثر عن الصحابة من التفسير فكان تفسير ابن عباس هو العمدة في ذلك فهو حبر الأمة و مدينة

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

التأويل، فكان تفسيره بعد الصحابة هو المعتمد في تلك المرحلة لأسباب كثيرة منها أن المسلمين في المشرف كانوا أهل لسان عربي مبين. قلما يحتاجون لفهم آية، فهدفهم الأسى هو نشر الدين الإسلامي بأيسر الطرق فكانوا يفسرون القرآن على نحو بسيط مراعين في ذلك عقول المتلقين، فكان التفسير الفقهي في ذلك العصر هو الأكثر انتشاراً إلى جانب التفسير الأثري فهذان التفسيران هما الأليق لحديثي العهد بالإسلام (اتجه أهل إفريقية مع تعلم القرآن الكريم إلى تعلم الأحكام الفقهية العبادات والمعاملات فكان أغلب التعليم على هذا النحو)²⁰ و مما يعضد هذا ما نقله المالكي من أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين، ممن لهم باع كبير في أمور الدين والعربية و ممن يحسنون التعامل مع الناس ويجيدون دعوة الآخرين و حسن تعليمهم (ليفقهوا أهل إفريقية و يعلموهم أمر دينهم)²¹ .

فقد كان لهذه البعثة الأثر الكبير على إفريقية في نشر تعاليم الإسلام وتكوين عدد من أبناء إفريقية لحمل راية الإسلام و مواصلة نشر تعاليمه و هؤلاء العشرة هم :

-أبو عبد الرحمن الحبلي (عبد الله بن يزيد المعافري).

-أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي .

-إسماعيل بن عبيد النصراري.

-أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي.

-موهب بن حي المعافري.

-حبان بن أبي جبلة القرشي.

-أبو ثمامة بكر بن سودة الجذامي.

-أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب.

-أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر القرشي الممخزومي.

-طلق بن جابان (ابن جعبان) الفارسي.

فكان هؤلاء يعلمون الناس أمور الدين من القرآن و السنة النبوية الشريفة، فيفسر لهم الآيات التي تخدم الموضوعات الوعظية و الفقهية و المعاملات ... وهي تفسيرات كانت تعتمد على البساطة و السهولة.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

و من غير هؤلاء العشرة كثير ذكرهم صاحب رياض النفوس²²، و كلهم أصحاب علم و تقوى و فقه في الدين، ممن صحب الرسول صلى الله عليه و سلم أو صحب أحد الصحابة الكرام ، فقد رحلوا من بلدانهم نحو المغرب جهادا في سبيل الله بالعلم و نشر الإسلام و تعليم الناس الخير، و أخبارهم في كتب السير والتراجم تفرلهم بذلك، و تشهد لهم بالفضل .

و في هذه المرحلة لا تجد كتبا في التفسير إذا قارنا ذلك بالكتب التي ألفت في الفقه والقراءات والحديث، حيث (نما الحديث و اعتنى بهما المغاربة عناية فائقة بزت ما عداها، و نبغ كثير من المغاربة في هذا الشأن و ذاع صيتهم حتى طبق الآفاق و أصبحوا قبلة الأنظار في كل مكان)²³ ، إن هذا الاهتمام بالفقه كانت له دوافعه المتمثلة في أن الفقه يحتاج إليه في أداء العبادات مثل الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج ، كما اهتموا بالقراءات و القراءة باعتبار أن القراءان لا بد أن تؤدي حروفه و كلماته بدقة حتى لا تحرف معانيه، فيعطى لكل حرف حقه من الصفات، فالحاجة في كثير من الأحوال تفرض تقدم علم على علم و أحيانا تتعاقب تلك العلوم في الظهور حتى لا يمكن الفصل بينها لمعرفة المتقدم من تاليه.

لعل هذه هي الأسباب التي جعلت التفسير يتأخر قليلا عن غيره من علوم ثم إن علم التفسير ليست الحاجة ملحة إليه كما هو حال الفقه و القراءات (لم يحتل التفسير بإفريقيا مكانة كبيرة منذ بدأت العلوم الإسلامية تنتشر في البلاد لعدم حاجة الناس إليه و ضعف استعدادهم لممارسته حتى أن مشاهير المفسرين الإفريقيين لم تكن البيئة هي التي دفعتهم إلى وضع تفاسير اشتهرت بنسبتها إلى إفريقية، بل الأجواء الخارجية من مشرقية و أندلسية هي التي بعثت فيهم تلك الهمة)²⁴، فالأجواء العامة للبلاد تعكس مدى اهتمام العلماء و نشاطهم العلمي، لذلك نرى أن الأجواء الخارجية المتمثلة في ازدهار الحياة العلمية في المشرق و الأندلس هي التي حملت العلماء و الباحثين و دفعتهم نحو التأليف في علم التفسير، و ما يفسر ذلك كثرة الرحلات العلمية تجاه المشرق و الأندلس، فقد رأى الصحابة و من تولى نشر الإسلام تعاليمه أن الأولوية تمنح للفقه و القراءات، و لكن لما استقرت البلاد و شغف الناس بالعربية و علومها و القراءان و علومه بدأت حلقات العلم تعقد في المساجد في مختلف العلوم عربية و إسلامية خاصة بعد عصر الولاة.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

و مما تنبغي الإشارة إليه في هذه المرحلة أن أغلب الذين تعاطوا التفسير لم يكونوا من أهل إفريقيا فهذا أبو زكرياء يحيى بن سلام كان بصريا، ثم صار إفريقيا فحظه من التفسير كان خارج إفريقيا و أبو محمد مكي بن أبي طالب تتلمذ في المشرق و الأندلس ... و قد تميز التفسير في هذه المرحلة بمجموعة من الخصائص نوجزها فيما يلي:

الإيجاز و الاختصار.

فسرت بعض الآيات حسب ما يقتضيه السؤال أو الحاجة، و لم يفسر القرآن كله لأسباب كثيرة.

اتجه التفسير في هذه المرحلة إلى الأخذ بالمأثور، لأن الذين تولوا نشر الدين كانوا ممن تتلمذ على كبار أعلام الصحابة في التفسير.

الأخذ بالاتجاه البياني اللغوي، حيث تذكر الكلمة و معانيها معضدة بالشواهد الشعرية. (و نلاحظ أن التفسير في هذه المرحلة التأسيس كان يتصف بالإيجاز و الاختصار و لم يتم تفسير القرآن كاملا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وإنما كان المفسر يفسر الآيات التي يسأل عنها، أو التي تدعو الحاجة إلى تفسيرها)²⁵، فكان الواحد من الصحابة و غيرهم لا يسأل عن الآية إلا إذا أشكل عليهم أمر تفسيرها، و من هنا ندرك بوضوح أن فهم القرآن لم يكن مستعصيا عليهم في تلك المرحلة التي نزل فيها لأهم امتلكوا ملكة من العربية تؤهلهم لفهم القرآن، أما القرون التي جاءت من بعد الصحابة من العرب و غيرهم ممن دخلوا في الإسلام فإن فهم للقرآن بدأ يعتره الوهن و يدخله الضعف، فكان أمر تفسير القرآن على حسب ما تقتضيه طبيعة المجتمع أمرا لا بد منه حتى لا تزيع الفهم، لذلك كثرت التفاسير فيما و تفرعت على حسب تطور العلوم و المجتمعات و قد أكد الزمخشري (ت: 538 هـ) ذلك مادحا كشافه بقوله:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد و ليس فيها لعمرى مثل كشافى

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء و الكشاف كشافى

فهذه الكثرة من التفاسير تدل دلالة قاطعة على التنوع الاجتماعي و الازدهار العلمي الذي وصلت إليه المجتمعات فيما، فكان لكل تفسير مناهج معينة و خصائص متباينة، و لغة مختلفة في تناول المسائل تراعي عقل المتلقي، و تلك حاجة داعية لذلك.

المرحلة الثانية – التدوين وما بعده:

هذه المرحلة شديدة الارتباط بما قبلها، إذا المرحلة الأولى لا غنى عنها البتة، فكان أول كتاب في التفسير في هذه المرحلة هو تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224 هـ - 310 هـ / 839 - 923م)، فقد جمع بين التفسير بالمأثور و التفسير اللغوي، يذهب بعض الباحثين إلى أن أول تفسير – من بلاد المغرب الأدنى - وصل إلينا هو تفسير يحيى بن سلام (ت: 200 هـ) المشار إليه سابقا وهو تفسير قام على تفسير ابن عباس (ت: 68 هـ) الذي أخذ التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة الكبار وكان ابن عباس متوقد الذكاء بفضل دعاء النبي عليه الصلاة والسلام حين دعا له قائلا: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)، وعكرمة مولى ابن عباس وغيره من كتب التفسير المشرقية التي تعتمد التفسير الأثري أو المأثور، و يتضح من خلال وفيات أعلام التفسير أن تفسير يحيى بن سلام تأثر بالتفاسير التي سبقته و من هذه التفاسير نذكر:

-تفسير مجاهد بن جبر (ت: 104 هـ).

-تفسير الضحاك بن مزاحم (ت: 105 هـ).

-تفسير ابن عباس (ت: 68 هـ).

-تفسير الحسن البصري (ت: 110 هـ).

-تفسير عطاء بن دينار (ت: 126 هـ).

-تفسير محمد بن كعب القرظي (ت: 108 هـ).

-تفسير عطاء بن أبي رباح الخرساني (ت: 133 هـ).

-تفسير زيد بن أسلم (ت: 132 هـ).

-تفسير قتادة بن دعامة السدوسي (ت: 117 هـ).

-تفسير إسماعيل السدي (ت: 127 هـ).

-تفسير هشيم بن بشير السلمي (ت: 211 هـ).

فهذه التفاسير كانت في نفس الحقبة التي استقرت فيها الحياة الإسلامية في المغرب الأدنى حيث كانت أقوال أصحابها تدرس للناس في المساجد، أما التأليف فإنه بدأ في النصف الثاني من القرن الثاني وهي الفترة التي تم فيها إشباع بلاد المغرب بتعاليم الإسلام

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

من فقه وقراءات، وهذه التفاسير كلها كانت تنهل من التفاسير التي كانت شائعة في المشرق التي أشرنا إليها سابقا، ولو تأملنا تفسير يحيى بن سلام فإننا نجد في كثير من تفسيراته يعتمد بل يشير إلى قتادة والحسن البصري وابن عباس ومجاهد، فهو يستعرض الأوجه الممكنة في الآية فيحشد لها الآيات التي تعضد رأيه أو رأي غيره، فهو يفسر القرآن بالقرآن، فعلى سبيل المثال عند تفسيره للفظة (هدى)، حيث أثبت لها سبعة عشر وجها²⁶ معتمدا في ذلك على القرآن، حيث يستشهد بالآيات التي وردت فيها كلمة هدى، فيفسر كلمة هدى على ما يقتضيه السياق، أو يورد قول صحابي في ذلك، أو يأتي بأقوال جمع من الصحابة خاصة أصحاب التفاسير التي كانت ذاتة الصيت في ذلك العصر، مثل تفسير ابن عباس وتفسير الطبري، وهنا نشير إلى أن الطبري قد وضع أصولا للتفسير أصبحت هي المعتمدة في التفسير خاصة لمن جاء بعده، ومن الأصول التي قررها الطبري نذكر:

اللغة.

الأثر.

الاستنباط.

و هو منهج يجمع بين هذه الأسس الثلاثة، و لو قارنا بين تفسير الطبري و تفسير يحيى بن سلام فإننا نلاحظ بينهما الفروق الآتية:

-تفسير الطبري أكبر حجما فهو يقع في عشرين جزءا (20 جزءا) في حين أن تفسير يحيى بن سلام أصغر من ذلك فهو يقع في جزئين (02).

- تفسير يحيى بن سلام أشد اختصارا في حين أن تفسير الطبري طويل النفس.

- انتهج يحيى بن سلام منهج الاستقراء فهو يستقرئ الكلمة وورودها في القرآن الكريم موردا جميع معانيها المختلفة رغم اتحاد بنيتها .

- استنباطاته ليس فيها تدبر عميق ولعل سبب ذلك يعود إلى الحاجة إلى ذلك.

- تفسير يحيى بن سلام يهتم باللفظة الواحدة حيث يجمع لها الشواهد من القرآن، و يدعم ما يذهب إليه بأقوال المفسرين من الصحابة .

فمنهج يحيى بن سلام في تفسيره ليس جامعا كما هو حال تفسير الطبري، فهو يمزج بين اللغة والأثر وميله إلى الجانب اللغوي يبدو واضحا حين يتتبع اللفظة في سياقاتها

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

المختلفة، فهو شبيهه بالمعاجم التي تبحث في معاني الكلمات وسياقاتها المختلفة، ومما تميزت به تفاسير هذه المرحلة:

أنها اعتمدت على التفاسير السابقة سواء اللغوية منها أو المأثورة، مع أن الغلبة كانت للجانب الأثري وقلما تجد اهتماما بالجانب اللغوي .

تفاسير المغاربة كانت على نفس الخط الذي كانت عليه تفاسير المشاركة خاصة في هذه المرحلة.

في هذه المرحلة تطور التفسير تطورا ملحوظا عما كان عليه من قبل، فقد تطورت العلوم وتكاثرت وتنوعت وبدأت مختلف العلوم تضع لنفسها مناهج وقواعد تسيير عليها في بحثها، فكانت التفاسير التي جاءت بعد تفسير الطبري تعتمد إلى الاستطراد، وتناول الكثير من المسائل التي ظهرت في تلك العصور، فنشأ التفسير الفقهي الذي يعتمد على الآيات التي لها علاقة بالفقه من صلاة و صيام و زكاة ... و التفسير النحوي و اللغوي و البلاغي و العرفاني ... وغدا كل مفسر يفسر القرآن وفق العلم الذي نبغ فيه و أحاط به، أو حسبما تفرضه الظروف، و تستدعيه النوازل (و إنا لنلحظ في وضوح و جلاء: أن كل من برع في فن من فنون العلم يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه)²⁷، على غرار تفسير الرازي و الكشاف وروح المعاني وغيره.

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث الذي فتح نافذة مختصرة عن التفسير في بلاد المغرب الأدنى نشأة و تطورا، حيث تمخض البحث عن مجموعة من النتائج نوردها على النحو التالي:
-لقد تم تعريب المغرب في أقصر مدة (70 سنة) و هو الأمر الذي مهد لتسريع وتيرة نضج العلوم المختلفة.

-نشأ التفسير متأثرا بالتفسير الأثري الذي ظهر أولا في المشرق و نقله الفاتحون إلى بلاد المغرب و المتمثل في مصادره الرئيسية: الرسول صلى الله عليه و سلم والصحابة رضوان الله عليهم.

- التفاسير التي نشأت في بداية الأمر كانت تميل إلى الاختصار الشديد على حسب ما تقتضيه الحاجة و تدعو إليه الضرورة.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

-المرحلة الأولى التي تمثل مرحلة ما قبل التدوين كانت تعتمد على المشافهة في النقل المسند، والبساطة في التناول تيسيرا على الناس مراعاة لمقتضيات الظروف عامة.

قائمة المصادر والمراجع

- 01)- القرءان الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 02)-سلسلة الحديث الصحيحة و شيء من فقهها و فوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، دط/ 1415هـ-1995م، مجلد: 03
- 03 -) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، ط: 03/1429هـ- 2008 م، دمشق، سوريا.
- 04 -) التفسير و المفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة، القاهرة، مصر، وهبة، ط: 2000./07
- 05 -) التفسير الفقهي في القيروان، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، ط: 01 / 1997 م / 1417 هـ، الرياض، السعودية.
- 06 -) رياض النفوس، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط:02/ 1994 هـ/1414 هـ، بيروت، لبنان.
- 07 -) الأثر السياسي و الحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة الموحدين، السيد محمد أبو العزم داود، منشورات المكتبة الفيصلية، 1405 هـ/1985، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- 08 -) جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي و التركي، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ط:01/ 1980-1400، تونس.
- 09 -) التصاريف تفسير القرءان مما اشتهت أسماؤه و تصرفت معانيه، يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، مؤسسة آل البيت، 1429/2008، عمان، الأردن.
- 10-) القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، هند شلبي، الدار العربية للكتاب، ط: 01 / 1983 م، القاهرة، مصر.
- 11-) السير، الشماخي، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط: 02 / 1992 م -1412 هـ، سلطنة عمان.

التفسير في المغرب الأدنى من الفتح حتى القرن 04 الهجري

- (12) - تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 2001/1422/01، الجيزة، مصر.
المجلات و الدوريات
01-مجلة جامعة الزيتونة، العدد الأول 1992 م، مقال نشأة التفسير بتونس، د: وسيلة بلعيد بن حمدة.

هوامش البحث:

- (1)- ينظر: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، منذ الفتح و حتى قيام الدولة الفاطمية، عبد الحميد حسين حمودة، الدار الثقافية للنشر، ط: 2006 /01 ، القاهرة ، مصر، ص: 12.
2 -) ينظر: رياض النفوس، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط: 1994-1414/02، بيروت، لبنان، ص: 16-14/01 .
(3)- سورة المنافقون، بعض الآية: 04 .
(4)- مجلة جامعة الزيتونة، العدد الأول 1992 م مقال نشأة التفسير بتونس، د: وسيلة بلعيد بن حمدة، ص: 66.
(5)- القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، هند شلي، الدار العربية للكتاب، ط: 1997/1414/02، بيروت، لبنان، ص: 130 .
(6)- عصر الدول و الإمارات: الجزائر - المغرب الأقصى - موريتانيا - السودان، شوقي ضيف، دار المعارف، ط: 01، القاهرة، مصر، ص: 12.
(7)- سورة الأنعام، الآية: 82.
(8)- سورة لقمان، الآية: 13.

- (9)- تهذيب تفسير الطبري، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، ط: 01 / 1997، دبي، قطر، ص: 42-43.
- (10)- سلسلة الحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، دط / 1415 هـ-1995 م، مجلد: 03 ، رقم الحديث: 1173 ، ص: 167.
- (11)- السير، الشماخي، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي و الثقافة، ط: 02 / 1992 م -1412 هـ، سلطنة عمان، ص: 142.
- (12)- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، ط: 03 / 1429 هـ-2008 م، دمشق، سورية، ص: 35-47 .
- (13)- تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و النشر والتوزيع والإعلان، ط: 01 / 1422 / 2001، ص: 29/01.
- (14)- سورة طه، الآية : 114.
- (15)- سورة القيامة، الآية : 16.
- (16)- سورة البقرة، الآية: 187.
- (17)- سورة القصص، الآية : 85.
- (18)- ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة الأسرة، د ط / 1997، القاهرة، مصر، ص: 01/139.
- (19)- ينظر: التفسير و المفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط: 07 / 2000، القاهرة، مصر، ص: 01 / 101-114 .
- (20)- التفسير الفقهي في القيروان، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، ط: 01 / 1414-1997، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 09 .

- 21-) رياض النفوس، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، ص: 99/02 .
- 22-) ينظر المرجع السابق .
- 23-) الأثر السياسي و الحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة الموحدين، السيد محمد أبو العزم داود، منشورات المكتبة الفيصلية ، 1405 هـ/ 1985 ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية، ص : 394 .
- 24-) جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي و التركي، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ط: 01/ 1980-1400، تونس، ص: 32.
- 25-) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص: 38.
- 26-) التصارييف تفسير القراءان مما اشتمت أسماؤه و تصرفت معانيه، يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، مؤسسة آل البيت، 1429/2008، عمان، الأردن، ص: 161.
- 27-) القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري، هند شلبي، الدار العربية للكتاب، ط: 01 / 1983 م، القاهرة، مصر، ص: 130 .

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

الطالب: عبد القادر شبوني

المدرسة: ع. أ. بوزريعة

الملخص:

لقد أثارت الشعرية جدلاً واسعاً في الدراسات النقدية المختلفة، ولاقت اهتماماً كبيراً من قبل الدارسين، وهي من أهم المقاربات النقدية التي اهتمت بقراءة النصوص باختلاف أنواعها، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمختلف العناصر الفنية الإبداعية، التي من خلالها يتشكّل النص الأدبي، ويبرز من خلالها المبدع مكونات هذا النص الذي يتخلله الغموض والإبهام، وحينئذ يستطيع الناقد أن يبرز هويّة هذا النص ويستنتقه، ويبرز العناصر الجمالية فيه، فيتميز حينئذ النص بنوع من التفرد الأدبي. وقد بدأت ملامح الشعرية العربية تظهر مع جملة من النقاد القدامى الذين حاولوا التأسيس لهذا المصطلح النقدي الموسوم بالشعرية، فما هي أهم تجلياتها؟ وما أثرها في الفكر النقدي العربي القديم ؟

الكلمات المفتاحية: الشعرية، النص الأدبي، المقاربات النقدية، النقد العربي القديم.

Abstract

Poetics has sparked widespread controversy in various critical studies, and has received great attention from scholars, and it is one of the most important critical approaches that have been concerned with reading texts of all kinds, and it is closely linked with various creative artistic elements, through which the literary text is formed, and through which the creator highlights components. This text is permeated with ambiguity and ambiguity, and at that time the critic can highlight the identity of this text and interrogate it, and highlight the aesthetic elements in it, so that the text is then distinguished by a kind of literary uniqueness. The features of Arabic poetry began to appear with a number of old critics who tried to establish this critical term characterized by poetry, so what are its most important manifestations? What is its impact on the ancient Arab critical thought?

Key words: poetry, literary text, critical approaches, ancient Arab criticism.

مقدمة:

لقد أخذت الشعرية معانٍ مختلفة من خلال فوضى المفاهيم التي عرفتها، ممّا يجعل كلّ مفهوم يختلف عن الآخر، وهذا راجع إلى تباين الرؤى حول هذا المصطلح المعروف بالزبنيّة، فحاول كثير من النقاد تتبع ديناميّة هذا المصطلح، وإبراز معانيه في حقل الدراسات النقدية.

ومما لاشك فيه أن هذا المصطلح لا يبوح بجميع أسراره ودلالة معانيه، لما فيه من ضبابية تضطرننا إلى التّفاد إلى أعماقه، ومحاولة استدراجه ومعرفة كنهه، وتتبع آثاره عبر كثير من الخطى التي تتشكل في قالب فنيّ جميل متعدد الجوانب، رحب المجال واسع الأفاق، ولقد مرّت الشعرية العربية بمراحل متعدّدة.

النقد الشفوي في العصر الجاهلي

إنّ الذي لا شك فيه أن الشعر العربي مرّ بمراحل مختلفة من التطور في شكله ومضمونه قبل أن يصل إلى صورته التي نراها عند الشعراء في العصر الجاهلي.

إذا كان تطور الأدب وانتقاله من حال إلى حال لا تتم من خلاله سبيل الطفرة، إنما تتدخل في حركته تلك العوامل المختلفة ومما لا شك فيه أن للنقد إسهاماً وافراً في نموه ودفعه نحو استكمال خصائصه الفنية؛ لأنّ تطور الأدب يخضع لعوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية وذلك أنّ الشعر الجاهلي في أهمّ مراحلهِ ورحلته الطويلة بين صورته الساذجة كما تصوّرها الدارسون من قداماء ومحدثين وبين صورته الناضجة كما تصوّرها والتي تجسدت " في المثل الشعري الأعلى الذي قدّم نماذجه النابغة وامرؤ القيس وزهير والأعشى وغيرهم"⁽¹⁾، وقد رافقت الشعر حركة نقدية؛ كانت تعمل طول هذه الرحلة تهذيبه وتوجهه للبحث عن أسباب الكمال التي لا يتطلع إليها مبدع النصّ ومتذوقة على السواء، ومن هذا يمكن أن نقول: إنّ النقد الأدبي نشأ مع الشعر، وأنّه كان مثله ساذجاً في بداية الأمر، وأنّ النصوص الأولى قليلة وصلت إلينا في مرحلة النضج الشعري، والتي لا تمثل صورته الأولى، "وإذا كان الناقد الأول قد ظهر إلى الوجود مع الشاعر الأول وإذا كانت أوليّات الشعر العربي غير مألوفة لنا فإن أوليّات النقد الأدبي تبعاً لذلك قد

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

غابت عنا⁽²⁾، وعليه تبقى نظرتنا الأولى للنصوص قائمة على الظن والتخمين لذلك لا بد من التطرق إلى النقد الأدبي في العصر الجاهلي أي الفترة التي سبقت الإسلام حيث لم يصلنا من النصوص النقدية القديمة إلا القليل التي رافقت الشعر العربي في نشأته الأولى وفي تطوره .

إنّ النصوص النقدية تعود إلى مرحلة اكتمال النموذج الفني للقصيدة الجاهلية كما سبق وأن ذكرنا حيث ما نتوصل إليه وما وصلنا إليه ما هو إلا الجزء القليل من نقد تلك المرحلة والتي عرفت نشاطا نقديا في أماكن مشهورة كأسواق العرب والمجالس الأدبية العامة وقصور الملوك، ومن أهم الأسواق التي ذاع صيتها في العصر الجاهلي سوق عكاظ التي كانت تقام في النجد من منتصف ذي القعدة إلى نهايته، ومما لا شك فيه أنّ سوق عكاظ كانت مكانا غنيا بمنابر الأدب. فبمعية أنّها سوق للبيع والشراء فإنّها كانت مكانا يجتمع فيه الناس إذ " كانت أشبه بمؤتمر كبير للعرب يجتمعون فيه ويتناشدون الأشعار وينظرون في خصوماتهم ومنازعاتهم وكل ما يتصل بهم من شؤون"⁽³⁾. وكانت أيضا مجمعا لقبائل العرب يأتون إليها لأجل الصلح والتفاخر، وموعدا للخطباء والدعاة.

فالأدب الجاهلي وما حوي من جواهر ثمينة في الشعر والنثر كان يستميل القلوب والأسماع، "فالناقد ينظر في الشعر من خلال الصورة الفنية أولا، وهذه قيمة جمالية يمكن لها أن تتطابق مع الصورة الواقعية، وبقد ما يحسن الشاعر من محاكاة الصورة النمطية بقدر ما يعتبر شعره فنيا راقيا ولذلك يمكن الحديث عن الصورة النمطية الأخرى التي استقرت في المخيال العام للناقد والشاعر"⁽⁴⁾، فهذه الصورة النمطية يمكن اعتبارها أحد القياسات الهامة للتفاضل بين الشعراء.

يمكن أن نخلص إلى أنّ الموازنة مهمة في اختيار أجود النصوص بالإضافة إلى تفضيل بعضهما على البعض على المستويين الفردي والجماعي، والتي انتهت إلى تميّز مجموعة منها، لكن طبيعة موازنة هذه النصوص تتفق مع منحى أم جندب من حيث الغموض وعدم التحديد لسبقها لعملية الرصد والتكوين، وقد تطور الشعر تطورا مذهلا في أواخر العصر الجاهلي حتّى أصبح فنا يدرس ويتلقّى.

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

لقد كان النقد في العصر الجاهلي يهتم اهتماما كبيرا بالصياغة والمعاني مما يتماشى والفطرة العربية المرتبط ببداية نضج الشعر" والجديد بالذكر أن العهد كان قريبا من نضوج الشعر العربي.

الشعرية عند النقاد العرب القدامى

لقد تعددت الآراء في رصد المفاهيم واختيار المعنى المناسب لكلمة الشعرية، وذلك لتشابه المعاني واختلاف الدلالات الخاصة بهذا المصطلح الذي يهدف إلى كشف هوية النص الأدبي من خلال الوقوف عند القوانين التي تضبطه، وتحقق العناصر الجمالية فيه. لقد اختلفت الرؤى وتباينت الأفكار في الوقوف عند دلالة خاصة تليق بهذا المصطلح نظرا لمعايير الزمن التي تحكمه انطلاقا من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الحديث وعند حديثنا عن هذا المصطلح في التراث النقدي العربي القديم يستوجب الوقوف عند أهم النقاد العرب الذين كان لهم الأثر البارز في التعييد لهذا المصطلح.

الشعرية عند ابن سلام الجمحي

استطاع ابن سلام الجمحي أن يخوض في موضوع الشعرية العربية حيث يرى أن "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، ومنها ما تثقفه العين، ومنها تثقفه اليد، ومنها ما يتقنه اللسان"⁽⁵⁾.

لقد استطاع ابن سلام أن يجعل الشعر صناعة كباقي الصناعات التي تجلب إليها الأنظار و تروق لها الأسماع و ينجذب إليها الكلام فيؤدى المعنى في أبهى صورة له، وهذا ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض إذ يقول: " وأهم ما يلفت النظر في رأيه جعل الشعر صناعة وأن هذه الصناعة لا تختلف عن أي صناعة من الصناعات الجميلة الماثلة في الفنون السمعية البصرية"⁽⁶⁾.

إن الشعرية عند ابن سلام يمكن أن تحقق عنصر الجمال الفني في الخطاب الشعري مما قد رأيناه سلفا فتحد نوعا من المتعة النصية التي تحقق تلك اللذة من خلال صناعة الشعر التي يؤكد عليها بقوله: " من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره و من ذلك الجهبذة بالدينار و الدرهم لا تعرف جودتها بلون و لا

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

مس و لا طراز و لا وسم و لا صفة و يعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجتها و زائفها و ستوقها و مفرغها" (7).

هنا يؤكد ابن سلام على العملية النقدية في حد ذاتها و التي تتطلب إمعان الفكر و قوة التركيز و إكثار المعاينة حتى يعرف الجيد من الرديء، و الجميل من القبيح.

الشعرية عند الجاحظ

حاول الجاحظ (ت 255 هـ) أن يحدد مفاهيم الشعر و موضوعاته، و قد ركز عليه من تعرضه لهذا الجنس الأدبي على اختيار اللفظ و إقامة الوزن و أنّ الشعر صناعة و نسيج محكم العبارات، و قد علّق على بيتين شعريين لأبي عمرو الشيباني:

لَاتَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَيْلِ فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤْلُ الرَّجَالِ
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَقْطَعُ مِنْ ذَلِكَ لِنْدَلِ السُّؤَالِ

فهما في نظره يحملان معنى سخيفا، لأنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجبي و العربي، و البدوي و القروي [والمدني]، و إنّما الشآن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج و [كثرة الماء] و في صحة الطبع و جودة السبك، فإنّما الشعر صناعة و ضرب من النسيج و جنس من التصوير" (8).

إنّ المعنى بهذا المفهوم يعرفه الجميع و قد أعاب الجاحظ على العلماء ممّن سبقوه تعصّبهم للمعنى، " لأنّ الشعرية في منظور الجاحظ لم تكن تكمن فيما يشتمل عليه الشعر من معاني، و لكنّها تمثل في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج" (9).

إنّ الشعرية في نظر الجاحظ تتحقق من خلال جملة من العناصر المهمة التي يمكن أن تحقق ماهية الشعر و حدوده و الجمال الفني فيه، و منها:

-الوزن:

إنّ الوزن من عناصر الجمال الفني الذي يأسر عقل المتلقي، و يدفعه إلى الارتباط به، من حيث تحقيق عنصر الإيقاع، و كذا بارتباطه بالبنية الموسيقية للشعر.

-تخير اللفظ:

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

إنّ جزالة اللفظ وقوّته وحصانته هي التي تحقق جزالة المعنى، ويبقى حسن اختيار اللفظ وحسن اختيار موقعه من حيث النسيج الشعري يحقق الجمال الفني في الخطاب الشعري.

-سهولة المخرج:

ويقصد به اختيار الألفاظ المناسبة ذات الدلالة التي يمكن أن تزيد المعنى وضوحا وجمالا بعيدا عن اللغة المبتذلة المصطنعة التي لا تنفذ إلى الأعماق ولا إلى الأفهام.

-الشعر صناعة:

يذهب الجاحظ إلى أنّ الشّعْر صناعة، والصناعة في نظره مرتبطة بمدى قدرة الشاعر على عملية الخلق، وهي ميزة عند الشعراء الذين تتوفر فيهم شروط الإبداع، وهنا يمكن الإشارة إلى أنّه " لا تخرج المميزات الأساسية في الإبداع الشعري عند الجاحظ عن إطار الصّناعة الأسلوبية، مثل الائتلاف والسبك وتلاحم الأجزاء، وحسن الاستهلال، وحسن التّخلص ومراعاة الأوزان"⁽¹⁰⁾.

هنا يمكن أن تتحقق شعرية الشعر مما تتوافر عليه من عناصر فنيّة يمكن أن تحقق الجمال الفني فيه، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ في قوله: " وأجود الشّعْر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفرغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان"⁽¹¹⁾.

هنا يمكن أن يحدث نوع من التماسك النّصي من خلال ما ذهب إليه الجاحظ فيستقيم بذلك المعنى بتماسك العناصر المكونة له، كما يرى أنّ الشعر كذلك ضرب من البيان، إذ يقول: " والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شئ بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الوضع"⁽¹²⁾.

الشعرية عند ابن قتيبة

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

يعتبر كتاب الشعر والشعراء من أهم الكتب النقدية التي ترجمت للشعراء المشاهير الذين يصح الاحتجاج بأشعارهم، كما يعد من بواكير الكتب التي أسست لمنهج نقدي متخصص مشفوعا بالحجج والعلل، رافضا بذلك المعيار الزمني للشعر على عكس ما ذهب إليه ابن سلام الجمعي، إذ فضل معيار الجودة والاحترافية في الشعر فنجدته يقول: " جودة الشعر لا تتوقف بالضرورة على قدم زمنها، وهي النظرية التي سائدة على عهده بين رواة الشعر واللغة جميعا، فكانوا يتعصبون لكل قديم على كل جديد"⁽¹³⁾، لقد تضمن هذا الكتاب أخبار الشعراء وأحوالهم إذ نجده يقول: " هذا كتاب ألفتة في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منه، وعمما يستحسن من أخبار الرجل ويستجد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ، في ألفاظهم أو معانيهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها"⁽¹⁴⁾.

هكذا يتضح تقييم ابن قتيبة للشعراء إذ وقف على معيار الجودة و حسن الاختيار، كما أخبر فيه عن أقسام الشعر إذ قسمه إلى مستويات أربع هي:

- من حسن لفظه من الشعر و جاد معناه.
- من حسن و احلولى دون اشتماله على معنى.
- من حسن معناه و قصرت ألفاظه عنه.
- من ردؤ معناه و ردؤ لفظه و يعد هذا من أسوء الأضرى الشعرية.

الشعرية عند ابن طباطبا

يعد كتاب عيار الشعر لابن طباطبا من أهم الكتب النقدية التي جمعت بين دفتيه ما للشعر وما عليه، من خلال جملة من الآراء التي لم يسبقه إليه أحد قبله، إذ حاول أن يحدد معالم الشعرية من خلال الشعر نفسه حيث جعل له عيارا أو قياسا يميزه على ما هو غير شعري ووقفا في البداية عند حد الشعر ويتضح ذلك في قوله: " الشعر – أسعدك الله – كلام منظوم بان عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل به عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق، ونظمه معلوم محدود، فمن

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

صح طبعه، وذوقه لم يحتاج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه، وتقويمه لمعرفة العروض والحدق بها حتى تصير معرفته الاستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه⁽¹⁵⁾، إن أهم ما في هذا التعريف أنه يحدد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات، كما أنه لا يشير صراحة إلى القافية إلا أنها متضمنة فيه، فضلا على أنه لا يهتم بالجانب التخيلي للشاعر من حيث مصدره وتأثيره، وإنما يهتم بالشعر في ذاته باعتباره بنية لغوية فيه على أسس من الطبع والذوق، ومنه نجد أن ابن طباطبا لا يعتبر النظم شرطا من شروط الشعر، ولا الوزن كذلك، والذي يعد خاصية من خاصية الشعر، فاستقامة الشعر مرهونة بصحة الطبع وحسن الذوق، وحتى نرفع من شأن الشعر ونعطي من قيمته يجب على الشاعر أن "التوسع في علم اللغة والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس، وأنساهم ومناقهم ومثالهم والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه"⁽¹⁶⁾.

إن الشعرية في نظره تنطلق من عملية محكمة مبنية على وشائج متينة وقوية يتأسس من خلالها جنس الشعر، فالفهم مرتبط بحسن المعنى والسمع بجودة اللفظ، ويخلص إلى أن كل الأدوات التي بني عليها الشعر مرتبطة بالعقل لما له من حسن التدبير والعدالة في الحكم.

الشعرية عند قدامة بن جعفر

يعد قدامى بن جعفر من أوائل النقاد الذين عرفوا الشعر تعريفا دقيقا قائما على بساطة القول وسهولة الفهم لما رأى النقد أخص بالشعر كان من الأوائل الذين تناولوه بالدراسة، مبينا ذلك في قوله: "وتبينت أن الكلام في هذا الأمر - أي النقد - أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع"⁽¹⁷⁾، لقد تمثل مفهوم الشعر فهما دقيقا مبسطا لمعرفة حده ولا أبلغ ولا أوجز من قوله: "إنه قول موزون مقفى يدل على معنى"⁽¹⁸⁾، إن الشعرية عند قدامى بن جعفر بهذا المفهوم قائمة على التماثل النصي بين الوزن والمعنى والقافية. وأن الشعر في نظره أيضا قد يكون جيدا تستحسنه الأسماع، وقد يكون دريئا تنفر منه، وقد ذهب إلى ما نظر إليه ابن سلام في تعريفه للشعر بأن للشعر صناعة، وهذا واضح في قوله: "إذا كان

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

الشعر جاريا على سبيل سائر الصناعات، مقصودا فيه وفيما يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد، وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته" (19).

إن قوة الشعر مرتبطة بمدى صناعته التي تتطلب قدرة الشاعر على خلقه وبنائه والارتقاء به إلى أعلى المراتب التي تليق بالشعر والشاعر، ويركز في ذلك على عنصر المعنى الذي يراه مهما في السمو بمكانة الشعر فتتحقق بذلك شعريته إذ نجده يقول: " المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أحب و آثر من غير أن يحضر عليه معنى يروم الكلام فيه" (20).

إن حرية الشاعر في اختيار المعاني يزيد من قوة الشعر ويرفع من درجته، وإذا عدنا لتعريف قدامة للشعر بأنه " موزون مقفَى يدل على معنى نجد أن هذه العناصر تحمل دلالات متعددة ومتنوعة إذ نجده يقول: "فنقول دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر وقولنا (موزون) يفصله مما ليس بموزون إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا (مقفى) فصل بين حاله من الكلام الموزون قواف وبين ما قوافي له ولا مقاطع وقولنا (يدل على معنى) يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى ، فإن لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئا على هذه الجهة لأمكنه وما تعدّر عليه" (21)

إن قدامة بن جعفر يتحدث عن هذه العناصر الأربعة: اللفظ والمعنى، والوزن والقافية، إضافة إلى أربعة أضرب من الائتلاف اللفظ والمعنى، واللفظ مع الوزن، والمعنى والوزن، والمعنى مع القافية.

خاتمة:

إن مصطلح الشعرية في النقد العربي القديم أخذ مفاهيم متعددة ومختلفة، إذ حاول النقاد القدامى التأسيس له عبر جملة من الآراء النقدية المتباينة من خلال تحقيق عنصر الجمال الفني في الخطاب الشعري الذي يحقق المتعة النصية وهذا ما أبرزه ابن سلام الجمعي والجاحظ وابن طباطبا وقدامة بن جعفر وغيرهم، إذ فتح هذا المصطلح باب التقد على مصراعيه أمام الدراسات العربية الحديثة التي أخذت من معين هؤلاء النقاد القدامى.

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

المراجع:

- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب-مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص42.
- عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995، ص: 417، 418
- بدوي طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1981م، ص ص 50-51.
- نفسه، ص ص 25-26.
- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص5
- عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، منشورات دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط: 01، 2009، ص23.
- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص5.
- بغداد يوسف، الشعرية والنقد الأدبي عند العرب، ص: 131
- عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، ص: 25
- نور الدين السد، الشعرية العربية-دراسة في التطور الفني للقصيد العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995، ص: 221.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 07، 1997، ج: 01، ص: 67.
- نفسه، ص: 76.
- عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، ص: 28
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج: 01، ص: 61 .
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 02، 2005م، ص: 09.
- نفسه، ص: 10.

الشعرية في منظور النقد العربي القديم

قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 2.

نفسه، ص: 64.

نفسه، ص: 64.

نفسه، ص: 65.

نفسه، ص: 64.

الهوامش:

(1)- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب-مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص: 42.

(2)- عبد القادر هني، دراسات في النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995، ص: 417، 418.

(3)- بدوي طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1981م، ص: 50، 51.

(4)- نفسه، ص: 25، 26.

(5) - ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، دط، دت، ص: 5.

(6) - عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، منشورات دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط: 01، 2009، ص: 23.

(7) - ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، ص: 5.

(8) - بغداد يوسف، الشعرية والنقد الأدبي عند العرب، ص: 131.

(9) - عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، ص: 25.

- (10) - نور الدين السد، الشعرية العربية-دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995، ص: 221.
- (11) - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 07، 1997، ج: 01، ص: 67.
- (12) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج: 01، ص: 76.
- (13) - عبد المالك مرتاض، قضايا الشعرية، ص: 28.
- (14) - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج: 01، ص: 61.
- (15) - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 02، 2005م، ص: 09.
- (16) - ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص: 10.
- (17) - قدامى بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت، ص: 2.
- (18) - نفسه، ص: 64.
- (19) - نفسه، ص: 64.
- (20) - نفسه، ص: 65.
- (21) - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص: 64.

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

د: محفوظ ذهبي

جامعة المدية

ملخص:

حدد عبد الرحمن الحاج صالح ضوابط على أساسها تُبنى المعاجم وتُوضع المصطلحات بعد أن اتضح له أنّ أغلب المعاجم العربية الحديثة لا تستوفي شروط وضعها، وتمثل تلك الضوابط في: العمل بمنهج علمائنا الأوائل والمتمثل في الاعتماد على التوثيق والانطلاق من مدونة شاملة تضم مجموعة من النصوص المتنوعة التي تمثل حق التمثيل الاستعمال الفعلي للغة، ويضاف إلى ذلك تجنب الاعتماد على المعاجم القديمة وجعلها المستقى الوحيد، وكذا ضرورة إدراج الألفاظ الدالة على المسميات الحديثة. الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم، صناعة المعاجم.

Abstract :

abd- errahman haj salah set the rules for authoring dictionaries after discovering that modern Arabic dictionaries do not comply with the authoring requirements. These principles are: reference in authorship, relying on a corpus that represents The real use of Arabic language, in addition to avoiding reliance on old dictionaries as well as the inclusion of words that refer to modern names.

Key words: abd- errahman haj salah, dictionary, Dictionaries industry.

إنّ تنوع المعاجم وثرانها لدى أمة من الأمة يعد مؤشرا على رقي لغتها. ومن هنا تنبع أهمية صناعة المعاجم التي أصبحت تعد وسيلة من وسائل الرقي والتقدم، وهو ما دفع بالعديد من الباحثين الغربيين إلى العناية بميدان صناعة المعاجم وجعلوا له أسسا وشروطا يخضع لها واضعو المعاجم. كما وُجد من الباحثين العرب من اهتم بذلك الميدان كما هو الحال عند عبد الرحمن الحاج صالح الذي خصص جزءا من كتاباته للحديث عن صناعة المعاجم.

هذا وقد تلخصت جهود الحاج صالح في ميدان صناعة المعاجم في تحديده للمقاييس التي ينبغي على أساسها أن تُبنى المعاجم وتُوضع المصطلحات، وذلك بعد أن اتضح له أنّ أغلب المعاجم العربية لا تستوفي شروط وضعها فهي دون المستوى المطلوب. وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال هذه الورقة البحثية.

1. اقتراحات الحاج صالح في ميدان صناعة المعاجم

حاول الحاج صالح توضيح الآليات الصحيحة لبناء المعاجم اللغوية والعلمية، وتحديد الأوصاف العلمية التي ينبغي توفرها في هذه المعاجم، مُنطلقا في الهفوات التي وقع فيها مؤلفو المعاجم العربية الحديثة.

1.1. مواصفات المعاجم العربية الحديثة

إنّ اطلاع الحاج صالح على المعاجم العربية التي أُلّفت منذ النهضة إلى غاية منتصف القرن العشرين كشف له أنّ أكثرها يتصف غالبا بصفات سلبية منها:

1.1.1. الاعتماد على المعاجم القديمة

اعتمد مؤلفو المعاجم إلى غاية وقت قريب «على المعاجم القديمة و[استخرجوا]... منها ما يبدو لهم من الألفاظ التي يحتاج إليها المثقف العربي في عصرنا هذا أو مما قد يرد بكثرة في النصوص القديمة أو الحديثة. وذلك بدون اللجوء إلى أي مقياس علمي إلاّ التحسس أو الهاجس معتمدين في ذلك عند العلماء المتميّزين منهم على علمهم الغزير ومعرفتهم العميقة للغة العربية وخاصة مفرداتها ومدلولاتها. وهذا لا بد من الاعتراف به»¹، غير أنّ فات أولئك المؤلفين أنّ المعاجم القديمة لا تمثل الاستعمال الحالي للغة العربية،

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

فاللغة تتطور، ولكل مرحلة زمانية مفرداتها الخاصة التي يتداولها الناس. وبهذا فاللغة «لم تكن يوماً ملكاً لجماعة أو لعصر، وإنما هي ملك الأمة العربية على اختلاف أفرادها وتنوع ثقافتهم»².

وبهذا فإنَّ اجتهاد مؤلفي المعاجم الحديثة انحصر في إعادة صياغة المعاجم القديمة في قالب جديد، ولا ندري ما فائدة ذلك، فالمعاجم القديمة تُغني من يحتاجونها عن المعاجم الحديثة. أما غيرهم فهم في حاجة معاجم تضم مفردات تستجيب لمتطلبات العصر ولحاجات المتكلمين للتعبير عن أغراضه، فالمفردات القديمة التي لا موضع لا سبيل لتوظيفها في واقع الاستعمال فلا طائل منها، لأنَّ اللغة وضعت للتبليغ والاتصال قبل كل شيء.

من المؤسف حقاً أن يجعل بعض مؤلفي المعاجم الحديثة اللغة حبيسة المعاجم القديمة، ولا يجتهدون في إدخال ألفاظ جديدة إلى اللغة تُكسيها طاقة تعبيرية «فكانَّ هؤلاء المؤلفين قد أيقنوا أنَّ اللغة العربية غنية بألفاظها التي تداولها الناس منذ القدم ولا تحتاج إلى أن تمدَّ المتكلم بهذا النوع من الألفاظ. لأنَّ المفاهيم التي تدل عليها هي من مبتدلات الحياة اليومية، فالعربية أرفع مقاماً. وهكذا تصير اللغة التي نريدها نحن نقالة للعلوم والفنون وشتى أنواع التقنيات ولغة يعبر بها أصحابها عن جميع أغراضهم هكذا قلنا تصير لغة أدبية محضة ولغة تحرير فقط لا لغة تخاطب ومشافهة»³. فما تجاهله أولئك المؤلفين هو حتمية تطور اللغة في جانبها الدلالي (المعاني)، فمن الطبيعي أن تحتاج اللغة «إلى قليل من التهذيب لمسيرة الوقت والسياق الذي تعاصره. وعلى معاجمنا - خاصة قل ولا تقل - أن تعلم أنَّ اللغة لها حدود ولها حرية لأنها كائن متطور فأنت لهم أن يقيّدوها ضمن قل هذا ولا تقل هذا. فالأحرى بها أن تجد التخرجات العلمية لإضافة الرصيد الجديد إلى القديم، وأن تكون المعاجم محاكية للفصح الحديث»⁴.

ومما سبق يتبيّن أنَّ «كل ما ظهر لا يزال عالمة على المعاجم القديمة في الغالب، من حيث المنهج وطريقة الاستقاء. فما رأينا من يهتم بالاستعمال الحقيقي للغة العربية إلا القليل. فقد اتفق بعض العلماء على عدد من المقاييس يعتمد عليها في اختيار الكلمات على مقياس ذاتي دون الرجوع إلى واقع الاستعمال للعربية الفصحى»⁵. ومن هنا ينبغي لمؤلفي

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

المعاجم «النظر في الكتب القديمة دون إهمال الكتب الحديثة والإبداعات العصرية، وتلك الأساليب العصرية التي تُتداول في الإعلام، ولدى مجمعي القاهرة بالخصوص»⁶.

2.1.1. الابتعاد عن الاستعمال الحقيقي للغة الفصحى

إنَّ أغلب مؤلفي المعاجم منذ النهضة إلى غاية منتصف القرن العشرين كانوا «لا يرجعون في الغالب إلى الاستعمال الموضوعي للغة العربية في خارج ما تحصل لهم من علم عن هذا الاستعمال كما كان يفعله علماؤنا القدامى الذين دونوا كلام العرب وكما يفعله العالم اللساني في زماننا هذا [كما أنَّهم لم يلجأوا] ... إلى تدوين واسع لما يستعمل بالفعل الآن باللغة الفصحى أو استعمل قديما أي إلى مدونة كبيرة من النصوص يعتمد عليها الباحث كمرجع موثق شاهد على الاستعمال الحقيقي للغة الفصحى»⁷.

أما في زماننا الحاضر فقد «تأخر المعجميون العرب تأخرا كبيرا في العناية باللغة المستعملة بالفعل -القديمة الحديثة- ولم يظهر منهم هذا الاهتمام إلا القليل منهم التفت إلى حدٍّ ما مؤلفو المعاجم في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين مثل عائلة البستاني والإسكندر معلوف وغيرهم إلا أنَّ ذلك كان قليلا وغير منتظم. وقد سبقهم إلى ذلك مؤلفو المعاجم المزدوجة للغة العامة لا المتخصصة -وهذا طبيعي- وكان أكثرهم من غير العرب. فمن تلك المعاجم نذكر معجم ليون برشي: *leon bercher lexique français – arabe* الصادر بالجزائر في 1938 ثم في 1944 ويقول صاحبه أنه أراد أن يكمل معجم *belot* الذي تنقصه الكثير من الألفاظ المولدة المعاصرة). ثم صدر بعد ذلك معجم المستشرق المشهور شارل بيلا *L'Arbe vivant* (ch. pellat) نشر في باريس في 1952. وأعظم معجم تناول الاستعمال المعاصر للعربية الفصحى هو ما قام بوضعه العالم الألماني هو هانس واهر *Hans wehr Arabisches wörterbuch für die schriftsprache der gegenwart*: وعنوان: (Munster 1952) ونقله على الفور إلى الإنجليزية الأمريكي J. Milton Cowan. وضم إليه الإضافة وسماه *Wiesbaden , 1961 A Dictionary Modern Written Arabic*»⁸.

ومن خلال ما سبق يتضح أنَّ بعض مؤلفي المعاجم الحديثة أهملوا الاستعمال الحقيقي للغة العربية، وفي هذا السياق يُشير الحاج صالح إلى أنَّ العرب في عصرنا قلدوا الغربيين «في كل شيء وفي كل ميدان علمي أو غير علمي ويقتبسون منهم كل شيء -بدون

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

تمحيص غالبا- إلا في ميدان واحد وهو صناعة المعاجم ووضع المصطلحات. فما لاحظناه عند العلماء الغربيين في هذا الميدان هو اعتمادهم المطرد على الاستعمال -ولا يشذ عن ذلك أحد- عند تأليفهم لمعجم عام أو مختص. وذلك على شكل تدوين لعينة كبيرة لهذا الاستعمال وعلى أساس القواعد المتعارف عليها في تأليف المعاجم. وقد يكون هذا الاستعمال موزعا على أقاليم أو بلدان وغير ذلك من الأماكن وذلك ليتمكن الإشارة إلى كثرة الاستعمال أو قلته في كل هذه الأماكن (ويطرد هذا في معجم اللهجات واللغات الإقليمية والعالميات) وقد يهتم المعجمي بتطور المفردة لفظا ومعنى عبر الزمان في مختلف الأقاليم فلا بد أن يعتمد إذن على مدونة تغطي الاستعمال لعدة سنوات بل قرون⁹. فالاستعمال هو الركيزة الأساسية التي تُبنى عليها المعاجم، وهو ما أدركه الباحثون الغربيون إذ اعتمدوا في نشاطهم الخاص بصناعة المعاجم «على رصد الاستعمال الحقيقي للمصطلحات والرجوع في الأول وفي الأخير إليه هو الأساس عندهم»¹⁰.

فالحاج صالح يعيب على الباحثين العرب هو عدم الاقتداء بمنهج الغربيين في بناء المعاجم، فما أنجزه الغربيون يدعوننا لذلك، ويقدم لنا «مثال "ذخيرة اللغة الفرنسية Trésor de la langue Française" فإنه يغطي الاستعمال للغة الفرنسية لمدة قرنين وقد دونت المعطيات اللغوية (النصوص الأدبية والعلمية) لما أنتجه الفرنسيون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وتتبع الباحثون استعمال كل مفردة في جميع سياقاتها في جميع النصوص المدونة، ولجأوا في ذلك إلى الحاسوب. ثم حرر كل عالم عددا من المداخل اعتمادا على هذا الذي دونوه أولا ثم على الدراسات الدقيقة للسياقات -كل السياقات- لجميع الكلمات. فأصدروا هذه الذخيرة في ستة عشر جزءا كبيرا على شكل معجم (من 1976 إلى 1994) (وهو عام وتاريخي وعلمي). ثم شرعوا في حوسبة المعجم نفسه آليا وأنهوا هذا العمل الكبير العملاق في 1998 ولم يبخلوا فبذلوا الجهود والأموال الهائلة لإنجازه ووقفوا إلى حد بعيد في كل ذلك فهو الآن في متناول أي باحث في أي وقت باللجوء إلى شبكة الانترنت»¹¹. فما قام به الغربيون هو جمع مدونة تمثل الاستعمال الحقيقي، ومن خلالها تمكنوا من رصد سياقات كل مفردة، وهو ما سيسهل عمل الباحثين في صناعتهم للمعاجم. فلم لا يسير الباحثون العرب على منوال الغربيين في جمع مدونة وحوسبتها؟

3.1.1. غياب الألفاظ الدالة على المسميات الحديثة

تظهر في كل عصر مفاهيم جديدة "حضارية" فتُستحدث بالمقابل ألفاظ للتعبير عنها، وهذا النوع من الألفاظ غائب في المعاجم الحديثة؛ أي أنها تتسم بـ «خاصة لغوية فظيعة فيما يخص الألفاظ التي تدل على المسميات المحدثّة في عصرنا الحاضر»¹². فهي «لا تتعرض إلى اللغة المعاصرة، أي المولد من الألفاظ، إلا قليلا مع أنّ هذا المولد قد يكون وضع على قياس كلام العرب مثل السيارة والطيار والباخرة والقطار وغير ذلك وقد دخل ذلك في الاستعمال وشاع شيوعا واسعا وأخص بالذكر المولد العفوي الذي وضعه أفراد الشعب للضرورة الملحة»¹³.

وبهذا فإنّ المعاجم الحديثة لا تتوافق مع حاجات المتكلم التبليغية، فالمتكلم لا يجد في المادة المعجمية ألفاظا يمكن له أن يوظفها في واقع الاستعمال للتعبير عن المفاهيم الجديدة. وننبه ههنا إلى أنّ اللغة العربية لها من الخصائص ما يؤهلها للتعبير عن مختلف الأشياء والمفاهيم، لذا «نحن لا نتهم اللغة في ذاتها إنّما الذي نستضعفه هو كيفية استعمال المربين لها، فالكتب المدرسية هي من وضع هؤلاء. أما كون اللغة العربية لا يوجد فيها ما يكفي للتعبير عن المسميات المبتدلة في البيوت والشوارع والمعامل، فهذا راجع لكسل أهلها وضعف اعتناء منهم لضعفهم في أنفسهم لأنّ اللغة سماع وقياس خلاق يتراءى في كيفية استعمالها ضعف أصحابها»¹⁴.

إنّ التهاون في التعبير عن المسميات الحديثة من قبل بعض مؤلفي المعاجم وواضعي المصطلحات هو سبب ابتعاد العربية الفصحى عن ميدان التخاطب وانزوائها، لأنّ المتكلم إذا أراد التعبير عن شيء مُستحدث يجد نفسه أمام خيارين «فإنّما أن يستعمل اللفظ العامي أو الأجنبي وإما أن يترك هذا المسمى ولا يدخله في جملة ما»¹⁵. وبهذا فإنّ اللغة إذا لم تزود بطاقة تعبيرية جديدة من خلال التعبير عن المفاهيم المستحدثة فإنّها ستبقى جامدة وعاجزة عن مجابهة العامية واللغات الأجنبية.

هذا وبخلاف ما سلف ذكره فإنّ مؤلفي للمعاجم العربية غير المزدوجة أبدوا «شيئا من الاهتمام باللغة المعاصرة ويتراءى ذلك في محاولة أصحاب معجم "المنجد" بإدخال بعض الكلمات المولدة وكذلك الدخيلة منها الشائعة ولا بد من الاعتراف لهم بفضل

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

عظيم جدا وهو رجوعهم الدائم إلى التراث للبحث عن اللفظ الفصيح الدال على معنى قديم قد يسمّى في كل بلد من البلدان بتسمية أخرى غير الفصيحة وذلك كأسماء الحيوانات والنباتات (التمّ والفقّه وحمّار الزرد وغير ذلك). وصدر في السنوات الأخيرة "المعجم الوسيط" في مصر والمعجم الأساسي نشرته المنظمة العربية والثقافة والعلوم وحاول أصحابهما أن يدخلوا الكثير من الألفاظ ذات المدلول المحدث -وأكثرها من الدخيل العامي الجاري استعماله في لغة التخاطب- مهما كان فهو محاولة طيبة في إدماج المستعمل حديثا في المعجم العامة»¹⁶.

هذا وقد «عزم أصحاب "المنجد الحديث" على تأليف منجد اللغة المعاصرة بأكملها. ونشروا في عام 2000: "المنجد في اللغة العربية المعاصرة". يقول أصحابه في مقدمتهم له: "يضم (هذا المعجم) جميع المفردات والعبارات التي يحتاج إليها مثقف القرن الحادي والعشرين حتى المأخوذة من أصل غير عربي". وهي محاولة جدّ إيجابية وسيكون لها أثر عميق في نشر الثقافة المعاصرة بالعربية ومن هذا عدم الاكتفاء في ذلك بلغة أجنبية كما هو الحال في الكثير من المؤسسات التعليمية والعلمية العربية (مع الأسف) في زماننا هذا»¹⁷.

إنّ مثل هذه المحاولات التي يسعى أصحابها إلى إثراء معاجمهم بمفردات تتطلبها الحياة اليومية وتعبّر عن المسميات الحديثة، تُزود اللغة العربية بطاقة تعبيرية جديدة تُمكنها من الخروج إلى ميدان الحياة والمشافهة اليومية.

2.1. الأوصاف العلمية التي ينبغي توفرها في المعاجم

رغم تعدد المعاجم وكثرتها في الوقت الحاضر إلا أنّ أكثرها لا يستوفي شروط وضع المعاجم، فوضع أي معجم سواء أكان لغوي أم علمي لابد أن يخضع لمجموعة من الأسس والمقاييس، وقد حدد الحاج صالح مجموعة من الأوصاف العلميّة، والتي ينبغي أن تبني عليها المعاجم عامة، وتتمثل في:

1.2.1. التوثيق

لطالما أكد الحاج صالح على ضرورة التوثيق في كل البحوث مهما كان ميدانها، إذ لابد أن يشير الباحث إلى مصادر معرفته بدقة متناهية سواء أكانت نصوصا أم مقالات أم

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

دراسة ميدانية ... إلخ، فالتوثيق ضرورة ملحة يُكسب الدراسة موضوعية ومصداقية في النتائج المتواصل إليها، وكذلك هو الحال في ميدان صناعة المعاجم، فلا يعقل أن يضم المعجم مادة لغوية مجهولة المصدر، وإلا فإنَّ معجمه لا يعتد به ولا أساس له من الصحة. فالتوثيق يعد من بين الأسس العلمية التي لا بد منها في صناعة المعاجم، ف«لا يتصور أن يوضع معجم في اللغة بدون توثيق لما يتضمنه من الألفاظ ودون أن يُعرف من أين استقيت فهل هي ألفاظ وضعتها جماعة من العلماء واقترحها صاحب المعجم أم هي مفردات وردت في الاستعمال بالفعل؟ وهذا قد حققه علماءنا قديما وكانوا يوثقون ذلك بأكثر من شاهد. فلماذا نتراجع نحن اليوم عن هذه الميزة العلمية؟»¹⁸.

2.2.1. ضرورة الاعتماد على مدونة

يُعيب الحاج صالح على المعاجم العربية الحديثة افتقادها «لخاصية امتازت بها المعاجم التي ألفها الغربيون للغاتهم ولا سبيل إلى وجودها على الإطلاق في المعاجم العربية حاليا، في علمنا، إلا فيما وضعه بعض الغربيين فيما يخص اللغة العربية ... فهذه الخصلة التي يعتبرها علماء اللغة (علماء المعجمات خاصة) في زماننا شرطا لازما لوضع المعاجم بل الأساس الذي تبنى عليه وهي ضرورة الرجوع في كل ما يدرجونه في معجمهم إلى مجموعة واسعة جدا من النصوص الأدبية والعلمية والعادية ويجعلونها هي المستقى الكلي والوحيد لكل الألفاظ التي تدخل في المعجم. في وثائق نصية يعتمد عليها واضع المعجم اللغوي هي وحدها في تسعين بالمائة من محتواه (وتسمى في اصطلاحهم بالـ CORPUS وتقابلها لفظة "المدونة" العربية الحالية). فلا يوجد معجم لغوي بلغة أجنبية إلا وله مدونة استقى منها هذا المجموع النصي الوثائقي الواسع»¹⁹.

وبهذا يتبين أنَّ المدونة تمثل أرضية انطلاق وضع المعاجم، وينبغي أن تكون تلك المدونة شاملة تضم مجموعة من النصوص المتنوعة «تمثل حقَّ الاستعمال الحقيقي للغة. ومنها يمكن أن نستخرج بكيفية موضوعية كلَّ المعلومات الخاصة بكلِّ كلمة كاتساع استعمالها وترددها وتستخلص معانيها من السياقات وذلك بالاعتماد على "ملف اللفظة"، الذي يجعل تحت تصرف المحررَّ للمدخل»²⁰. فالقيمة العلمية والمعرفية للمعاجم تنبع من اعتمادها على المدونة واسعة وشاملة.

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

وما يوجب الاعتماد على مدونة أنه «لا سبيل إلى معرفة المعاني الحقيقية للمفردات إلا في داخل سياقاتها في الكلام الذي يستعمله المستعملون مشافهة وكتابة... [ف] وصفة المعجم الجوهري هو شمولية ما يحتوي عليه مما هو مستعمل بالفعل أو كان كذلك (بالنسبة لمعجم خاص بفترة قد مضت). وتنوع محتواه يضمن هذه الشمولية»²¹، التي تضمن بدورها تنوع معاني المفردة بتعدد سياقاتها.

وفي مقابل ذلك، المفردة المعزولة «لا حياة لها... إلا في داخل السياق من الكلام وفي حالة خطاب معينة: يصدر من متكلم ويوجه إلى مخاطب معين أو أكثر ودلالته بهذا الكلام في هذه الحالة تنحصر في عرض معين لا في معاني وضعية يدل عليها لفظها في الوضع فقط. فهذه الحيوية لا توجد إلا في النصوص أي في الاستعمال ليس غير. وعلى هذا فالتتبع لما تحتوي عليه هذه النصوص الموثوقة لغويا بكيفية منتظمة وشاملة هو العمل الوحيد الذي يضمن الصفة الموضوعية الصحيحة للعمل المعجمي. وذلك لأنّ البحث اللغوي وتفسير النصوص (كتفسير القرآن) والتحليل العلمي للخطاب السياسي وغيره، يبيّن أن لا معنى إطلاقا لأي كلمة إلا بسياقها، فالألفاظ تكاد تكون كلها مهمة في ذاتها لاشتراك المعاني في كل واحد منها، فالتصفح لهذه المعاني المختلفة لا يمكن أن يتحقق إلا بالتصفح لكل المواقع التي تقع فيها الكلمة أي في الكثير من سياقاتها»²².

فمعاني الألفاظ تتحدد من خلال السياقات، وذلك لأنّ أوضاع اللغة كلّها قائمة على الإبهام، فأى لفظ في أصل وضعه يكون مهما أي متعدد الدلالة وغير مختص بالدلالة على شيء معين، «فللفظ في الوضع صيغة معينة و تصرف منها إلى صيغ أخرى فرعية. وله حدود في ذلك وفي اندماجه في التركيب. أما المعنى الموضوع له فلا يكون إلا مهما كالأجناس و معاني الحروف و المهمات الأخرى. فهذا حكمها في وضع اللغة»²³. ومن تلك المعاني الوضعية مثلا: " شجرة، قلم، رجل... إلخ"، وهي معان لا تختص بالدلالة على شيء معين. «أما في الاستعمال أي عند استعمال المتكلم للغة لهذه اللفظة في عملية خطابية معينة فليس لها عندئذ إلا واحدا وإلا كان كلامه ملبسا ولا يتم بذلك الفهم والإفهام الذي من أجله وضع الكلام»²⁴، ولهذا ينبغي على واضعي المعاجم تتبع معاني اللفظة من خلال استعمالها في سياقات متعددة، ولن يتأتى لهم ذلك إلا بمدونة واسعة وشاملة.

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

هذا ولا بد من التنبيه إلى أنّ هناك بعض المعاجم العربية الحديثة التي اعتمد أصحابها على مدونة، ومن ذلك معجم الذي ألفه «J.MiltonCowan» و ... سماه: Wiesbaden , 1961 A Dictionnaire Modern Written Arabic ... واعتمد صاحبه أيضاً على مدونة اشتملت على عدة نصوص مما أنتجه طه حسين ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وغيرهم. فهذه المعاجم تخص اللغة العربية المعاصرة وتحتوي على الكثير من مصطلحات الإدارة وألفاظ السياسة وفضلها كبير، ولا تعادلها في ذلك أي محاولة، هو اعتمادها على مرجع علي لا يمكن رده وهو تدوين لما يستعمله الناس بالفعل من العربية الفصحى وإن كان ينقصها شيء -إن كان هناك نقص- فهو في نظرنا عدم التفاتها إلى الاستعمال المنطوق للفصحى (الخطب المسموعة والمحاضرات والموائد المستديرة وكل ما يذاع في الإذاعة وغير ذلك)²⁵.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاعتماد على مدونة «كان ... من اهتمامات علمائنا في القرن الماضي ثم اختفى تماماً أو يكاد»²⁶، فالعلماء العرب الأولون خرجوا إلى البوادي وشافهوا العرب السليقيين وقاموا بتحريات ميدانية واسعة مكنتهم من جمع مدونة ضخمة. وبهذا «هم أول من عمل بهذا المبدأ وهذه الطريقة التي سبق ذكرها. فالاستعمال الحقيقي للعربية الفصيحة هو الذي وجهوا إليه اهتمامهم فزيادة على النص القرآني ومختلف قراءاته المجتمع عليها التي جمعوها، فقد قضوا عشرات السنين في السماع من فصحاء العرب ودونوا كلامهم بعناية فائقة كما هو معروف. ولم يُعَرِّد أحد من هؤلاء المؤلفين الأهمية الكافية لفكرة الاعتماد التام على مدونة بالمسح الكامل لها وأن تكون بذلك المرجع الموثوق وذلك بخلاف ما قام به بعض المستشرقين ممن ألفوا معاجم للغة العربية الحديثة بل اكتفوا بنقل ما وجدوه في المعاجم القديمة وحاولوا أن يصلحوا الخلل -كالتعريف المهم- بالرجوع إلى تعريف دقيق أخذوه من الكتب العلمية مع تصفية واسعة لكل غريب وحشي لم يرد في أي نص معروف»²⁷.

ومن خلال ما سبق يتبين أنّ الاعتماد على مدونة تمثل الاستعمال هو الركيزة الأساسية التي يجب أن تُبنى عليها المعاجم، فهذا هو المبدأ الذي اعتمده علماءنا الأوائل.

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

فلم لا نسير على منوالهم؟ فالعودة إلى المعاجم القديمة ثم إعادة صياغتها في صورة قريبة من صورتها الأولى لا فائدة منه.

3.2.1. ضرورة الالتزام بمنهجية مضبوطة

يُشير الحاج صالح إلى أنه يتوجب على واضعي المعاجم «ضرورة الاعتماد على منهجية خاصة في دراسة المفهوم مع اللفظ المقابل له وذلك كاللجوء إلى النوع الراقي من الجزازات الاصطلاحية الذي يجري استعماله الآن في علم المصطلح الحديث»²⁸. و المقصود بذلك أن يعمد الباحثون إلى تدوين معلومات كل مصطلح، ثم تخزينها في الحاسوب ليتم لاحقاً اعتمادها في بناء المعاجم، وتمثل معلومات كل مصطلح جزاة مصطلحية وهي تمثل بطاقة الهوية للمصطلح.

وبهذا يتبن أن الحاج صالح يقترح «أن نضع لكل مصطلح "بطاقة تعريف" أي جزاة خاصة به تكون فيها كل المعلومات التي تخصه. فلا يكفي أن يكون المصطلح -بالنسبة للباحثين في المصطلح وللعلماء في كل فرع من فروع المعرفة- مذكوراً بتعريفه في قائمة أو في معجم خاص بل يجب أن يُعرف بأكثر من هذا. وتكون حينئذ قاعدة المعطيات الاصطلاحية جزائية إلكترونية في الحقيقة وذلك مثل TERMIUM»²⁹.

أما فيما يتعلق بطبيعة المعلومات و«التي لا بد أن تدخل في الجزاة للكشف عن كل كيان اصطلاحي يمكن أن نذكر: ذكر المصطلح بالشكل الكامل مع ما يخصه من أوصاف لغوية مع ذكر مقابله الانكليزي والفرنسي. ثم التعريف له (وهناك أنواع من التعريفات). ولا بد من الاعتماد قبل كل شيء على التعريف اللغوي العادي المبني على ماهية الشيء وصفاته المميزة أي: بالجنس القريب ثم الفصول كما أن هناك التعريف الإجرائي وهو الذي يعرف الشيء بدوره في بنية معينة وغير ذلك. ثم يأتي ذكر مرادفاته إن وجدت. ثم يكون مع التعريف بيان الميدان العلمي أو التقني الواسع والميدان الفرعي الدقيق ثم المصادر التي عثر عليها مستعملاً فيها مع بعض سياقاته وأكثر المراجع دقة. ثم تأتي الملاحظات الوصفية للاستعمال: تاريخ أول ظهوره إن أمكن وكثرة وروده في الكتاب الواحد واتساع استعماله. وإن عثر في معجم أو قائمة فقط ولم يدخل في الاستعمال فلا بد من النص الصريح على ذلك مع ذكر اسم الواضع (وقد تكون مؤسسة) وتاريخ وضعه ومكانه أو إقراره واسم الهيئة

أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح

المقرة له. وتأتي بعد ذلك أوصاف تخص أصله إن كان دخيلاً وكيفية تكيفه (أو عدم تكيفه) وكيفية ذلك: بالمجاز فقط أو بالاشتقاق وغير ذلك، وتأتي في الأخير ملاحظات اللغويين والمجمعين، أي كانت، معيارية وغير معيارية»³⁰.
ومما لا شك فيه أن اعتماد هذه المنهجية سيسهل عمل مؤلفي المعاجم، فالجزارة ستضم معلومات شاملة حول كل مصطلح، إذ إنها تتكون من خانات، وكل خانة يتم ملؤها بمعلومات عن مصطلح ما، ثم تُخزن الجزارات على الحاسوب، مما يسهل عملية استغلالها من قبل واضع المعجم.

الخاتمة:

وخلاصة الكلام أن للمادة المعجمية أهمية كبيرة تنبثق عن كونها مُستقى لمختلف شرائح المجتمع، فهي مادة يبحث فيها التربويون عن الألفاظ الموضوعية للمسميات الحديثة لإثراء الكتب المدرسية، ويلجأ إليها واضعوا المصطلحات في بحثهم عن مصطلح علمي دقيق لمقابل مصطلح أجنبي، ويستعين بها المتعلم في شرح ما استعصى عليه من ألفاظ، وغير ذلك ممن هم في حاجة للمعاجم اللغوية والعلمية. لذا ينبغي على واضعي المعاجم أن تكون أعمالهم في مستوى أهمية المعجم، مستوفية لشروط وضعه ومبنية على أسس علمية وعلى ما توصلت إليه البحوث في مجال صناعة المعاجم.

هوامش البحث :

1- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، 1ع، السنة الأولى، ربيع الأول، 1426هـ، ماي، 2005م، ص. 13.

- 2- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، (2011)، دار هومة، الجزائر ط 6، ص. 140.
- 3- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (2007)، المؤسسة للفنون المطبعية الجزائرية، ط 1، ص. 161.
- 4- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص. 145.
- 5- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 24-25.
- 6- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص. 139.
- 7- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 13.
- 8- نفسه، ص. 14.
- 9- نفسه، ص. 16.
- 10- عبد الرحمن الحاج صالح، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، مجلة المجمع الجزائري، ع07، السنة الثالثة، جمادى الثانية، 1429هـ، جوان، 2008م، ص. 10.
- 11- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 16-17.
12. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص. 180.
- 13- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 13.
- 14- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص. 160.
- 15- نفسه، ص. 161.
- 16- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 15.
- 17- نفسه، ص. 15.

- 18- نفسه، ص. 18.
- 19- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العلمي وشروط وضعه العلمية والتقنية، اللسانيات مجلة في اللسان وتكنولوجياه، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، ع11، 2006م، ص. 21.
- 20- نفسه، ص. 15.
- 21- نفسه، ص. 21.
- 22- نفسه، ص. 22.
- 23- عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة رعاية، الجزائر، د ط، ص. 111.
- 24- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص. 340.
- 25- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، ص. 14.
- 15.
- 26- عبد الرحمن الحاج صالح، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، ص. 12.
- 27- عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العلمي وشروط وضعه العلمية والتقنية، ص. 22.
- 28- عبد الرحمن الحاج صالح، أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، ص. 13.
- 29- نفسه، ص. 22 - 23.
- 30- نفسه، ص. 23.

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها في المدرسة الابتدائية الجزائرية

د. بن يطو بن عمران
جامعة المدية .

الملخص :

تتناول هذه الورقة البحثية التعرّيج على أهم المصطلحات التربوية الموظفة في المقاربة بالكفاءات - (تعريف الكفاءة . أنواعها . بعض المفاهيم المرتبطة بها ، ...) - التي انتهجتها الإصلاحات التربوية في الجزائر في بداية القرن الواحد والعشرين، استجابة لعدة تحديات داخلية و خارجية فرضت عليها تغيير مناهجها التربوية لتتماشى مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يشهدها العالم، و الجزائر جزء منه يتحتم عليها أن تواكب متغيرات العصر .

كما يتطرق هذا البحث إلى ذكر أهم التحديات التي تواجه تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الابتدائية الجزائرية التي أولت أهمية أساسية للمتعلم بحيث أصبح هو محور العملية التعليمية التعلمية. بالإضافة إلى تقديم بعض المقترحات لتفعيل دورها في أداء مهمتها المنوطة بها ، باعتبار أنّ التعليم وتربية النشء هو أولى الأولويات ، لأنه السبيل الوحيد للتقدم و التطور في كل المجالات . و من هذا المنطلق طرح التساؤل الآتي : ما أهم التحديات التي تواجه تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الابتدائية الجزائرية ؟ و ماهي الحلول المقترحة لمواجهة هذه التحديات لتفادي تأثيراتها السلبية ؟ و للإجابة عن ذلك نعالجه وفق الخطة الآتية :

الكلمات المفتاحية : المقاربة بالكفاءات، أنواع الكفاءة، التحديات، الكفاية، التقويم.

Summary :

This paper focuses on the most important educational terms used in the competency approach (ie, the definition of competence, some of the concepts associated with it,...), which was adopted by the educational reforms in Algeria at the beginning of the twenty-first century, It has been forced to change its educational curricula in line with the economic, social and political changes witnessed by the world.

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

This paper also discusses the most important challenges facing the application of the competency approach in the Algerian primary school, which has given the learner primary importance to become the center of the educational learning process. In addition to providing some suggestions to activate its role in the performance of its mandate, considering that education and the education of young people is the first priority, because it is the only way to progress and development in all areas. From this point of view, the following question was raised: What are the most important challenges facing the application of the competency approach in the Algerian primary school?. What are the proposed solutions to meet these challenges to avoid their negative effects? . To answer this we address the following plan:

Keywords: competency approach, competency types, challenges, adequacy, calendar.

مقدمة :

إنّ التطور العلمي و التكنولوجي المتسارع في عصرنا هذا ، له تأثير قوي مس جميع مجالات الحياة ، منها مجال التربية و التعليم، فكان لزاما عليه مسايرة هذا التطور بتحديث مناهجه و طرقه و أساليبه . لذا انتهجت الجزائر عدة اصلاحات لمنظومتها التربوية، كان آخرها اعتماد المقاربة بالكفاءات في بداية القرن الواحد و العشرين ، استجابة لعدة تحديات داخلية و خارجية (العولمة، انفتاح السوق...) فرضت عليها تغيير مناهجها التربوية لتتماشى مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية و السياسية التي يشهدها العالم، و الجزائر جزء منه يتحتم عليها أن تواكب متغيرات العصر.

باعتبار أن المقاربة بالكفاءات تولى أهمية كبيرة للمتعلم، بحيث تجعله هو محور العملية التعليمية التعلمية ، و ينصب اهتمامها على تحصيل المتعلم و اكتسابه للكفاءات والمهارات التي تؤهله إلى جودة الأداء، لأنّ تعليم و تربية النشء هو أولى الأولويات ، فهو السبيل الوحيد للتقدم و التطور في كل المجالات . لكن هذا الاصلاح واجه العديد من التحديات الميدانية متعددة الجوانب حالت دون تحقيق الكثير من الأهداف المرجوة، و أثرت سلبا على تحصيل المتعلمين . ومن هذا المنطلق طرح التساؤل الآتي :

ما أهم التحديات التي تواجه تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الابتدائية الجزائرية ؟ .

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

وماهي الحلول المقترحة لمواجهة هذه التحديات لتفادي تأثيراتها السلبية ؟
مدخل نظري : تعريف الكفاءة و الكفاية لغة و اصطلاحا و بعض المفاهيم المرتبطة بهما .
أولا : تعريف الكفاءة و الكفاية لغة و اصطلاحا

المصطلح العلمي لا اعتباطية في وضعه، فهو يدل على مفهوم محدد، ولكن قد تختلف استعمالاته ودلالاته تبعا للمجالات العلمية التي توظفه في لغتها المتخصصة، لذلك قد يحدث لبسٌ و خلط في استعمال بعض المفاهيم عند غير المتخصصين، لأن الدلالات الاصطلاحية دائما أضيق من الدلالات اللغوية ، باعتبار « أن اللغة وُضِعَتْ على تعدد الدلالة في الأصل زيادة على إبهام ألفاظها و لا يدل اللفظ على المعنى الواحد إلا في الاستعمال كما بيّنه النحاة العرب.»⁽¹⁾ ولتأصيل مفهوم الكفاءة و الكفاية لابد من الرجوع إلى المعنى اللغوي الوضعي لها .

1 - تعريف الكفاءة و الكفاية لغة

تعريف الكفاءة لغة : جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة معنيان لكلمة " الكفاءة " هما :

الكفاءة (مفرد): 1 - مماثلة في القوّة و الشرف، ككفاءة الزوج لزوجته في الحسب و النسب ...

2 - أهلية للقيام بعمل و حسن تصرّف فيه، قدرة و حسن تصريف " كفاءة فنية نادرة - خبير ذو كفاءة - توجد كفاءات كثيرة في البلاد العربية . " - امتحان كفاءة : امتحان مصمم لاختيار قدرات الشخص في موضوع معيّن.

و هذا الأخير هو المعنى المقصود في مجال التربية و التعليم و يقترب من المعنى الاصطلاحي .

أما كلمة " الكفء " فلها معنيان متباينان كذلك في أصل الوضع اللغوي هما :

الكفء (مفرد): ج أكفاء و كفاء 1 - مِثْل و نظير ، هو كَفُوهُ ، قوله تعالى : { وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . } [سورة الإخلاص - 4] .

2 - جدير ذو أهلية، قادر على تصريف العمل " كفاء للقيام بالرحلة - هو كفاء في منصبه " (2) . وهذا المعنى الثاني لم نثر عليه في المصنفات التربوية التي تناولت المقاربة بالكفاءات، وهو معنى يتوافق مع المعنى الاصطلاحي في المجال التربوي .

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

كفى / كفى بـ / كفى لـ : يَكْفِي، اكف، كفاية، فهو كافٍ وكَفِيَ .
كفى الشيء/ كفى به / كفى له : اكتفى وغي، حصل به الاستغناء عن سواه.
كفاه الشيء : سدَّ حاجته ، وجعله يستغني به عن غيره " مبلغ يكفيه لتسديد ديونه- (ما
قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْمَهَى .) [حديث] ، وقوله تعالى : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ . } [الزمر
[36

الكفاية (مفرد): 1 - مصدر كفى / كفى بـ / كفى لـ . 2 - مقدرة وكفاءة " هو ذو كفاية في عمله " . 3 - ما يلزم بالضبط على قدر الحاجة ، إلى حدٍ يفى بالغرض ويغني عن غيره " عنده من المال كفاية " .

كَفِيَ (مفرد): - ج ، أَكْفِيَاءُ صفة مشبهة تدل على الثبوت من كفى / كفى بـ / كفى لـ . (3)
2 - تعريف الكفاءة والكفاية اصطلاحا

أ . الكفاءة (Compétence) :

« هي نشاط معرفي أو مهاري يمارس على وضعيات ، أو هي إمكانية بالنسبة للتلميذ لتوظيف جملة من المعارف الفعلية منها والسلوكية لحل وضعية - مشكل ، للتأكد من أن التلميذ قد اكتسب كفاءة . » (4) ، كما تعرّف بأنها «أداء عملي يمكن ملاحظته وتحليله و تفسيره و قياسه . » (5) فالمظهر الخارجي الذي يترجم كفاءة المتعلم و اكتسابه لمهارات و معارف معيّنة هو الأداء العملي والسلوك الفعلي .

ب . الكفاية (Efficiency) :

الكفاية اصطلاحا لها عدّة تعاريف مختلفة ، نختارها أهمها منها ما يلي :
« المعرفة المجسدة المرتكزة على استعمال و توظيف فعال لكل الموارد، و تبنى الكفاءة بتوظيفها في وضعيات معقدة . وهي مجموعة من المعارف و المهارات تسمح بالأداء بشكل جيد مهمة أو مجموعة مهام .

- استخدام مجموعة المعارف المنظمة من المهارات و المواقف بحيث تسمح بأداء مجموعة من المهام . » (6) ، و تعرّف أيضا بأنها : « السعة .. القابلية .. القدرة، وهي : أفضل مستوى يحتمل أن يصل إليه الفرد ، إذا حصل على أنسب تدريب أو تعليم ، وقد تسمى الاقتدار) (Capability) .

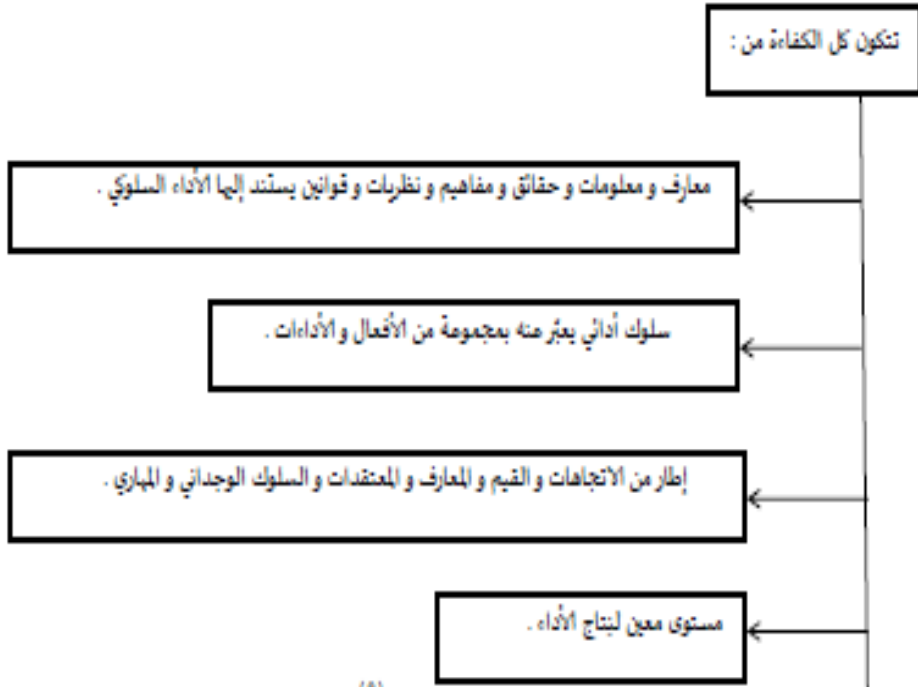
المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

وهناك ثلاثة أصناف من كفايات المتعلمين هي : كفايات معرفية، كفايات أدائية ، كفايات إنتاجية. والتعريف الذي يختص بالكفاءة الأدائية هو المقدرة على شيء بكفاءة وفعالية ومستوى معين من الأداء. (7)

و الفرق بين الكفاية و الكفاءة هو أنّ « الكفاية : أوسع من المهارة و الكفاءة، فهي تتضمن إضافة إلى ما تتضمنه المهارة و الكفاءة ، تتضمن الأسس العلمية والمعرفية النظرية للمهارة وما تتطلبه من اتجاهات وقيم.» (8) فهذا يعني أنّ الكفاية التي يتمتع بها الشخص المتعلم و المدرّب في مجال ما أو عدّة مجالات تدل على اكتسابه لقدرات عالية والإحاطة الواسعة لما يتطلبه الأداء العملي في هذا المجال .

3 - مكونات الكفاءة :

تتكون الكفاءة من عدة عناصر متكاملة لا بد من توفرها في الشخص للحكم على كفاءته في مجال محدد الجدول الآتي يلخصها بإيجاز كما يلي :



المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

ثانيا : بعض المفاهيم المرتبطة بالكفاءة و الكفاية

تقترن بالكفاءة و الكفاية بعض المفاهيم المجاورة لها ، أهمها ما يلي :

1 - المهارة (Habilité) :

« قدرة عالية على أداء فعل حركي معقد في مجال معيّن بسهولة و سرعة و دقة، مع القدرة على تكييف الأداء مع الظروف المتغيرة . » (10) إنها أداة للانتقال إلى مكتسبات معقدة مستقبلا، فالمهارة هدف من أهداف التعليم تشمل كفاءات و قدرات المتعلمين على أداء درجة التحكم في مهارته كالقراءة، الكتابة، ...

2 - القدرة (Ability / Capacité) :

« مقدرة الفرد الفعلية على إنجاز عمل ما أو التكيف في العمل بنجاح . تتحقق بأفعال حسية أو ذهنية، قد تكون فطرية أو مكتسبة ، كما قد تكون عامة أو خاصة . يتمثل مصدر القدرة في طاقة الإنجاز الكامنة في الفرد التي تظهر في أداء الفعل بطريقة محددة ، أو في تعلم مهارة أو اكتساب معارف معينة . يمكن قياس بعض القدرات عن طريق الاختبارات . » (11) وتعرّف أيضا بأنها : « القوة التي تمكن من أداء فعل جسي أو عقلي ، ... القدرة على التعلم المدرسي هي القدرة على إنجاز العمل المدرسي ... » (12) فهي مؤشر ظاهر لقياس مكتسبات الفرد الفعلية الكامنة للتحكم على كفاءته الحقيقية في مجال محدد .

3 - الاستعداد (Haptitude) :

« القدرة الكامنة في الفرد وهي نظرية ، يقابله في المعنى البيولوجي مصطلح النضج ، وهو مستوى معيّن من الاستعداد لتعلم شيء ما . » (13) أو أداء متوقع سيتمكن الفرد من إنجازه فيما بعد عندما يسمح بذلك عامل النمو والنضج ، أو توفر الشروط الضرورية ، إنه أداة للتنبؤ بالقدرة مستقبلا ، فهو نجاح كل نشاط .

4 - الإنجاز أو الأداء (Performances) :

« ما يتمكن الفرد من تحقيقه أنيا من سلوك محدد، و يستطيع الملاحظ أن يسجله بأعلى درجة من الوضوح و الدقة، و هو مفهوم مختلف عن القدرة التي تشير إلى إمكانات الفرد المتعددة في مقابل الإنجاز الذي يشير إلى ما يحقق أنيا، و المؤشر الأساسي على الإنجاز هو السلوك ، أي سلسلة من الأفعال و الأنشطة و العمليات . » (14)

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

الفرق بين الكفاية و الأداء: (15) يظهر الجدول الآتي أهم الفروق بين الكفاية والأداء .

الأداء	الكفاية
1- الأداء نفسه .	1 - امتلاك آليه الأداء .
2 - متغير في المواقف المتشابهة ، و في الموقف نفسه مكررا .	2 - ثابتة لا تتغير .
3 - ظاهري .	3 - ضمنية .
4 - يمكن قياسه مباشرة .	4 - لا يمكن قياسها مباشرة .

ثالثا : أنواع الكفاءات تنقسم الكفاءات إلى عدة أنواع مختلفة أهمها ما يلي :

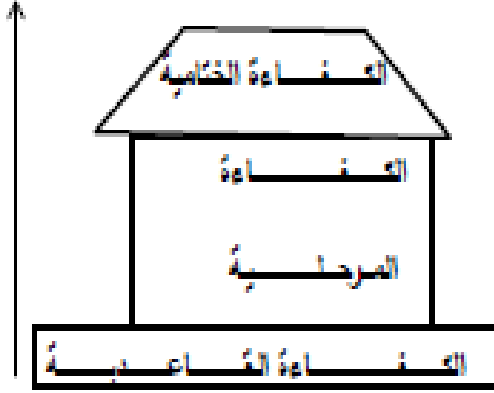
1. الكفاءة القاعدية أو الكفاءة الأساسية (Compétence de base) :
« هي كفاءة تتوقف عليها مواصلة التعليم في مرحلة لاحقة . » (16) وهي الكفاءة الأساسية المرتبطة مباشرة بالوحدة التعليمية حيث كل نشاطات التعلم فيها تتمحور حولها .
2. الكفاءة المرحلية : « هي مجموع الكفاءات القاعدية، تسمح بتوضيح الأهداف الختامية لجعلها أكثر قابلية للتجسيد، كأن يقرأ المتعلم جهرا و يراعي الأداء الجيد مع فهم ما يقرأ، وهي تتعلق بفصل أو شهر أو مجال معين » (17)
- 3 - الكفاءة الختامية أو النهائية (Compétence Finale) :

« تعد ختامية كونها تصف عملا كليا منتهيا، و تتميز بطابع شامل و عام، و هي تعبر عن مفهوم إدماجي لمجموعة من الكفاءات المرحلية، يتم بناؤها خلال سنة دراسية أو طور
«(18)

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

التجاه بناء و اكتساب التعلّات

مراحل اكتساب الكفاءات :



أنواع الكفايات : (19) تتفرع الكفايات إلى أربعة أنواع وهي :

1 - الكفايات المعرفية	تتضمن المعلومات والمعارف والقدرات العقلية الضرورية لأداء الفرد مهمة معينة .
2 - الكفايات الأدائية	تمثل المهارات النفسحركية خاصة ، في مجال ... المواد المتصلة بالتكوين البدني و الحركي ، و أداؤها يعتمد على ما حصله الفرد من كفايات معرفية .
3 - الكفايات الوجدانية	تشير إلى آراء الفرد و اتجاهاته و ميوله و معتقداته و سلوكه الوجداني ، و تغطي جوانب كثيرة منها : ميوله نحو المادة التعليمية ...
4 - الكفايات الإنتاجية	يتعلق الأمر بالإثراء و نجاحاته في الميدان ، أي نجاح المختص في عمله (ليس ما يؤديه لكن ما يترتب على ما يؤديه)

رابعا : تقويم الكفاءة (Evaluation de Compétence) :

تعريف التقويم (Evaluation) :

« هو عملية إصلاح تقوم على جمع البيانات أو المعلومات المتعلقة بالمتعلم فيما يتصل بما يعرفه أو يستطيع فعله، ويتم ذلك بالعديد من الأدوات، مثل ملاحظة التلاميذ

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

أثناء تعلمهم أو تفحص إنتاجهم أو اختبار معارفهم ومهاراتهم. يرافق التقويم التعلم في مختلف محطاته وبوجهه، ويسرمهمة المتعلم في تملك الكفاءات المستهدفة .⁽²⁰⁾

هناك عدة أنواع من التقويم منها: التقويم التشخيصي، التقويم التكويني (البنائي)، التقويم التحصيلي " النهائي"، التقويم الشامل، التقويم الجزئي، تقويم الأداء، تقويم تأكيدي، تقويم المنهج .

مراحل التقويم :

- 1- التقويم التشخيصي (Evaluation Diagnostique) أو القبلي (Pré évaluation).
- 2- التقويم التكويني (Evaluation Formative) أو البنائي .
- 3- التقويم التحصيلي (Evaluation Somative) أو النهائي .

و يصاحب هذا العمل (الذي يمثل المراقبة المستمرة لعمل المتعلم وسلوكه) تقييم وتقدير لتحصيل المتعلمين لتحديد الفئة التي تحتاج إلى معالجة ودعم من أجل تقليص الفوارق بين المتعلمين .

يمر التقويم بعدة مراحل متتابعة و مترابطة تبنى على خطة محكمة تتضمن

الأسئلة الآتية :

- متى نقوّم ؟ ← (قبل ، وأثناء ، وبعد) كل نشاط تعليمي / تعليمي .
- ماذا نقوّم؟ ← مكتسبات المتعلمين ، أداء المعلم ، المحتويات ، المناهج .
- لماذا نقوّم ؟ ← لتحديد مدى تحقق الأهداف وتحديد الخلل لتدارك النقائص .
- كيف نقوّم ؟ ← تحديد طرق ووسائل التقويم الناجح .

وبذلك يعتبر التقويم عنصرا هاما في العملية التعليمية التعلمية لما له من دور أساسي فيها ، لأنه يشخّص مكتسبات المتعلم ويحدد الصعوبات والعقبات التي تعترضه)

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

قبل و أثناء و بعد) كل نشاط تعليمي ، و هذه المرافقة الدائمة لنشاط المتعلم (المراقبة المستمرة) تحسّن مكتسبات المتعلم و تزيد من مردودية التعليم .

ب - أهم التحديات التي تواجه تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الابتدائية الجزائرية .
يواجه تطبيق المقاربة بالكفاءات في المدرسة الابتدائية الجزائرية عدة تحديات مختلفة أهمها :

1 - انعدام الوسائل التربوية في المدارس الابتدائية :

المواد العلمية (الرياضيات و التربية العلمية التكنولوجية) تحتاج إلى وسائل إيضاح لتسهيل استيعاب المفاهيم المقررة على التلاميذ نظرا لعامل السن الذي يحد من تصور بعض الحقائق اعتمادا على الصورة فقط . فالوسائل والتجارب العلمية البسيطة تجعل المتعلم يمارس التعلمات فعليا بتجنيد أغلب حواسه في آن واحد (الرؤية و اللمس و السمع) بالإضافة إلى القدرات العقلية ، مما ييسر اكتساب التعلمات و يثبّتها ، و بالتالي يسهل استثمارها و توظيفها لبناء تعلمات أخرى تبني عليها و من أمثلتها ما يلي :

درس تحولات المادة (صلبة ، سائلة ، غازية) .⁽²¹⁾

درس المواد المنحلة في الماء و المواد غير المنحلة في الماء . و درس أجسام تطفو و أخرى تغوص . و درس مقارنة الكتل.⁽²²⁾

درس المواد الناقلة أو العازلة للكهرباء، و الدارة الكهربائية .⁽²³⁾ و الأمثلة كثيرة على ذلك .
هذه الدروس تحتاج إلى ممارسة فعلية بوسائل تربوية في مخبر المدرسة أو على الأقل تقدّم على شكل أشرطة علمية تعرض تجارب مسلية تجعل التعلمات أكثر متعة، و تشد انتباه المتعلمين، و بالتالي يكون التحصيل أوفر و أنفع و أدوم، و هذا يزيد من شدة التشويق لمتابعة الدروس، و ينمي الدافعية و القابلية للتعلم، و يذلل الصعوبات الفطرية و المكتسبة، و يطرد الملل و الكلال، و يجعل المتعلم نشطا فعلا متفاعلا بحماس، لأنه ميال إلى المحسوس الملموس أكثر من انجذابه إلى المسموع المدرك ذهنيا فقط .

فإذا كانت المدرسة عاجزة على توفير الوسائل الضرورية لاكتساب التعلمات والمهارات، فكيف نطالب الأستاذ بأن يعتمد على التطبيق أكثر من التنظير، و يبعث التشويق في نفوس المتعلمين لجذب انتباههم إلى ما يقدم من تعلمات و أنشطة تربوية و

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

الوسط المدرسي خالٍ من الوسائل المساعدة على ذلك، إنه أشبه بجندي يرسل لخوض معارك بدون سلاح، وفي أحسن الأحوال يعطى له سلاح بلا ذخيرة حية .

و نحن لا نلوم المدرسة في ذاتها من جهة عدم توفير الوسائل، لأنها مسلوحة الإرادة، لأن تسييرها المالي تابع للبلديات، و أكثر البلديات عاجزة عن تسيير نفسها بسبب الصراعات الحزبية و التراكمات السابقة . و يكمن الحل في استقلالية المدرسة الابتدائية في تسييرها المالي لكي تلبى حاجاتها الضرورية لأداء دورها الفعال في المجتمع و القيام بمهمتها المنوطة بها على ما يُرام .

فالمدرسة الابتدائية هي المؤسسة الوحيد الخاضعة لوزارتين مختلفتين : فهي تابعة لوزارة التربية من الجانب التربوي، و تابعة لوزارة الداخلية من حيث التسيير المالي المتعلق بالهياكل و التجهيز و هذا هو المعوّق الحقيقي الذي يكبلها و يجعلها عاجزة عن توفير متطلباتها.

2 - الاكتظاظ و الصعوبات التي يطرحها :

اكتظاظ الأقسام بالتلاميذ ظاهرة استفحلت في المدرسة الابتدائية الجزائرية نظرا لعدة عوامل مختلفة، فأصبحت من أهم التحديات التي يواجهها النظام التربوي، بسبب ما ينتج عنها من مشاكل يصعب حلها، ولعل من أهمها ما يلي:

كلما كثر عدد التلاميذ في القسم كلما زادت الفوارق التي يصعب التعامل معها بنفس الأسلوب، و بالتالي يحدث خلل في اكتساب المهارات و التعلّمات، فإذا كان الطبيب يعالج كل مريض منفردا، و يأخذ الوقت الكافي لذلك مستعملا كل الوسائل المتاحة لديه، و قد يعينه في ذلك الممرض و النفساني و المخبري ... ، فكيف نطالب الأستاذ بعلاج صعوبات تولدها فوارق متعددة بوسائل محدودة في آن واحد و في وقت محدود مضبوط لا يتمدد و لا يتجدد.

كلما كثر عدد التلاميذ في القسم كلما قلت الفرص أمام التلميذ للمشاركة في ممارسة النشاط التربوي، و نقصت مدّة مشاركته، و قد يحرم منها إطلاقا نظرا لضيق الوقت المحدد لحصة النشاط التربوي، مثلا حصة القراءة مدتها 45 د، نطرح منها 15 د مخصصة لوضعية الانطلاق و وضعية استثمار المكتسبات، تبقى منها 30 د، كيف توزع

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

هذه المدة المحدودة جدا على مساهمات التلاميذ، ستكون حصة كل تلميذ متناسبة عكسيا مع عدد التلاميذ الذين يتفاوتون حتما في هذه المهارة . وهذا يطرح إشكالا كبيرا من حيث تقييم وتقويم كفاءات التلاميذ مما يحد من اكتساب هذه المهارة بشكل جيد .

كلما كثر عدد التلاميذ في القسم كلما زادت الفوضى داخل القسم، ويصعب على الأستاذ السيطرة على الفوج و فرض الهدوء . و بالتالي يشتت انتباه التلاميذ و يضطرب التركيز لديهم، و يحد ذلك من قدرة الأستاذ على متابعة التلاميذ و توجيههم و مساندة تعلماتهم . وبذلك تنقص قدرته على تقييم و تقويم مكتسبات التلاميذ و معالجة الاختلالات و التعثرات والنقائص، و من ثَمَّ تدني المستوى الدراسي يتضاعف بسبب تراكم الصعوبات و الاختلالات الذي يؤدي إلى الإحباط والعجز الدراسي، و منها إلى التسرب المدرسي الذي يطرح مشاكل عويصة على المجتمع يتعسر إنقاذه منها .

كلما كثر عدد التلاميذ في القسم كلما زاد ظهور المشاكل الصحية لديهم قد تكون فطرية أو طارئة، و هذا يكلف الأستاذ جهدا أكبر و وقتا أكثر، و بالتالي يهضم حق المتعلمين الآخرين و يصابون بالملل و الخمول لقدرتهم على الفهم في وقت أقل .

3- صعوبة بعض التعلمات المقررة على التلاميذ في المرحلة الابتدائية

إن بعض التعلمات التي تتضمنها الكتب المدرسية صيغت في وضعيات تعليمية معقدة بعيدة عن إدراك التلميذ باعتبار السن و النضج، لذا يواجه الأساتذة صعوبة كبيرة في كيفية تدريسها، لدرجة أن بعضهم يشك في كفاءته التدريسية وعجزه عن أداء مهامه التربوية، فيصاب بالإحباط النفسي، و من أهمها الآتي :

اعتماد التجريد في بعض المفاهيم في مادة الرياضيات خاصة، يعسر من اكتسابها وينقّر من تعلمها نظرا لبعدها عن محيط المتعلم، و بالتالي لا يجد جدوى في تعلمها، لأنها لا تتضمن حافزا يجذبه إليها، و من ثَمَّ تقضي على الرغبة و الإقبال على هذه المادة، و من هنا يتولد الشعور بصعوبة هذه المادة الدراسية، و بعد ذلك نلوم الأستاذ بعدم كفاءته في تدريس مادة الرياضيات لضعف نتائج تلاميذه، و المشكل هو كيفية عرض وضعيات تعلمات هذه المادة، فالأستاذ منفذ فقط، و ليس لديه القدرة و الوقت الكافيين لإعادة لصياغة وضعيات تعليمية أخرى تناسب مستوى تلاميذه و تحقق الرغبة في تعلمها، و كذلك لا يملك

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

من الوسائل ما يمكنه من ذلك . و نجد بعض المفتشين يقترحون على الأساتذة تغيير الوضعيات غير الملائمة (و ما أكثرها) بوضعيات أخرى تناسب قدرات تلاميذهم و لو كانوا مكانهم لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

فإذا كانت اللجان الوزارية المتخصصة لإعداد البرامج و الكتب بما تتوفر عليه من وسائل و إمكانيات، والمتكونة من مجموعة من الكفاءات العالية المتخصصة في مجال معرفي معين، و المتفرغة لذلك خصيصا عجزت عن تقديم وضعيات تلائم قدرات المتعلمين وتستجيب لرغباتهم و تطلعاته، فكيف نطالب الأستاذ بمفرده بصياغة و تأليف وضعيات جديدة، تستجيب لرغبات المتعلمين و تحقق الأهداف المسطرة في وقت و جيز بإمكانيات منعدمة، مع عدم تخصصه، وانشغاله بعدة ارتباطات مهنية و اجتماعية و ذاتية. فما جدوى تأليف الكتب المدرسية و شرائها إذن ؟ !!!

و فيما يلي أمثلة توضح ذلك منها : درس ترتيب الكسور و مقارنتها 3 . (24)

. درس الأعداد العشرية 1 " الجزء العشري و الجزء الصحيح " . (25)

- تمارين ص 61 حول مقارنة و ترتيب الأعداد العشرية : يطالب التلميذ بحصر عدد عشري بين عددين عشريين لهما رقم واحد بعد الفاصلة ، ثم حصر عدد عشري بين عددين عشريين لهما رقمين بعد الفاصلة. نتساءل ما الجدوى من هذا الحصر المقيد ، و أين تطبيقه في الواقع ؟

. درس الأعداد 2 مقارنة و ترتيب . (26) ، يطالب التلميذ بحصر عدد بين عددين عشريتهما متتالية ، ثم حصر عدد بين عددين مئتهما متتالية . ما الفائدة العملية من هذا الحصر ؟ هذه عينة شاهدة و الأمثلة على ذلك كثيرة جدا في كل السنوات لا يتسع المقام ها هنا لدراستها .

إن عدم صياغة هذه التعلّمات و التمرينات في وضعيات حقيقية مستقاة من البيئة التي يعيشها التلميذ تجعلها ضربا من الخيال لا يستهوي المتعلم، و يجد الأستاذ صعوبة كبير في اكتسابها للتلاميذ، و هذا هو مكن صعوبة تعلم الرياضيات .
صعوبة تناول بعض الدروس النحوية و تقديمها متباعدة الأجزاء ، مما يحدث خلافا في اكتسابها. و الحل هو تبسيط طريقة تناولها بتدعيمها بمفاهيم النظرية الخيلية التي

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

أعاد صياغتها عبد الرحمن الحاج صالح، وعرّضها بشكل مبسط في جداول تجمع الكثير من التعلّمات في شكل مختصر. نأخذ مثلاً عناصر الجملة الاسمية وما يتعلق بها من الدروس المقررة كالآتي :

عناصر الجملة الاسمية وما يتعلق بها		
العنصر الأول (المبتدأ)	العنصر الثاني (الخبر)	
المسلم	صادق	
المسلمة	صادقة	
المسلمان	صادقان	
المسلمون	صادقون	
التلميذ	
.....	حاضران	
المعلمون	
اللاعبون	متحدين	كان (و أخواتها)
التلميذان	أصبح
.....	مجتهداً	صار
العلم	مفيد	إنّ (و أخواتها)
.....	حاضران	ليت
الفريقين	متحمسان

هذا الجدول يلخص الكثير من الدروس النحوية بشكل مبسط ، يغني عن الكثير من الكلام ويختصر الكثير من الصفحات ، يدرك من خلاله المتعلم التغيرات الطارئة على عناصر الجملة الاسمية في جل أحوالها بوضوح وفي وقت وجيز، وهو تطبيق لنظرية العامل باختصار التي لخصها الحاج صالح في العبارة الآتية : [(ع م) ± 2 م] ± خ .

(27

ع : للعامل ، م : المفعول الأول ، 2م : المفعول الأول ، خ : المخصص .

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

أما عناصر الجملة الفعلية وما يتعلق بها من الدروس المقررة.

عناصر الجملة الفعلية و ما يتعلق بها				
المخصص	العنصر 3 (المفعول به)	العنصر 2 (الفاعل)	العنصر 1 (الفعل)	
/	/	التلميذ	قام	
/	الدرس	التلميذ	يكتب	
ناضجة	الفاكهة	الطفل	يأكل	
السابق	الدرس	التلميذ	يكتب	(لم ...)
الفرغ	وقت	المجتهد	يضع	(لن..)

يستخرج التلميذ الجمل من السند (نص قصير) من خلال أسئلة توجه إليه، أو يقدمها من إنشائه، تكتب الجمل في الجدول، وتجرى مناقشة حول التغيرات الطارئة على الجمل حسب الدرس المقرر، يبدي المتعلم ملاحظاته ويستنتج نتائج، ثم يركب جملا أخرى وفق هذا المنوال، بعدها تُقدّم له تمرينات بترك خانات فارغة تستهدف المعارف المكتسبة لاستثمار مكتسباته وتقييمها وتقويمها .

يمكن تكييف الجدول السابق حسب موضع المُخصّص كما يلي :

عناصر الجملة الفعلية و ما يتعلق بها					
المخصص	العنصر 3 (المفعول به)	المخصص	العنصر 2 (الفاعل)	العنصر 1 (الفعل)	
القراءة	كتاب	الجديد	التلميذ	يحضر	لم

4 - عدم التخصص في المدارس الابتدائية :

إن الأستاذ في المدرسة الابتدائية مظلوم لأنه مكلف بتدريس كل المواد " اللغوية والعلمية والاجتماعية و الترفهية " و إن كانت معارفها بسيطة، لكنها تحتاج إلى ميول و رغبات و تخصص يمكّن من القدرة على معالجة المحتوى المفاهيمي لهذه المواد التعليمية و تقديمها بمهارة و كفاءة عالية تيسر انتقالها من خط مكتوب إلى فعل مكتسب عند المتعلم، و ينعكس هذا على تحصيل التلاميذ.

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

إنّ التخصص يمكّن الأستاذ من الإلمام بطرق التدريس الخاصة بالمادة التي يدرسها، فلكل مادة تعليمية خاصة بها فضلا عن التعليمية العامة، وهذا التمكن يدفعه إلى الإبداع والإتقان والتفنن في تأدية مهامه المنوطة به، لأنه يركز جهده وطاقاته في تخصص واحد عندها يكون التأثير أقوى و الإنتاج أوفر.

أما حينما يتشتت الاهتمام، و يتعدد التخصص ، تتفرق الجهود و يقل التركيز و يضعف التأثير، فتقل جودة الأداء، فتنعكس النتائج سلبا على تحصيل المتعلمين.

5 - كثافة البرامج وكثرة الحجم الساعي

يشتكي الأساتذة من كثافة البرامج في المرحلة الابتدائية، وهذا يحد من قدرة استيعابها من طرف التلاميذ، ومزاحمة بعض المواد الثانوية للمواد الأساسية في السنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي وهي مجرد تحصيل حاصل (مثل : التربية المدنية و التربية العلمية التكنولوجية و التربية الموسيقية) ، فالحجم الساعي المخصص لهذه المواد ضمن البرنامج الأسبوعي يؤثر سلبا على تحصيل المواد الأساسية (اللغة العربية و الرياضيات) التي هي مفتاح كل التعلّمات، وستبنى عليها كل التعلّمات اللاحقة و المتعلم مازال لم يتحكم فيها بعد، فالمفروض نولي كل الاهتمام بأصل التعلّمات كلها بمنحه الوقت الكافي في السنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي، و بعد ذلك نضيف بعض المواد بالتدرّج حسب الأهمية .

6 - عدم مناسبة بعض الدروس المقررة لسن التلاميذ مما يشكل صعوبة بالغة في اكتسابها

بعض الدروس المقررة لا تناسب سن التلاميذ، مثل : درس التكاثر عند الحيوانات يدرّس في السنة الثانية ابتدائي، ويُعرّض بطريقة تحرج الأستاذ والوالدين في الرد على تساؤلات براءة الأطفال لأنها تضعهما في موقف ينافي الحياء ، حيث أن خلاصة هذا الدرس كالآتي : « يتواجد ذكر الحيوان و الأنثى معا من أجل التكاثر»⁽²⁸⁾ و المفروض يعرض على شكل تحديد عائلات الحيوانات الموجودة في محيطه فقط ، لإثراء الرصيد اللغوي لديه دون إثارة الجانب الجنسي في المتعلم . لأنّ هذا لا يلائم قدرات استيعاب التلاميذ ، فالطفل يدرك المحسوس الملموس أكثر من المدرك ذهنيًا، و المعروف أنّ العائلة الجزائية لها قيم

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

أخلاقية مستمدة من الدين الإسلامي والعرف والعادات والتقاليد الراسخة في المجتمع. و نحن نتساءل ما الفائدة العلمية والعملية من مثل هذا الدرس في هذا السن المبكر؟!!!
يفترض أن تأخر مثل هذه الدروس إلى مرحلة الثانوي.
خاتمة :

* مقترحات وتوصيات لتفعيل دور المدرسة الابتدائية في أداء مهمتها المنوطة بها :
- إنشاء مخبر مصغرة في المدارس الابتدائية تتوفر على أهم الوسائل التربوية التي تسمح بتطبيق أهم التعلّيمات العلمية والتكنولوجية، بالإضافة إلى تزويدها بشاشات عرض مناسبة تعرض فيها أشرطة علمية مسلية.
- استبدال المشاريع التي لا معنى لها بتجارب علمية تجري داخل المخبر المدرسي بشكل ممتع ومفيد.

- القيام بالرحلات العلمية الميدانية لمعاينة الظواهر المدروسة على أرض الواقع.
- الابتعاد عن الوضعيات التجريدية في الرياضيات خاصة، و إعداد وضعيات تعليمية مناسبة لسن المتعلم تستهوي ميوله مستمدة من الواقع الذي يحثك به يوميا.
- الحرص على أن تكون نصوص القراءة في كتاب اللغة العربية المقرر في المرحلة الابتدائية خادمة للكفاءات العرضية، بحيث تتضمن القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية، و تعزز ثوابت الهوية الوطنية، وتجمع بين الأصالة والعصرنة المحافظة على القيم والشيم .
- الاكتفاء بتدريس المواد الأساسية (اللغة العربية والرياضيات و التربية الإسلامية) مع مضاعفة حجمها الساعي و إلغاء تدريس المواد الثانوية (مثل : التربية المدنية و التربية العلمية التكنولوجية و التربية الموسيقية) في السنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي .
- القضاء على الاكتظاظ في الأقسام في كل الأطوار التعليمية، لتجنب آثاره الوخيمة على الفرد والمجتمع .

- صياغة التعلّيمات على شكل وضعيات مسلية يمكن ممارستها بوسائل ملموسة محسوسة .
- استثمار مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة في تعليم اللغة العربية التي صاغها العلامة عبد الرحمن الحاج صالح في كتبه وألح على توظيفها في مناهج التعليم.

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

- جعل التعلّيمات متكاملة و متناسقة نابعة من الواقع المحيط بالمتعلم مع ربطها بالجانب العلمي التكنولوجي الذي يلي حاجات المتعلم ليدرك أهميتها ويسهل اكتسابها واستثمارها .
- استقلالية المدرسة الابتدائية في تسييرها المالي لكي تلبي حاجاتها الضرورية لأداء دورها الفعال في المجتمع و القيام بمهمتها المنوطة بها على ما يُرام . وذلك من خلال تعيين مقتصد على رأس كل مقاطعة تربوية أو إدارية على الأكثر يتولى التسيير المالي للمدارس الابتدائية .

مراجع البحث:

القرآن الكريم رواية ورش .

- 1 - عبد الرحمن الحاج صالح ، الخطاب و التخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ط 1 ، 2013، ص 111.
- 2 - أحمد مختار عمر و آخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (مادة " ك ف أ " ، " ك ف ي ") ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008 ، ص 1942 .
- 3 - أحمد مختار عمر و آخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (مادة " ك ف أ " ، " ك ف ي ")، عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2008 ، ص 1947 و 1948 .
- 4 - المركز الوطني للوثائق التربوية " C.N.D.P " ، ملحقة سعيدة الجهوية، المعجم التربوي، 2009، ص 28 .
- 5 - حسن شحاتة و زينب النجار، معجم المصطلحات التربوية و النفسية (عربي – إنجليزي، إنجليزي – عربي) ، مراجعة حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، ط 1 ، 2003 ، ص 245 .
- 6 - المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم، التدريس عن طريق : 1 – المقاربة بالأهداف و المقاربة بالكفاءات .. 2 – المشاريع و حل المشكلات، الحراش، الجزائر، 2006 ، ص 71 .
- 7 - حسن شحاتة و زينب النجار، معجم المصطلحات التربوية و النفسية ، ص 246 .
- 8 - المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم، التدريس عن طريق : 1 – المقاربة بالأهداف و المقاربة بالكفاءات .. 2 – المشاريع و حل المشكلات ، ص 83 .
- 9 - المرجع السابق ، ص 90 .

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

- 10 - المركز الوطني للوثائق التربوية " C.N.D.P " ، ملحقة سعيدة الجهوية ، المعجم التربوي، ص 74 .
- 11 - المركز الوطني للوثائق التربوية " C.N.D.P " ، ملحقة سعيدة الجهوية ، المعجم التربوي، ص 21 .
- 12 - حسن شحاتة وزينب النجار، معجم المصطلحات التربوية و النفسية ، ص 233 .
- 13 - المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم ، التدريس عن طريق : 1 - المقاربة بالأهداف و المقاربة بالكفاءات - 2 - المشاريع و حل المشكلات ، ص 88 .
- 14 - المرجع السابق ، ص 78 .
- 15 - المرجع السابق ، ص 81 .
- 16 - فريد حاجي ، بيداغوجيا التدريس بالكفاءات - الأبعاد و المتطلبات - دار الخلدونية، الجزائر، 2005 ، ص 3 .
- 17 - المرجع السابق ، ص 3 .
- 18 - المرجع السابق ، ص 13 .
- 19 - المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم ، التدريس عن طريق : 1 - المقاربة بالأهداف و المقاربة بالكفاءات - 2 - المشاريع و حل المشكلات ، ص 94 .
- 20 - المركز الوطني للوثائق التربوية " C.N.D.P " ، ملحقة سعيدة الجهوية، المعجم التربوي، ص 61 .
- 21 - وزارة التربية الوطنية، كتاب التربية العلمية و التكنولوجية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (onps) ، الجزائر، 2009 - 2010 ، ص 10 و ما بعدها . (الجيل الأول) .
- 22 - وزارة التربية الوطنية، كتابي في الرياضيات و التربية العلمية و التكنولوجية السنة الثانية من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (onps)، الجزائر ، 2016 - 2017 ، ص 101 و 102 و 106 . (الجيل الثاني) .

المقاربة بالكفاءات وأهم التحديات التي تواجه تطبيقها

- 23 - وزارة التربية الوطنية ، كتاب التربية العلمية و التكنولوجيا السنة الرابعة من التعليم الابتدائي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (onps) ، ص 89 وما بعدها . (الجيل الأول).
- 24 - وزارة التربية الوطنية ، كتاب الرياضيات السنة الخامسة من التعليم الابتدائي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2009 – 2010، ص 50 و 51 .
- 25 - المرجع السابق ، ص 54 وما بعدها.
- 26 - المرجع السابق ، ص 34 وما بعدها.
- 27 - عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ، ج 1 ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، 2007 ، 310 و 311 .
- 28 - وزارة التربية الوطنية ، كتابي في الرياضيات و التربية العلمية و التكنولوجيا السنة الثانية من التعليم الابتدائي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (onps) ، الجزائر، 2016 – 2017، ص 64.(الجيل الثاني).

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

Realization of manuscript texts reality and approach

الطالبة : مريم جلاط

جامعة الجزائر 2

الملخص:

يعالج هذا البحث واقع المخطوطات العربية، والمنهج الذي يسير عليه المحقق لإخراج النص المخطوط وفق الصورة التي أرادها مؤلفها، فالواقع تعكسه صور كثيرة وقد أشرت إلى أبرزها، وأما المنهج فهو مجموعة من القواعد والقوانين المتعارف عليها عند أهل الاختصاص: لإخراج النص وفق الصورة المطلوبة.

الكلمات المفاتيح: المخطوط، تحقيق المخطوطات، النسخ، النسخة الأصلية، النسخ الفرعية، ترتيب النسخ، المقابلة بين النسخ، وصف النسخ، التصحيف والتحريف، صفات المحقق، شروط المخطوط، المنهج، الضبط، تحقيق المتن، التخريجات، الهامش، تحقيق اسم المؤلف، تحقيق نسبة الكتاب إلى صاحبه، تحقيق عنوان الكتاب، الفهارس.

Abstract:

This paper deals with the reality of Arabic manuscripts and the approach pursued by the pallograph to publish the text of the manuscript according to the image desired by its author.

indeed the reality is reflected in many images I have pointed out the most prominent.

The approach is a set of rules and laws which are familiar to the realizing scientists pallographs

مقدمة:

إنّ المتصفح لتراث أسلافنا يقف منبها أمام جهودهم في خدمة العلم، فقد خلفوا تراثا علميا عظيما، منه المطبوع، ومنه الذي ما يزال مخطوطاً. وما يقوم به الباحثون والدارسون اليوم من إحياء هذا التراث المخطوط في شتى العلوم، لا يقل أهمية عن جهود أسلافهم في التأليف؛ إذ لا يمكن لأحد أن ينكر ما للتحقيق من أهمية في الحفاظ على تراثنا، وإخراجه من ظلمات النسيان إلى نور العرفان؛ لأنه جزء لا يتجزأ من هويتنا، فالتحقيق يربط حاضر الأمة بماضيها، وخلفها بسلفها، وإنما ازدهرت الأمم وارتقت بماضيها،

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

والأمة التي لا ماضي لها لا حاضر لها، ولذلك كان لزاما علينا الاعتناء بالكنوز العلمية؛ التي تركها لنا سلفنا؛ بإخراجها من أدراج النسيان؛ كي لا تبقى حبيسة فيها مدى الحياة، فيعم النفع بها لدى الخاصة والعامة.

مفهوم تحقيق المخطوطات لغة واصطلاحاً:

المخطوط:

أ/ لُغَةً: اسم مفعول من خَطَّ، جاء في اللسان: الخَطُّ: الطريقة المُستَظَلِّة في السَّيِّءِ، وَالْجَمْعُ: خُطُوطٌ، وَخَطَّ الْقَلَمُ أَي كَتَبَ⁽¹⁾، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ

كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: 48]، ومنه: قَوْلُ الشَّمَاخ [طويل]:

كَمَا خَطَّ عَيْرَانِيَّةً بِيَمِينِهِ بِتَيْمَاءَ حَبْرٍ ثُمَّ عَرَّضَ أُسْطُرًا⁽²⁾

وخطَّ الشيء يَخُطُّهُ خَطًّا: كَتَبَهُ بِقَلَمٍ أَوْ بغيره؛ وقوله [منسرح]:

فأصبحت بعد خطَّ بهجتها كأن قفرا رسومها قلما

أراد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها. والتخطيط: التسطير⁽³⁾، وَقَالَ الرَّبِيدِي: كِتَابٌ مَخْطُوطٌ: مَكْتُوبٌ فِيهِ⁽⁴⁾.

ب/ اصطلاحاً: هو وحدة تاريخية كاملة، يحمل بين سطوره حياة أجيال سابقة ممثلة في نوعيات أوراقه وأحباره، وفنون تجليده ومضمونه وغيرها من خصائص عصر كتابته⁽⁵⁾. وقيل: هو كل ما خطَّ بخط عربي سواء كان على شكل لفائف أو في شكل صحف، ضمَّ بعضها إلى بعض في دفاتر أو كراريس⁽⁶⁾، وهي الكتب المكتوبة باليد، وهي ترجمة لكلمة: manuscrit الفرنسية، حديثة وظهرت مع الطباعة في مقابل كلمة مطبوع⁽⁷⁾.

التَّحْقِيقُ:

أ/ لُغَةً: قال الجوهري: أَحَقَّقْتَهُ إِذَا أَثْبَتَهُ، وَحَقَّقْتُ الْأَمْرَ وَأَحَقَّقْتُهُ أَيضاً، إِذَا تَحَقَّقْتُهُ، وَصَرْتُ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ، وَحَقَّقْتُ قَوْلَهُ وَظَنَّهُ تَحْقِيقاً، أَي صَدَّقْتَهُ. وَكَلَامٌ مُحَقَّقٌ، أَي رَاصٍ.

قال الرَّاجِزُ: دَعُ ذَا وَحَيْرٍ مَنْطِقًا مُحَقَّقًا

وثوبٌ مُحَقَّقٌ، إِذَا كَانَ مُحْكَمَ النَّسْجِ⁽⁸⁾، وَحَقَّهُ يَحْقُقُهُ حَقًّا وَأَحَقَّهُ، كِلَاهِمَا: أَثْبَتَهُ وَصَارَ عِنْدَهُ حَقًّا لَا يَشْكُ فِيهِ. وَأَحَقَّهُ: صَبَرَهُ حَقًّا. وَحَقَّهُ وَحَقَّقَهُ: صَدَّقَهُ، وَيُقَالُ: أَحَقَّقْتُ الْأَمْرَ إِحْقَاقًا

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

إذا أحكمته وصحّحته⁽⁹⁾. ويذكر عبد الهادي الفضلي أنّ كلمة تحقيق هي ترجمة لكلمة: "critique" الفرنسية وكلمة: criticism الإنجليزية⁽¹⁰⁾.

ب/ اصطلاحاً: تعدّد المفهوم الاصطلاحي للتحقيق بحسب المحققين، إلا أنّهم اتفقوا في المعنى العام المتمثل في: إخراج الكتاب القديم وفقاً للصورة التي أزاها مؤلفوها، ومن بين التعاريف:

تعريف عبد السلام هارون: الكتاب المحقّق هو الذي صحّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.

وعلى ذلك فإن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

- 1- تحقيق عنوان الكتاب.
- 2- تحقيق اسم المؤلف.
- 3- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.
- 4 - تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه⁽¹¹⁾.

وتعريف صلاح الدين المنجد: ذكر بأن غاية التحقيق تقديم المخطوط صحيحاً كما وضعه مؤلفه، دون شرحه⁽¹²⁾.

وتعريف عبد المجيد دياب: هو بذل الجهد، واستقصاء البحث، بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص، أو هو عملية مركبة تقتضي إخراج نص مضبوط، يكون على الصّورة التي قاله عليها صاحبه، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل⁽¹³⁾.

واقع التحقيق: إنّ واقع التحقيق تقريبا واحد في عالمنا العربي، فالحقيقة أنّ بعض الدّول اهتمت بالتحقيق وأسهمت في الحفاظ على موروثنا العربي الإسلامي، والأخرى لم يعرف التحقيق إليها سبيلا، فبقي تراثها حبيس أدرج مكاتبها يغطيه الغبار، ويندثر بعامل الرطوبة. وللحديث عن واقع التحقيق في عالمنا العربي لا بد من إدراج أهم صورته المتمثلة في:

غياب الاعتناء بهذه المخطوطات مما يؤدي إلى رداءتها بسبب تعرضها لعوامل البلى والتآكل، أو انطماس بعض الكلمات، أو اندثار بعضها بسبب جهل القائمين بصناعة التجليد، إذ يتجاوزون الحد المعقول في تسوية أطراف المخطوط⁽¹⁴⁾.

إعادة التحقيق ما سبق تحقيقه⁽¹⁵⁾.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

انتشار التصحيف والتحريف: وهما من الأمور الشائعة كثيرا في التحقيق، ومن أمثلة ذلك: "أبواب" تكتب "أثواب"، و"إخراج" نجدها "إحراج"⁽¹⁶⁾. بالإضافة إلى الأخطاء النحوية التي يرتكبها النساخ.

التصرف في المخطوط بالزيادة أو النقصان: هناك بعض المحققين يتصرفون في المخطوط، فيزيدون ألفاظا أو ينقصونها ظنا منهم أنهم يضيفون قيمة للنص.

نسبة الكتاب إلى غير صاحبه: أحيانا يكون المخطوط المراد تحقيقه مجهول المؤلف، وأحيانا أخرى يكون منسوباً إلى غير صاحبه، ومن أمثلة ذلك: كتاب: "تنبيه الملوك والمكاييد" المنسوب إلى الجاحظ (ت: 255هـ) وتوجد مخطوطته بدار الكتب المصرية رقم: 2345أدب، فقد درسه الأستاذ عبد السلام هارون دراسة داخلية أسلمته إلى نفي نسبة الكتاب إلى الجاحظ⁽¹⁷⁾.

اعتماد المحقق على نسخة واحدة والتكاسل في البحث عن النسخ الأخرى: واقع التهاون في البحث عن النسخ الفرعية للمخطوط أمر وارد في واقعنا، بسبب ظروف وعوامل تحدّ من عملية البحث، كبعد مراكز وجودها في مكتبات خارج الوطن، أو بسبب امتناع أصحابها عن بيعها لهم. ومن أمثلة تحقيقات لم يرجع فيها أصحابها إلى جميع النسخ نجد: "الممتع في التصريف" لابن عصفور الإشبيلي (ت: 669هـ) تحقيق: فخر الدين قباوة، الذي اعتمد على نسخة مكتبة "فيض الله" باستانبول، ونسخة مكتبة "مراد ملا" باستنبول كما ذكر في مقدمته للكتاب، ولم يعتمد نسخة "الممتع" الموجودة في مكتبة "عارف حكمت" بالمدينة المنورة⁽¹⁸⁾.

وجود نسخة واحدة للمحقق: مما يصعب عليه عملية التحقيق خصوصا إذا كانت النسخة مليئة بالتصحيف والتحريف، ومن أمثلة الكتب التي وجدت لها نسخة وحيدة كتاب "شرح أبيات سيبويه" لأبي جعفر النحاس (ت: 338هـ)؛ الذي لا توجد له إلا مخطوطة واحدة محفوظة في مكتبة "أحد الثالث" بطوب قبو في استانبول تحت رقم: 2635⁽¹⁹⁾.

كثرة النسخ: إن كثرة النسخ تجعل الهامش مثقلا بالمقابلات، فيُخلُّ ذلك بمنهج التحقيق الذي يتعارض مع ذلك، ففي هذه الحالة يعتمد المحقق إلى اختيار أهمها وأجودها،

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

ومن أمثلة الكتب التي اشتهرت بكثرة نسخها كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري (ت: 761هـ)، ففي المكتبة الظاهرية بدمشق وحدها منه إحدى عشرة نسخة⁽²⁰⁾.

لجوء المحقق إلى أشخاص يقومون بنسخ المخطوط وتحقيقه: هناك بعض المحققين يشكون أحيانا من ضيق الوقت، وأحيانا أخرى من صعوبة التحقيق، والجهد الذي يتطلبه، مما يدفع بهم للبحث عن غيرهم للقيام بعملية النسخ والتحقيق، وأحيانا يكون هؤلاء الأشخاص لا يفقهون التحقيق ولا منهجه، والنتيجة المحتملة عمل ناقص ومفتقر للقواعد والضوابط العلمية.

قلة المحققين في بعض الدول العربية وعلى سبيل المثال الجزائر إذ يعدون على الأصابع، وذلك راجع إلى انعدام تخصص التحقيق في بعض الجامعات الجزائرية، وغياب المخابر والمراكز التي تعنى بالثراث وتحقيقه، فيترتب على ذلك جهل الطلبة بهذا العلم وبتراثهم، وما يمكن أن يقدمه من تطور معرفي للوطن، كما أن المخابر المعدة للبحث والتأليف لا تهتم كثيرا بالتعريف بتراثها، وحتى الأساتذة المتخصصون في هذا المجال ما إن يتحصلوا على شهادتهم يتوقفون عن البحث في التحقيق، ويغيرون مساهمهم في البحث إلى العلوم الأخرى بحجة أن التحقيق لا يأتي بنتيجة.

عدم تطبيق المنهج الأمثل في التحقيق، فلا يضبط النص، ولا تحترم علامات الوقف، ولا يخرج ما يجب تخريجه، فأحيانا يجد المحقق نفسه مقيدا بمجموعة من القواعد والقوانين، ولكي يتحرر منها يخفف من استعمالها في عمله، والغاية المرجوة من ذلك في غالب الأحيان هو التحقيق من أجل المال.

رفض أصحاب المخطوطات بيعها وتقديمها للمحققين، بالإضافة إلى عملية الغرلة التي يقوم بها المحققون لاختيار المخطوط المراد تحقيقه، فتضيع بذلك مخطوطات ذات أهمية كبيرة.

منهج التحقيق: قبل الحديث عن المنهج لا بدّ من الوقوف عند أمرين هاميين يكونان مكملين لهذا المنهج؛ لأنّ فقدانهما يكون فقداناً لمنهج التحقيق، ونعني بذلك: صفات المحقق، وشروط المخطوط المراد تحقيقه.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

1/ الصفات: فالمحقق لا بد أن يتحلّى بمجموعة من الصفات تمكنه من السير على المنهج المطلوب، وتكون مكمّلة له، ومن بين هذه الصفات:

الرغبة في التحقيق وحب الموضوع المحقّق: لا بدّ للمحقّق أن تكون له الرغبة في التّحقيق، وأن يُحب هذا العلم ويخلص له، كي يصبح أكثر ارتباطاً به، وأن ينزع الأفكار المسبقة المثبّطة، ويعمل على اكتشاف عالم التحقيق، والتعريف به للأخريين.

إضافة إلى هذا حبّ الموضوع الذي يحقق فيه، فإن كان له ميل نحوية أو بلاغية أو عروضية فعليه اختيار المواضيع التي تكون في هذه الاختصاصات، وهكذا؛ لأنّ اختيار الموضوع الذي نحب يجعلنا نبدع أكثر⁽²¹⁾.

ثقافة المحقّق: إنّ نجاح التّحقيق مرهون بثقافة المحقّق، إذ يجب أن يكون على دراية بالموضوع الذي يحقق فيه، وأن يكون ملماً بعلوم العربية وأساليبها ومفرداتها وقواعدها وسائر علومها؛ لأنه أثناء عملية النّسخ يكون مرتبطاً بالحرف والكلمة والجملة والتراكيب والصّرف والنحو... الخ، كما يجب أن يكون واسع الثقافة بالأدب سواء كان شعراً أو نثراً، لأنّ عملية التحقيق لا تخلو من الاستشهاد بالأشعار، فهذا هو مطالب بمعرفة الشعراء ودواوينهم وعصورهم وفنونهم... الخ، بالإضافة إلى معرفة الأعلام ومؤلفاتهم؛ لأنّ هذه الثقافة تجنبه كثيراً من الصعاب والعوائق⁽²²⁾.

دقة الملاحظة وسرعة الانتباه: إنّ أهم ميزة تميّز المحقّق الناجح دقة الملاحظة، وأوّل ما يلاحظه الشكل العام للمخطوط:

فيميّز نوع الخط الذي اختاره النّاسخ، فيكثر من قراءته كي يألّفه مما يسهل عليه عملية النّسخ فيما بعد.

يُميّز الكلمات التي كتبت بخط مخالف للخطّ المعتاد، ونعني بذلك التي كتبت بخطّ غليظ، أو بلون مغاير، فيتنبّه أنّ هذه الكلمات غالباً ما توجي بأهمية في النّص، مثل: تنبيهه، فائدة، لطيفة، فصل... الخ.

يميّز رسم الحروف، خصوصاً الحروف المتشابهة، مثل: الرّاء والرّاي، والدّال والدّال... الخ، والهدف من ذلك تجنب التصحيف والتحرّيف اللّذين يعتبران أكبر عائق يواجههما المحقّق.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

على المحقق أن يكون حاضرًا أثناء عمليتي النسخ والتحقيق، وذلك بالانتباه للكلام إن كان مناسباً للسياق أو لا، وأن يشير إلى الكلام الساقط، وعليه أن ينبّه على المواضع التي سها فيها المؤلف أو النّاسخ، كما عليه الإشارة إلى الأماكن التي توجد فيها الخروم بسبب الأرضة⁽²³⁾.

الأمانة العلمية: إنّ الأمانة العلميّة شرطٌ أساسيٌّ من شروط التحقيق، لأنّ وجوده مرتبط بهذه الصفة؛ إذ غيابها يؤدي إلى إلغاء التحقيق، فالمحقق مطالب بنقل نصّ المؤلف كما هو دون زيادة فيه أو نقصان، مع تطبيق المنهج المتعارف عليه عند أهل الاختصاص، فالتصرف في نص المؤلف يؤدي إلى انعدام الأمانة العلميّة وبالتالي إلغاء عملية التحقيق⁽²⁴⁾.
الصبر والأناة وسعة الصدر: إنّ عملية التحقيق عملية شاقة، تتطلب من المحقق أن يتحلّى بالصبر ورحابة الصدر، لتخطي العديد من العقبات التي تعترضه أثناء نسخ النّص وتحقيقه⁽²⁵⁾، ومن بين هذه العقبات:

- غياب عنوان المخطوط
- انعدام ترجمة المؤلف.
- غياب اسم المؤلف
- فقدان النسخة الأصلية.
- أن تتوفر لديه نسخة واحدة
- أن تكون في نسخته خروم وانطماس.
- أن يكون المخطوط مليئاً بالتصحيف والتحريف.

الخبرة: إنّ الخبرة بالتحقيق لا تنشأ مع أول مخطوط نحققه، بل تكتسب من كثرة الاطلاع على المخطوطات ونوعية الخطوط المكتوبة بها، فيصبح المحقق متمرسًا في قراءة أي مخطوط⁽²⁶⁾، وكثرة تطبيق منهج التحقيق عليه، يجعل المحقق يكتشف طرق أيسر وأسهل، وأكثر نظاماً من التي كان يعرفها في بداية تحقيقه⁽²⁷⁾.

2/ شروط المخطوط المراد تحقيقه: لكي يكون المخطوط صالحاً للحصول على درجة علمية عالية وللتحقيق لا بدّ أن تتوفر فيه شروط أبرزها:

- أن لا يكون محققاً من قبل، ونعني بذلك أنه لم يسبق تحقيقه علمياً، أو بغرض البيع.
- أن تكون مادته العلمية مما يستحق التحقيق، ثمّ النشر فيما بعد.
- أن يكون حجمه مناسباً، بحيث يكون نصّ المخطوط مع شروحه وتذييلاته مما يسهل على القارئ مطابقته.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

أن يكون له أكثر من نسخة، حتى يتمكن المحقق من إجراء المقابلة بينهما⁽²⁸⁾.
المنهج:

لغة: يدلُّ على الطريق الواضح البيِّن، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، أما عند المحققين فيعنى به مجموعة من القواعد والشروط، يتقيّد بها المحقق، كي يخرج النص المحقّق إلى أقرب صورة أرادها مؤلّفها، ووفقا للضوابط الحديثة⁽²⁹⁾، أو هي المراحل التي يمر بها المحقق منذ حصوله على المخطوط إلى غاية تقديمه في شكل كتاب علمي، وهذه الخطوات تتمثل في:

النسخ: أنواعها وترتيبها: بعد اختيار المخطوط المراد تحقيقه، أول خطوة يقوم بها المحقق هي مرحلة جمع النسخ⁽³⁰⁾، والتعرف على أماكن وجودها في فهارس الكتب ومكتبات العالم، مثل:

كتاب "تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكلمان - كتاب "تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين.
قاعدة معلومات المخطوطات العربية في العالم التي أنشأها الملك فيصل، المسماة بخزانة التراث.

معهد المخطوطات العربية بالقاهرة - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي⁽³¹⁾
وفي الجزائر: المكتبة الوطنية. الحامة، وفهرس مخطوطات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، بالإضافة إلى فهارس الزوايا والمساجد.

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة دراسة النسخ التي جمعها، ونعني بالدراسة دراسته لنوع الخط الذي كتبت به، والعصر الذي كتبت فيه، ومن ملكها... الخ، ثم تأتي مرحلة الترتيب مراعيًا في ذلك مبدأ الأفضلية للنسخ حسب ما يلي:

النسخة الأم: وهي التي كتبها مؤلفها بخط يده.
نسخة قرأها المصنف أو قرأت عليه، وأثبت بخطّه أنه قرئت عليه.
نسخة نقلت عن نسخة المصنف أو عورضت بها وقوبلت عليها.
نسخة كتبت في عصر المصنف عليها سماعات على علماء.
نسخة كتبت في عصر المصنف، وليس عليها سماعات.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

نسخ أخرى كتبت بعد عصر المؤلف وفي هذه النسخ يفضل الأقدم على المتأخر، والتي كتبها عالم أو قرئت عليه⁽³²⁾.

وبهذا الترتيب يحدّد طريق عمله بأن يتخذ من نسخة المؤلف أصلاً للعمل، وباقي النسخ فرعا له، ثم يطلق عليها مجموعة من الرموز مثلا: النسخة (ب)، النسخة (ج) ... الخ. نسخ النص وضبطه: بعد ترتيب النسخ وفقا للظوابط العلمية التي ذكرناها، يأتي محقق بعدها إلى نسخ النص وضبطه وفق القواعد التي وضعها أهل الاختصاص. وهي الرسم الإملائي: إنَّ المصطلحات التي كان يستعملها القدامى في الكتابة تختلف كثيرا عن المصطلحات الحديثة، والمحقق مطالب بمعرفة المصطلحات وما يقابلها في الحديث، ومن أمثلة نسخ القدامى:

خلو بعض الحروف المعجمة من النقط، أو نقطها نقطا مخالفا، مثل: إهمال الفاء والقاف، والنون، أو نقط الفاء واحدة من أسفل، ونقط القاف واحدة من الأعلى. حذف الألفات أحيانا من وسط الكلمة، كما في: سليمان وحرث ومالك... الخ. حذف الهمزة خصوصا في أواخر الكلمات، مثل: دعاء سماء، يكتبونها دعا وسما. الألف المقصورة يرسمونها في صورة الألف، ولا يرسمونها في صورة الياء، مثل: رمى وسعى، يكتبونها رما وسعا.

لا ينقطون الياء في آخر الكلمة، فتشبهه بالألف المقصورة، مثل: التقي والتقى. يكتبون تاء التأنيث في آخر الأسماء مفتوحة، مثل: نعمة ورحمة، يكتبونها: نعمت ورحمت⁽³³⁾.

الضبط: المحقق مطالب بتشكيل جميع ألفاظ المخطوط، وبيان حركة آخر الكلمة مخافة وقوع اللبس، وعدم فهم المقصود، فتضبط الآيات القرآنية ضبطا كاملا، بالعودة إلى المصحف الشريف، كما تضبط ألفاظ الحديث والشعر بالعودة إلى أصولها⁽³⁴⁾.
تكميل الاختصارات ووضع الرموز: أثناء عملية النسخ يصادف المحقق مجموعة من الاختصارات، التي يعمل على كتابتها كاملة، مثل: تع= تعالی، صلعم= صلى الله عليه وسلم، ثنا = حدثنا، المص = المصنف، الشا = الشارح⁽³⁵⁾. أما الرموز فنذكر منها:

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

﴿: القوسان المزهران للآيات القرآنية، (): القوسان للأقوال المقتبسة، [] : المعقوفتان للكلام المضاف والساقط، (/) للخط المائل لبداية كل صفحة.. الخ⁽³⁶⁾.

علامات الترقيم: إنَّ علامات الترقيم من وضع المحدثين، والغاية من ذلك توضيح النص، وفهم مقصود السياق، ولكل علامة موضعها الخاص، ومن هذه العلامات نذكر: الفاصلة (،)، الفاصلة المنقوطة (:)، النقطة (.)، النقطتان (:)، علامة الاستفهام (?)، علامة التعجب (!)، الشرطة أو الوصلة (-) ... الخ⁽³⁷⁾.

ينبغي أن يكون المحقق عارفا بما يسمّى "التعقيبة"، وهي كلمة تكتب في ذيل ظهر الورقة، تبدأ بها الورقة التالية، وكانوا يفعلون ذلك ليهتدوا إلى ترتيب الأوراق⁽³⁸⁾ فالتعقيبة قديما كانت علامة لترقيم الصفحات.

وضع العناوين إن كان المخطوط خاليا من العناوين، ووضع ذلك بين معقوفتين [] التي توشي بتصرف المحقق، وهو من الأمور المسموح للمحقق بزيادتها، مثلا: إن كان المؤلف يتحدث عن المبتدأ والخبر وأحوالهما، دون ذكر العنوان، فلا بأس للمحقق أن يسبق هذا الحديث بعنوان [باب المبتدأ والخبر]. بالإضافة إلى ترقيم المسائل إن كان المؤلف يذكر مسائل دون ترقيمها، كي تكون أكثر تنظيما مما يسهل فهمها للقارئ⁽³⁹⁾.

المقابلة بين النسخ: بعد جمع النسخ وترتيبها وتسميتها، وكتابة نص المخطوط وفق الضوابط الحديثة المشار إليها، يبدأ المحقق في المقابلة بين نسخته الأصلية التي كتبها وبين النسخ الفرعية الأخرى، ويعمل على إخراج الفروق والإشارة إليها في الهامش، ويقتصر هذا التخرّيج على الفروق المهمة، كي لا يثقل الهامش بالتخرّيجات وبالتالي الإخلال بعملية التحقيق، ومن أمثلة ما يكتبه مثلا: ساقط من (ب)، وإذا كانت كلمة في النسخة الأصلية مثلا: حال، ويوجد اختلاف في أحد النسخ نقول في الهامش مثلا: في (ج): كذا... الخ⁽⁴⁰⁾.

تحقيق المتن: بعد الانتهاء من خطوات نسخ النص وضبطه، يأتي العمل الحقيقي للمحقق المتمثل في: التعليقات، وتخرّيج النصوص التي يستشهد بها المؤلف في نصّه، والإحالة لها في الهامش، ويشترط أن لا يكون الهامش مثقلا بهذه التعليقات والتخرّيجات، كي لا يفقد التحقيق مصداقيته العلمية، فهامش المحقق فيه نوعان من التخرّيجات، الأول:

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

خاص بالفروق بين النسخ، والذي تحدثنا عنه سابقا في المقابلة بين النسخ، والثاني: يتمثل في تخريج ما يلي:

الآيات القرآنية: إذا وجد المحقق في نص المؤلف آيات قرآنية عليه أن يضعها بين قوسين مزهرين، ثم يحيل إليها في الهامش، بذكر السورة، ورقم الآية بعد البحث عنها في المصحف الشريف، أما إذا كان جزءا من الآية، يذكر السورة ويشير إلى أنه جزء من الآية، ثم يتمها، مثال: الحالة 1: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، يحيل إليها: سورة النجم، الآية: 09، الحالة 2: وجد في النص: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾، يحيل إليها بقوله: سورة طه، من الآية: 96، وتمامها: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾⁽⁴¹⁾.

الحديث الشريف: على المحقق إذا وردت أحاديث شريفة في نص المؤلف أن يدقق في تخريجها في الهامش بإكمال الحديث إن كان ناقصا، وبيان تعدد الروايات فيه، ونوعه إن كان صحيحا أو حسنا أو ضعيفا أو مرفوعا... الخ، وتخرج الحديث يعتمد على ذكر رقمه وبابه، وذلك بالعودة إلى كتب الحديث والتوثيق منها، مثل: صحيح البخاري ومسلم، وسنن ابن ماجه، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وكتب التخريج مثل: الجمع بين الصحيحين للميورقي، والترغيب والترهيب للأصبهاني، وجامع الأصول لابن الجزري... الخ⁽⁴²⁾.

الأقوال الماثورة: نعني بها أقوال الصحابة والتابعين، فإذا ورد في النص مثل هذه الأقوال فعلى المحقق أن يقوم بتخريجها بالعودة إلى كتب لها علاقة بذلك مثل كتب: السير والتراجم التي ترجمت لهم، وكتب التفاسير، وكتب العلل والسؤالات... الخ⁽⁴³⁾.

الأمثال والحكم: هناك بعض المخطوطات يستشهد أصحابها بأمثال العرب وحكمهم خصوصا كتب اللغة والأدب، ففي هذه الحالة يكمن عمل المحقق في البحث عن مصادرها والتوثيق منها؛ ونعني بها كتب الأمثال والحكم، مثل: جمهرة الأمثال للعسكري، ومجمع الأمثال للميداني... الخ⁽⁴⁴⁾.

الأبيات الشعرية: لا تخلو مخطوطات اللغة والأدب من الاستشهاد بالشعر العربي، ذلك أنه ديوانهم وحافظ لغتهم، وعملية تخريج الشعر عملية دقيقة؛ إذ يستوجب على

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

المحقق أولاً بيان نوع البحر في المتن، وهي من الأمور المسوح للمحقق بزيادتها، وذلك بوضع نوع البحر بين معقوفين، مثل: [طويل]، و[بسيط]، أمّا في الهامش فعليه إكمال البيت إن كان ناقصاً، وبيان المذكور إن كان صدراً أو عجزاً، ثم الإشارة إلى صاحبه والصفحة بالعودة إلى ديوانه، أمّا إن لم يكن له ديوان فنذكر الكتب التي استشهدت بهذا البيت، مثلاً نقول: البيت من شواهد: "الكتاب" لسبويه، و"أوضح المسالك" لابن هشام... الخ⁽⁴⁵⁾، وعلى المحقق ألا يغفل الروايات المتعددة للبيت الواحد، وتعدد النسبة إلى أصحابها، وذلك بالرجوع إلى مواضع ذكرها⁽⁴⁶⁾.

الأعلام: من الأمور المهمة في التحقيق، ترجمة الأعلام الواردة في النص، ويستثنى من الترجمة: الأعلام المشهورة: كالرسل والأنبياء والخلفاء الراشدين، والأعلام التي تكون في النص عادة هي: للشعراء، والأعلام التي تذكر أقوالها، والشيخوخ الذين أخذ منهم المؤلف. وتكون الترجمة في الهامش بذكر اسمه، ولقبه، وتاريخ ومكان الولادة والوفاة، وأهم مؤلفاته بإجازة، كي لا يثقل الهامش، وللتعريف بالأعلام لا بد من العودة إلى كتب التراجم والطبقات، مثل: معجم الأدباء للحموي، بغية الوعاة للسيوطي، الأعلام للزركلي... الخ⁽⁴⁷⁾.

نسبة الأقوال إلى أصحابها، والبحث عن مصادرها: تأتي المخطوطات مليئة بأقوال وآراء العلماء، فأحياناً يذكر المؤلف صاحبها ومصدرها، وأحياناً يذكر صاحبها دون مصدرها، ومرة أخرى يذكر المصدر دون ذكر صاحبها، فعلى المحقق توخي الدقة، وذلك بوضع تلك الأقوال بين قوسين، ثم الإحالة بذكر أصحابها ومصادر وجودها إن لم يذكرها المؤلف، فمثلاً: إذا أورد المؤلف قولاً لسبويه، فعلى المحقق العودة للكتاب، فلا يعقل أن يتركه، ويذهب إلى كتب النحو الأخرى، أما إذا لم يوجد القول في مؤلفات صاحبه فعلى المحقق في هذه الحالة العودة إلى الكتب التي ذكرت هذا القول؛ بشرط ترتيب تلك الكتب في الهامش ترتيباً زمنياً، مثلاً مسألة نحوية ذكرت عند ابن هشام في "أوضح المسالك" هي نفسها في "همع الهوامع" للسيوطي، فلا يعقل أن أقدم السيوطي على ابن هشام، لأن السيوطي متأخر عن ابن هشام⁽⁴⁸⁾.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

الكتب: يذكر المؤلف في نصح مجموعة من الكتب التي يأخذ منها، أو يوجه القارئ إليها، وعمل المحقق يستوجب الوقوف عند هذه الكتب والتعريف بها، وذلك بالاعتماد على الكتب التي ألفت في هذا الشأن مثل: كشف الظنون لحاجي خليفة⁽⁴⁹⁾.

البلدان والأماكن والقبائل والقرى: أحيانا يذكر المؤلف أسماء بلدان اشتهرت بشدّ الرّحال إليها بغية العلم، مثل البصرة والكوفة وبغداد، وبلاد الأندلس، مثل جيّان وقرطبة، وللحديث عن العرب ولغتهم يذكر أحيانا القبائل التي عرفت بميزات في لغاتها، مثل قبيلة بني الحارث، أسد، ربيعة... الخ، فمثل هذه المصطلحات لا يمكن إغفالها، وذلك بالتعريف بها بالعودة إلى المصادر التي اهتمت بمثل هذه الأماكن، مثل: مختلف القبائل ومؤتلفها، معجم البلدان لياقوت الحمويّ، ومراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع للبغداديّ... الخ⁽⁵⁰⁾.

شرح الكلمات الغريبة والغامضة: يرد في نص المؤلف بعض الكلمات الغامضة والغريبة خصوصاً عند استشهاده بالشعر الجاهليّ والعصور الإسلامية الأولى، فيشرح المحقق هذه الكلمات بالعودة إلى المعاجم العربية، فيعرض معانيها، ويختار المعنى المناسب للسياق الذي وردت فيه، ومن هذه المعاجم: تهذيب اللغة للأزهريّ، الصحاح للجوهريّ، لسان العرب لابن منظور⁽⁵¹⁾.

التعريف بالمصطلحات: يوظف المؤلفون في نصوصهم مصطلحات بعض العلوم والفنون، ودور المحقق هنا يقتصر على بحث المفهوم الاصطلاحي، مع الإشارة إلى التغيرات التي طرأت على المصطلح، ومن بين المصطلحات التي يصادفها المحقق مثلاً مصطلحات في علم الحديث، أو مصطلحات عروضية، أو مصطلحات بلاغية... الخ. ولبيان معناها عليه العودة إلى الكتب المتخصصة التي شرحت هذه المصطلحات، فلشرح مصطلحات الحديث عليه الاعتماد على الكتب التي ألفت في هذا الموضوع مثل: الموقظة في مصطلح علم الحديث للذهبي⁽⁵²⁾.

التعليقات على أقوال المؤلف: من شروط التحقيق ألا يتصرف المحقق في نص المؤلف، بل عليه إخراج نصح وفقاً للصورة التي أرادها صاحبها، ولكن المحقق أثناء قراءته للنص يجد آراء خاطئة قابلة للنقد، هذا لأن التأليف عمل بشريّ يحتمل الخطأ، والمحقق

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

مقيد بكتابة النص كما وجده، ولكن في هذه الحالة مسموح له في الهامش بتصويب الأخطاء التي وقع فيها المؤلف بالاعتماد على أمات الكتب دون التعصب إلى رأيه، وإذا كان هناك كلام ساقط سها عنه المؤلف يكتبه المحقق في المتن ويضعه بين معقوفتين، ثم يشير في الهامش إلى أنها زيادة يقتضها السياق⁽⁵³⁾.

الدراسة: إنَّ الدراسة دليل على الجهد الذي بذله المحقق، وتأتي عادة بعد الانتهاء من عملية تحقيق المتن، وهناك من يسمها بمقدمة التحقيق، وتختلف الدراسة بحسب موضوع المخطوط المحقق، إلا أنَّ المحققين يشتركون في أمور واجب ذكرها في أي دراسة؛ لأنها من مكملات التحقيق⁽⁵⁴⁾، إذ التحقيق كما سبق ذكره عند عبد السلام هارون ليس تحقيق المتن فقط بل هو تحقيق عنوان الكتاب، وتحقيق اسم المؤلف، وتحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه، ويمكن بيان هذه الأمور في:

تحقيق اسم المؤلف: لا بدَّ للمحقق أن يتأكد من الاسم الصحيح للمؤلف، بالاعتماد على طرق علمية صحيحة تجنبه الوقوع في الخطأ، وبعد التأكد يشرع في الترجمة للمؤلف بذكر اسمه ونسبه وحياته، ورحالاته في طلب العلم، إن كان قام بذلك، وذكر شيوخه وتلامذته، وأهم مؤلفاته، ويستعين في ذلك بمجموعة من كتب التراجم، وكتب المؤلف نفسه، إذ نجد أحيانا فيها جانبا من حياته. ويفضل بعض المحققين أن يسبق الترجمة بالتعريف لعصر المؤلف، لأن العصر أحيانا تكون فيه وقائع وأحداث تؤثر في شخصية المؤلف⁽⁵⁵⁾.

تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه: على المحقق أن لا يؤمن بصحة نسبة الكتاب إلى صاحبه، بل عليه أن يكتف جهده في عملية البحث، كي يتأكد من ذلك، متخذاً في ذلك مجموعة من السبل بغية الوصول إلى الحقيقة المنشودة. ومن بين هذه السبل: أن يبحث في فهارس مكتبات العالم، إن كان هذا الكتاب منسوباً لمؤلفه حقاً. التحقق مما هو مكتوب في الورقة الأولى للمخطوط، لأنه عادة ما يكتب عنوان المخطوط واسم مؤلفه، وتاريخ تأليفه.

التأكد إن كان المؤلف ذكر اسمه في متن المخطوط، وعادة ما يذكر في المقدمة مع العنوان، بعد البسملة والحمدلة، والثناء على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

يذكر المؤلف أسماء شيوخه أو أسماء تلامذته، فيكون ذلك دليلاً على صحة نسبة الكتاب إليه، كما يمكن للمحقق أن يبحث في مؤلفات تلامذته لعلمهم ذكروا شيخهم ومؤلفاته. البحث في مؤلفاته الأخرى لعله يحيل إلى الكتاب المراد تحقيقه⁽⁵⁶⁾.

تحقيق عنوان الكتاب: تأتي عناوين المخطوطات غالباً في الورقة الأولى للغلاف، وأحياناً يذكره المؤلف في مقدمة كتابه، فيقول: وسميته أو عنونته... الخ، وأحياناً يذكره في نهاية المخطوط برفقة تاريخ الانتهاء من التأليف، فيقول مثلاً: في هذا اليوم: فرغت من كتابة كتابي، ثم يذكر العنوان، فيكون البحث سهلاً أمام المحقق في تحديد العنوان، أما الصعوبة فتتمثل في أنّ بعض المخطوطات تأتي خالية من العنوان، إما بسبب الطمس، أو لضياح الورقة الأولى، أو بسبب تصرف ملاكها فيها، فيضعون عنواناً من اقتراحهم، أو تكون المخطوطة أحياناً حاملة لعنوان مخالف لمحتواها، فعلى المحقق في هذه الحالة خوض عملية بحث طويلة وشاقة من أجل إثبات العنوان الصحيح؛ الذي اختاره المؤلف لمخطوطه⁽⁵⁷⁾.

التعريف بموضوع الكتاب وبيان قيمته ومميزاته العلمية: إنّ من الأمور المهمة في الدراسة أن يعرف المحقق بموضوع الكتاب، وما يحتويه من مباحث وأبواب ومسائل، ومن ثمّ بيان قيمته، وما الذي يضيفه إلى تراثنا العربي الإسلامي، بالإضافة إلى ذكر أبرز النقاط التي ميّزته عن غيره من الكتب؛ التي طرقت موضوعه نفسه⁽⁵⁸⁾.

بيان مصادر الكتاب ونقوله: المصادر والنقول التي ينتقي منها المؤلف مادته دليل على ثراء كتابه، والمحقق ملزم ببيان كيفية تعامل المؤلف مع هذه المصادر، هل أشار إليها مباشرة؟ أم اكتفى بذكر أصحابها؟ مع بيان نوعها، وهل هي مطبوعة أم مخطوطة؟ أو نقل مشافهة عن شيوخه؟⁽⁵⁹⁾

بيان أسلوب المؤلف ومنهجه: بيان أسلوب المؤلف وما يميز لغته، ونوع العبارات التي يستعملها من الأمور المهمة، أما منهجه فنعني به المنهج الفني والمنهج العلمي. فالمنهج الفني: نقصد به طريقة عرضه للأبواب والمسائل وهل عنون لها؟ أمّا المنهج العلمي: فنقصد به عرض الاستشهادات والمصطلحات التي استعملها المؤلف، ويستحسن في هذه الحالة أن

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

يعرضها المحقق في جداول إحصائية عارضا الأبواب وما تحويه من الاستشهادات بالأرقام، كي يكون عمله أكثر دقة وعلمية⁽⁶⁰⁾.

وصف النسخ المعتمد عليها في التحقيق: إنَّ وصف النسخ من الأمور المهمة التي يقدمها المحقق للقارئ؛ إذ عليه أن يصفها وصفا دقيقا كأنها بين يدي القارئ، ومما يوصف:

عليه بداية أن يسمي كلَّ نسخة، ثمَّ يعلل سبب التسمية، ثم يذكر مكان الحصول عليها، ثم يشرح في وصف الشكل العام ابتداء من الغلاف وما كتب عليه، إلى ذكر البداية والنهاية، ثم نوعية الخط، ولون المداد إن كان أسود أم هناك لون مغاير خص به بعض الكلمات، وعدد الأوراق، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة، وعدد الكلمات في السطر الواحد، وذكر إذا كان في المخطوط عناوين رئيسية وأخرى فرعية، والحديث عن الحواشي الموجودة فيه، هل هي استدراقات لما سقط؟ أم هي شروح للعلماء الذين جاءوا من بعد المؤلف؟ وهل اعتمد على التعقيبة التي تحافظ على ترتيب الأوراق؟ وفي الأخير يقدم المحقق نماذج لصور المخطوط ويخصّ بذلك اللوحة الأولى والأخيرة لكلِّ نسخة⁽⁶¹⁾.

بيان منهج التحقيق: لا بد للمحقق أن يبيّن المنهج الذي سار عليه؛ كي يتضح الطريق أمام القارئ خشية اللبس، ومن الأمور التي يوضحها: منهجه في اختيار النسخ، والأسباب التي أدت به إلى ترتيب النسخ على ذلك الشكل، وكذلك بيان منهجه في التخرّج والتعليق، ومنهجه في اختيار الرموز التي وظفها، ومنهجه في ترتيب الفهارس.

صناعة الفهارس: صنع الفهارس هي من الأعمال الشاقة التي يقوم بها المحقق، إذ هي من مكملات التحقيق، فالفهرس هو مفتاح الكتاب، والدليل الذي يوصل الباحث إلى محتواه في أقل وقت ممكن، فهو يحوي جميع ما جاء في المخطوط من استشهادات، وتختلف الفهارس من مخطوط إلى آخر حسب المواضيع التي يعالجها، ويشترط في هذه الفهارس أن تكون منظمة بطريقة علمية محكمة⁽⁶²⁾، ولعل أبرزها:

فهرس الآيات القرآنية: أشهر طريقة في ترتيبها حسب سور المصحف الشريف، بذكر السورة، ثم الآية، ورقها، ورقم الصفحة في المتن المحقق⁽⁶³⁾، مثال:

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
--------	-------	-------	--------

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

البقرة	﴿مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾	214	حسب المتن
ال عمران	﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾	173	حسب المتن
النساء	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾	78	حسب المتن

فهرس الحديث الشريف: أشهر طريقة انتهجها المحققون في ترتيب الحديث الشريف والأقوال المأثورة والأمثال هي حسب الحرف الأول، مثلا: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: {بُئِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى حَمْسٍ}، يوضع في باب الباء بعد باب الألف إذا وجد حديث يبدأ بحرف الألف، مع تحديد صفحة الحديث في المتن⁽⁶⁴⁾.

فهرس الأبيات الشعرية: تنوعت طرق المحققين في ترتيب الأبيات الشعرية، ولا بأس في ذلك ما دامت خاضعة للشروط العلمية المنظمة، والمعروف أنّ القصائد تميز من حرف الروي فنسي القصائد بالحرف الأخير الذي تنتهي فنقول: سينية، ودالية، ولامية... الخ، لهذا اشتهرت طريقة القوافي في ترتيب الأبيات الشعرية دون سائر الطرق مع مراعاة الترتيب الهجائي، وللمحقق الخيار أثناء ترتيب هذه الأبيات إما بذكر البيت الشعري، أو يكتفي بذكر القافية⁽⁶⁵⁾، مثال: ذكر البيت

البيت	قائله	البحر	الصفحة
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ الرَّضَى حُكُومَتُهُ* وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ	الفرزدق	بسيط	حسب المتن

أو ذكر القافية:

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
وَالْجَدَلِ	الفرزدق	بسيط	حسب المتن

وهناك من المحققين من يفضل وضع الرجز لوحده، فيسميه بفهرس الأراجيز، كما ترد في نص المؤلف أبيات شعرية تعليمية مثل: المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث للبيقوني، وألفية ابن مالك... الخ، فيضع المحقق فهرس خاصة لهذه الأبيات ويسمها: فهرس الأبيات التعليمية.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

فهرس الأعلام: ترتب الأعلام عادة حسب الحرف الأول لاسم الشهرة سواء كان اللقب أو الكنية دون مراعاة "ال" التعريف والكنى (أبو) و(ابن). مثال: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبيويه: فلقبه سيبيويه، وهو الذي اشتهر به، يوضع في باب السين. وأبو الفتح عثمان ابن جني: اشتهر بابن جني، تلغى "ابن" وتبقى لنا "جني"، فنضعه في باب "الجيم"، وأبو حيان الأندلسي: اشتهر بأبي حيان، تلغى "أبو" فننظر إلى الحرف الأول، وهو "الحاء" فيوضع في باب الحاء، ويصاحب هذا الترتيب رقم الصفحة الموجود فيه الاسم، وإذ تكرر الاسم أكثر من مرة تذكر أمامه كل الصفحات التي ذكر فيها⁽⁶⁶⁾.

فهرس البلدان والأماكن والبقاع: ويضم هذا الفهرس أسماء الأماكن التي ذكرت في المتن المحقق مع ترتيبها حسب الحرف الأول للمكان دون مراعاة "ال" التعريف. فهرس الكتب: أحيانا يذكر المؤلف الكتب التي أخذ منها، فيستحسن للمحقق أن يضع لها فهرسا شاملا لها، وترتب الكتب حسب الحرف الأول للكلمة، أو حسب وروده في المتن دون مراعاة "ال" التعريف.

فهرس الفرق والجماعات: يعمل المحقق على جمع الكلمات التي تدل على جماعة أو فرقة لها أفكار وآراء خاصة بها، فيشكل فهرسا جامعا لها مع ترتيبها هي الأخرى حسب الحرف الأول للكلمة أو حسب ورودها في المتن، دون النظر إلى "ال" التعريف.

فهرس المصطلحات: يوظف المؤلف حسب الموضوع الذي يعالجه مصطلحات متنوعة قد تكون دينية، أو بلاغية، أو عروضية، أو نحوية، أو طبية... الخ، ولكي يسهل العثور عليها يعمل المحقق على فهرستها، حسب ورودها في المتن أو حسب الحرف الأول للكلمة.

فهرس الموضوعات: ويسمى بفهرس المحتويات، وهو آخر فهرس ينجزه المحقق، ويعتبر من الفهارس الأساسية، لأنه مفتاح ودليل على محتوى الكتاب؛ إذ يظّم جميع أبوابه وفصوله ومسائله، من أول عنوان يكتبه المحقق إلى آخر فهرس تطرق إليه، مرفقا تلك العنواين بأرقام صفحاتها في المتن⁽⁶⁷⁾.

قائمة المصادر والمراجع: من الأمانة العلمية أن يضع المحقق ثبنا للمصادر والمراجع التي اعتمدها في الدراسة وعملية التحقيق، وتندرج قائمة المصادر والمراجع ضمن الفهارس الرئيسية، ويشترط في هذه القائمة أن تكون مرتبة وفق إحدى الطريقتين

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

الشهيرتين، إما حسب الكتاب أو حسب مؤلفها، وذلك بعد تقسيمها إلى: مصادر، ومراجع، ومراجع أجنبية، ومخطوطات، ورسائل جامعية، ومجلات... الخ⁽⁶⁸⁾.

المصادر والمراجع:

تاج العروس من جواهر القاموس: محمد أبو الفيض الزبيدي، تحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

تحقيق التراث: عبد الهادي الفضلي، مكتبة العلم، جدة، ط: 01، 1982م - 1402هـ.

تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: عبد المجيد دياب، دار المعارف القاهرة، ط: 02، 1993م.

تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق: فهد سعيد، وطلال مجذوب، عالم الكتب: ط: 01، 1413هـ - 1993م.

تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث: الصادق عبد الرحمن الغرياني، منشورات مجمع الفاتح للجامعات 1989م.

تحقيق النصوص ونشرها: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط: 07، 1418هـ - 1998م.

التهديب: محمد بن أحمد الأزهرى، أبو منصور، تحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 01، 2001م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 04، 1407هـ - 1987م.

صيانة المخطوطات علما وعملا: مصطفى السيد يوسف، عالم الكتب، القاهرة 2002م.

قواعد تحقيق المخطوطات: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط: 07، 1987م.

لسان العرب: محمد بن مكرم أبو الفضل، ابن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة - 1414هـ.

محاضرات في تحقيق النصوص: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط: 01، 1994م.

تحقيق النصوص المخطوطة: الواقع والمنهج

المخطوط العربي: عبد الستار الحلوجي، مكتبة مصباح، ط: 02، 1409 هـ - 1989 م.
معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي): أحمد شوقي بنين، ومصطفى طوبى، ط: 01، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2003 م.
منهج تحقيق المخطوطات ومعه: شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي: إياد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق، ط: 01، 1423 هـ - 2003 م.
المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: 02، 1415 هـ - 1995 م.

الهوامش:

- (1) لسان العرب: (287/7).
- (2) التهذيب. (23/5).
- (3) لسان العرب. (287/7).
- (4) تاج العروس. (256/19).
- (5) صيانة المخطوطات علما وعملا. ص: 19.
- (6) المخطوط العربي: عبد الستار الحلوجي. ص: 15.
- (7) معجم مصطلحات المخطوط العربي. ص: 212.
- (8) الصحاح. 1461/4.
- (9) لسان العرب. 49/10.
- (10) تحقيق التراث. ص: 31.
- (11) تحقيق النصوص ونشرها. ص: 42.
- (12) قواعد تحقيق المخطوطات. ص: 15.
- (13) تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره. ص: 134.

- (14) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 100.
- (15) ينظر: منهج تحقيق المخطوطات. ص: 24.
- (16) تكلم عليهما بشكل مفصل: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 65، والهادي الفضلي في كتابه تحقيق التراث. ص: 154، و164، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 165، و174، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 169.
- (17) تحقيق التراث. ص: 124. ينظر تحقيق النصوص ونشرها. ص: 46.
- (18) تحقيق التراث. ص: 100، ومحاضرات في تحقيق النصوص. ص: 37.
- (19) تحقيق التراث. ص: 102.
- (20) تحقيق التراث. ص: 108.
- (21) للاستزادة ينظر: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 21.
- (22) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 148، وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 23، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 154.
- (23) للاستزادة ينظر: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 21.
- (24) ينظر: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 22، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 167.
- (25) ينظر: المرجعان أنفسهما. ص: 21، و. ص: 175.
- (26) ينظر: المنهاج في تأليف البحوث. ص: 175.
- (27) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 102، وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 23.
- (28) ينظر: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 20.
- (29) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات. ص: 09، وتحقيق التراث منهجه وتطوره. ص: 207.

- (30) ينظر: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 25.
- (31) ينظر: تحقيق التراث: الهادي الفضلي. ص: 42، وص: 63. تحدث بالتفصيل عن أماكن تواجد المخطوطات في العالم العربي، ودول العالم، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 159، ومنهج تحقيق المخطوطات ويليهِ شوق ذيل المستهام. ص: 25.
- (32) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 37، وقواعد تحقيق المخطوطات: صلاح المنجد. ص: 13، وتحقيق التراث. ص: 104، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 211، وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 32، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 163، ومنهج تحقيق المخطوطات ويليهِ شوق المستهام. ص: 27.
- (33) تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 116، ينظر: تحقيق التراث. ص: 190، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 263.
- (34) ينظر: تحقيق التراث. ص: 190، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 255، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 101، وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 48.
- (35) للاستزادة ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 57، وتحقيق التراث. ص: 117، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 141، و264، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 151.
- (36) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 86، وقواعد تحقيق المخطوطات. ص: 23، وتحقيق التراث. ص: 116، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 277.
- (37) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات. ص: 23، وتحقيق التراث. ص: 115، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 118، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 264، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 149.

- (38) ينظر: مناهج تحقيق التراث. ص:88، ومنهج تحقيق المخطوطات. ص: 64.
- (39) للاستزادة ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 117.
- (40) ينظر: تحقيق التراث. ص: 148، وتحقيق نصوص التراث بين القديم والحديث. ص: 23، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 176.
- (41) هناك طرق أخرى في ترقيم الآيات القرآنية، ينظر: تحقيق التراث. ص: 195، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 104.
- (42) للاستزادة ينظر: المرجعان أنفسهما. ص: 183، و ص: 104.
- (43) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث. ص: 183.
- (44) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث. ص: 183، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 106، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 260.
- (45) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث. ص: 184.
- (46) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 260.
- (47) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 257، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 107.
- (48) ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 108، ومنهج تحقيق المخطوطات. ص: 72.
- (49) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 259.
- (50) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث. ص: 189، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 259.
- (51) ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 110، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 145، و 257.

- (52) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث. ص: 188.
- (53) للاستزادة ينظر: المرجع نفسه. ص: 187.
- (54) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 84، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 37، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 148، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 154.
- (55) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 44، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 136.
- (56) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 45، تحقيق التراث. ص: 123، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 21، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 137.
- (57) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 43، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 142.
- (58) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 142.
- (59) للاستزادة ينظر: المرجع نفسه. ص: 142.
- (60) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث. ص: 139، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 135.
- (61) للاستزادة ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 281، والمنهاج في تأليف البحوث. ص: 184.
- (62) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها. ص: 92، وقواعد تحقيق المخطوطات. ص: 27، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 47، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 286، وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق. ص: 46.

- (63) للاستزادة ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 123، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 293.
- (64) للاستزادة ينظر: المرجعان أنفسهما. ص: 123، و ص: 294.
- (65) للاستزادة ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 124، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. ص: 294، والمنهاج. ص: 182.
- (66) للاستزادة ينظر: المراجع نفسها. ص: 124، و ص: 294، و ص: 181.
- (67) ينظر: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 127.
- (68) ينظر: تحقيق التراث. ص: 219، وتحقيق نصوص التراث في القديم والحديث. ص: 126، وتحقيق التراث العربي نهجه وتطوره. ص: 298، ومنهج تحقيق المخطوطات. ص: 81.

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

د.محمد خريباش

جامعة -المدية

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى بحث ظاهرة الصراع اللغوي بين اللغات الإنسانية قصد الوقوف على أسباب هذا الصراع ونتائجه وقوانينه ومظاهره، قصد الوقوف على جوانب التطور التي مست الأنظمة اللغوية للغات محل الصراع والتي بموجبها يتم انحسار اللغة المنهزمة وتقيدها وحلول اللغة القوية محلها.

الكلمات المفتاحية: الصراع اللغوي، حرب اللغات، السياسة اللغوية، التطور اللغوي.

Abstract :

This research paper aims to study the phenomenon of linguistic conflict between human languages in order to find out the causes, consequences, laws and manifestations of this conflict, in order to identify the aspects of development that affected the linguistic systems of the languages in conflict, according to which the defeated language is receding and subjugating it and the strong language replaces it.

Key words: linguistic conflict, war of languages, language policy, linguistic development.

تمهيد:

اللغة كائن حيّ وجدت لأغراض تواصلية فهي "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽¹⁾ من هذا المنطلق كانت اللغة الأداة الفعالة في عملية التواصل إذ لا تواصل إلا باللغة، وإن أخذ التواصل أشكالا أخرى كالتلويح باليد أو الصفير غير أنه لا يرقى إلى درجة التواصل باللغة، بيد أنّ هذه اللغة التي هي بمثابة الكائن الحي تولد وتنمو وتتطور، كما أنها تموت أيضا، فقد يعثرها ما يعثر الكائنات الحية بصفة عامة، والدليل على ذلك أنّ ما يسمى حاليا باللغات السامية قد نتج عمّا سماه المستشرقون باللغة السامية الأم، هذه اللغة التي لا نعرف عنها تصورا دقيقا لكنها مجرد فروض استدل عليها المستشرقون بكونها هي أصل اللغات السامية، نظرا للتطابق الكبير في المستويات الصرفية والصوتية والتركيبية والدلالية بين هذه اللغات، التي كان يتكلم بها في النطاق الممتد بين شمال أفريقيا وجنوب

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

غرب آسيا. والشيء ذاته قد حدث للغة اللاتينية التي كانت لغة منطوقة في القرون الوسطى ولكنها زالت من الاستعمال اليومي فاسحة المجال للغات أخرى خرجت منها، وهي الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية. والسؤال المطروح هو ما المقصود بالصراع اللغوي؟ وما هي أسبابه؟ وما هي مظاهره ونتائجه؟

مفهوم الصراع اللغوي:

1-1- الصراع لغة: جاء في معجم لسان العرب (مادة صَرَغَ) مايلي: «الصَّرْعُ: الطَّرْحُ بالأرض، وخصّه في التهذيب بالإنسان، صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ، يَصْرَعُهُ صَرَعًا وَصِرَعًا، الفتح لتميم والكسر لقيس عن يعقوب، فهو مصروع وصريع، والجمع صرعى، والمُصَارَعَةُ والصِرَاعُ: معالجتها أيهما يصرع صاحبه...»⁽²⁾.

2-1- الصراع اصطلاحاً: يراد بالصراع اللغوي ذلك النزاع والاحتكاك الذي ينشب بين اللغات فينجم عنه تسرّب ألفاظ وأساليب كثيرة منها أو إليها، وقد يؤدي صراعها مع غيرها إلى انتصارها أو انكسارها ومن ثم موتها واندثارها⁽³⁾ وبغض النظر عن هذا الصراع الموجود بين اللغات يرفض بعض الدارسين المحدثين ما يسمى بالنظرة البيولوجية للغات وكيف أنها لغات تولد وتنمو ثم تموت، لأن الواقع يثبت "أنّ اللغة التي لا تتطوّر فتتجمّد تصبح أقرب إلى الموت"⁽⁴⁾

أسباب الصراع اللغوي:

يرجع اللسانيون الصراع اللغوي بين اللغات إلى جملة من الأسباب يمكن إيجازها في العناصر التالية:

نزوح عناصر أجنبية إلى البلد: ويحدث هذا نتيجة فتح أو استعمار أو هجرة، فينزع إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى نتيجتين: إذ قد تنتصر إحدهما على الأخرى، فتصير لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم أصيلهم ودخيلهم، وأحياناً لا تقوى واحدة منهما على الأخرى فتعيشان جنباً إلى جنب⁽⁵⁾.
تجاور شعبين مختلفي اللغة:

قد يتيح تجاور شعبين مختلفي اللغة فرصاً كثيرة لاختلاف لغتهما، فتشتبكان في صراع ينتهي إلى واحدة من النتيجتين، إذ يمكن أن تنتصر إحدى اللغتين على الأخرى وتحتل

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

مناطقها، فتصبح لغة مشتركة بين الشعبين، وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى فتعيشان معا جنبا إلى جنب⁽⁶⁾.

اشتباك شعبيين مختلفي اللغة أو شعوب مختلفي اللغات في حرب طويلة الأمد:

ذلك أنّ طول الاحتكاك بين الشعوب المتحاربة ينقل إلى لغة كل شعب منها آثارا من لغات الشعوب الأخرى، سواء في ذلك لغات الحلفاء ولغات الأعداء فاحتكاك الألمانية والفرنسية والإنجليزية في الحربين العالميتين الأخيرتين، قد نقل إلى كل منهما مفردات من اللغتين الأخرين. (وحرب الثلاثين) التي نشبت بين حماة البروتستانتية وحماة الكاثوليكية، وامتدت من سنة 1618م إلى سنة 1648م، قد أتاحت فرصا كبيرة للاحتكاك بين الفرنسية والألمانية، فنقلت إلى كل منهما بعض المفردات من الأخرى⁽⁷⁾

عامل الهيبة⁽⁸⁾ : وهو عامل عاطفي له قوته العظيمة في المحافظة على سلامة الكثير من اللغات وبقائها، وكثيرا ما يكون هذا العامل مستمدا من القيمة الذاتية للغة، فالإيونانية مثلا كانت تمثل ثقافةً من أعرق الثقافات البشرية، ولذلك لم تستطع اللغة اللاتينية التغلب عليها، كما لم تستطع بعد ذلك اللغة التركية، مع أنها كانت لغة الفاتحين سياسيا وحربيا. وكذلك لم يتمكن الاحتلال التركي للشرق خلال قرون عديدة من القضاء على اللغة العربية وإحلال التركية محلها، لأن التركية ليست - بحال من الأحوال - من لغات الحضارات الكبيرة بخلاف اليونانية والعربية⁽⁹⁾.

توثق العلاقات التجارية بين شعبيين مختلفي اللغة: وذلك أن منتجات كل شعب تحمل معها أسماءها الأصلية، فلا تلبث أن تنتشر بين أفراد الشعب الآخر وتمتزج بمتن لغته، وكثرة الاحتكاك التجاري بين أفراد الشعبين ينقل إلى لغة كل منهما آثارا من اللغة الأخرى⁽¹⁰⁾.

توثق العلاقات الثقافية بين شعبيين مختلفي اللغة: فإن ذلك ينقل إلى لغة كل منهما وبخاصة إلى لغة الكتابة آثارا كثيرة من الأخرى، وهذه الآثار لا تقف عند حدّ المفردات، بل تتجاوزها أحيانا إلى القواعد والأساليب. والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم الحاضرة والغابرة. فاللغة العربية في العصر العباسي وبخاصة لغة الكتابة، قد انتقل إليها عن هذا الطريق كثير من آثار اللغتين الفارسية واليونانية، ولغة الكتابة بمصر في العصر الحاضر،

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

سواء في ذلك لغة العلوم والآداب ولغة الصحافة، قد انتقل إليها عن هذا الطريق كثير من اللغات الأوروبية وبخاصة الإنجليزية والفرنسية⁽¹¹⁾.

مراحل الصراع اللغوي:

يذكر علماء اللغة أن الصراع اللغوي بين اللغات قد ينجم عنه انتشار لغة وانحسار لغة أخرى، غير أن الملفت للانتباه أن هذا الصراع الذي اختلفت ظروفه وظروفه لا يحقق نتائجه من انتصار اللغة الغالبة على اللغة المقهورة دفعة واحدة، لأن ذلك قد يستغرق في بعض الحالات قرونا طويلة في حالة انتماء اللغتين إلى فصيلة واحدة، والأمر أعسر من ذلك بكثير في حالة اختلافهما، وإلى جانب العنصر الزمني وأهميته في الصراع اللغوي، نجد عنصر الحضارة له تأثير حاسم في مصيره، إذ أنه إلى جانب هذا العنصر تهون قيمة التفوق العددي، كما أنه في حالة انعدام الحضارة لدى الجماعة اللغوية الغازية لا يمكن أن يؤتى الصراع نتائجه المرجوة، إلا إذا تشابه المغلوبون مع الغالبين في عدم التحضر فيكون النصر والغلبة للأكثرين عددا⁽¹²⁾، وفيما يلي عرض لهذه المراحل الثلاثة:

المرحلة الأولى: وفيها تطغى مفردات اللغة المنتصرة، وتحل محلّ اللغة المقهورة شيئا فشيئا، وتكثر هذه الكلمات أو تقل تبعا للمقاومة التي تبديها اللغة المهزومة، فاللغات البربرية لم تترك في اللغة العربية المنتصرة إلا كلمات قليلة، وكذلك الحال في لغة بلاد الغال التي تغلبت عليها اللاتينية. أما إذا كان الصراع بين اللغتين شديدا وطويل الأمد، فإن اللغة المقهورة قد تحتفظ بمفردات كثيرة تدخل في اللغة الغالبة، مثال ذلك ما حدث بين لغة الإنجليز السكسون بإنجلترا ولغة الفاتحين من الفرنسيين النورمانديين، إذ خرجت الإنجليزية المنتصرة في هذا الصراع، وقد فقدت ما يقرب من نصف مفرداتها الأصلية، واستبدلت به كلمات من اللغة النورماندية المغلوبة⁽¹³⁾.

المرحلة الثانية: يحدث تغيير في مخارج الأصوات ويقترّب النطق بها من النطق بأصوات اللغة الجديدة بالتدرّج، حتى تصبح على لغة تطابق أو تقارب الصورة التي هي عليها في اللغة المنتصرة، وذلك بأن يتصرف المغلوب تصرّف الغالب في النطق بالأصوات، فتتسرب بذلك أصوات اللغة الغالبة إلى اللغة المغلوبة في طريقة نطقها ونبرها ومخارجها، فينطق أهل اللغة المغلوبة ألفاظهم الأصلية، وما انتقل إلى لغتهم من كلمات دخيلة، متخذين نفس

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

المخارج ونفس الطريقة التي يسير عليها النطق في اللغة الغالبة. وهذه المرحلة تعدّ أخطر مراحل الصراع اللغوي، إذ يزداد فيها انحلال اللغة المغلوبة، ويشد قربها من اللغة الغالبة⁽¹⁴⁾.

المرحلة الثالثة: وفيها تفرض اللغة المنتصرة قواعدها وقوانينها اللغوية الخاصة بالجمل والتراكيب، وبهذا تزول معالم اللغة المقهورة وبعد ذلك تبدأ اللغة المنتصرة في إحلال أخيلتها واستعاراتها ومعانيها المجازية محل الأخيلاء والاستعارات والمعاني للغة القديمة التي تموت شيئاً فشيئاً. إلا أن النصر لا يتم للغة من اللغات إلا بعد أمد طويل قد يصل أحيانا إلى أربعة قرون، فالرومان أخضعوا بلاد الغال في القرن الأول الميلادي، ولكن لم تتم الغلبة للغة اللاتينية إلا في القرن الرابع. وفي كل صراع لغوي لا تتم هذه المراحل دفعة واحدة، ولا تختفي لهجة أو لغة إلا وقد تركت بعض مفرداتها أو تراكيبها أو قواعدها، أو أثرت بأي صورة من الصور في معاني المفردات للغة الجديدة، وبخاصة إذا كانت اللغتان من فصيلة واحدة⁽¹⁵⁾.

مظاهر الصراع اللغوي:

يذكر أصحاب النظرة الاجتماعية للتطور اللغوي الناجم عن الصراع بين اللغات ثلاثة مظاهر لهذا الصراع⁽¹⁶⁾:

أولاً: أن تموت اللغة موتاً طبيعياً بسبب كثرة الناطقين بها وتباعد بيئاتهم، مما يؤدي إلى تولد لهجات محلية منبثقة من اللغة الأم، وقد تتسع لهجة جديدة وتنمو على حساب اللغة الأم، لتكون هي اللغة وتندثر اللغة الأصل من ذاكرة الأبناء وعلى ألسنتهم كما حدث للغة السامية الأولى والسانسكريتية.

ثانياً: أن تغزى اللغة المعينة من لغة أخرى، حيث يكون الغزاة أكثر عدداً من أهل اللغة المغزوة، كما هو الحال في غزو الساميين القدماء حيث تغلبت لغتهم القديمة على السومرية. أما في حالة الصراع المتساوي العدد، فيكون النصر للغة التي أصاب أصحابها نوعاً من الرقي والحضارة، كما هو الحال في التتار بعد إسقاطهم ببغداد، فقد اعتنق أكثرهم الإسلام، وتعلموا العربية لما عليه أصحابها من رقي وفعل حضاري يفوق ما عند الغزاة.

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

ثالثاً: أن تموت اللغة وذلك باستسلامها للدخيل من لغات أخرى هذا الدخيل الذي تحسّ اللغة أنها بحاجة إليه ومع كثرتة ستحس اللغة بنوع من النشاط والانتعاش، لكن موجات الدخيل سرعان ما يسري مفعولها في هذه اللغة فيقضي على جل كلماتها الأصلية فاسحا المجال لهذه الكلمات الدخيلة التي ستصبح كلمات الاستعمال اليومي، على نحو ما حدث للغة الفارسية التي غزتها اللغة العربية فصار العلم والأدب والسياسة لا تعرف تعبيراً غير العربية، وتقلص نفوذ الفارسية فأصبحت لغة الطبقة الدنيا من الفلاحين والرعاع. قوانين الصراع اللغوي:

يضع اللغويون قوانين تنصّ على أن اللغة لا تتفوق على لغة أخرى إلا إذا توقّرت الأسس الآتية⁽¹⁷⁾:

- أن تكون اللغة الغالبة لغة شعب متحضّر، أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته، وأقوى منه سلطاناً وأوسع نفوذاً.
 - أن تبقى غلبة الغالب زمناً كافياً مع استمرار قوّته، لتمتكن اللغة الغالبة من بسط نفوذها ويتم لها نصر حقيقي.
 - أن تكون هناك جالية كثيرة العدد والنفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التي غلبت لغتها، وتمتزج بأفراد هذا الشعب ولا تعيش إطلافاً في عزلة عنه.
 - أن تكون اللغتان الغالبة والمغلوبة من عائلة واحدة، أو من عائلتين لغويتين متجاورتين.
- وإذا نظرنا في واقع الصراع اللغوي بين العربية ولغات أخرى سواء أكانت من نفس عائلتها اللغوية وأعني بذلك عائلة اللغات السامية، أم عائلة اللغات الهندو أوروبية فإننا سنجد حتماً أن اللغة العربية قد تصارعت مع لغات كثيرة، حتى وإن لم يتسبب هذا الصراع في اندثار اللغة العربية أو انحسارها فإنه انعكس إيجابياً على اللغة العربية، فقد استطاعت اللغة العربية في صراعها الطويل مع لغات كثيرة إلى التأثير في هذه اللغات والتأثر بها، فواقع هذا الصراع إذن كان تأثراً وتأثيراً.

6 - الصراع بين اللغة العربية واللغة الفارسية:

تنتمي اللغة العربية كما هو معلوم إلى عائلة اللغات السامية⁽¹⁸⁾ وهي إحدى اللغات العريقة التي كتب لها البقاء مع انقراض معظم شقيقاتها الساميات وزوالها من الاستعمال

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

اليومي، وتحولها إلى نقوش ورموز تخلد حياة الشعوب التي كانت تتكلم بها في النطاق الجغرافي الممتد من شمال أفريقيا إلى جنوب غرب آسيا.

وقد عرفت اللغة العربية انتشارا واسعا بانتشار الإسلام واتساع الفتوحات الإسلامية، من شبه الجزيرة العربية مهبط الرسالة المحمدية إلى جنوب شرق آسيا مرورا بالشمال الإفريقي ووصولاً إلى قلب أوروبا والأندلس على وجه التحديد. ولاشك أن دخول الأعاجم في الدين الإسلامي قد حتمّ عليهم تعلم اللغة العربية، لأنها الوسيلة الوحيدة لفهم تعاليم الدين الجديد، ونظراً لاحتكاكهم بالفاتحين من العرب والمسلمين فإن تأثير اللغة العربية في لغاتهم كان كبيراً سواء من حيث إغناء هذه اللغات بمفردات عربية إسلامية أو من حيث النظام فبعض هذه اللغات قد أخذت من النظام النحوي للغة العربية بعض الخصائص والسمات كاللغة الفارسية التي تأثرت بنظام اللغة العربية في بعض النواحي.

07-مظاهر الصراع بين اللغة العربية والفارسية (حقيقة الصراع وجوانب التأثير والتأثر)

تنتمي اللغة الفارسية كما هو معلوم إلى الفصيلة الهندو أوروبية⁽¹⁹⁾ وبحكم التجاور الجغرافي بين العرب والفرس قامت علاقات تاريخية بين الشعبين منذ فجر التاريخ، وهذا ما مهّد لحصول تأثير وتأثر بين العربية والفارسية على الرغم من عدم انتمائهما إلى نفس الفصيلة اللغوية. وقد أرجع صلاح الدين المنجد أسباب اقتباس لغة من لغة أخرى إلى أحد العوامل الثلاثة الآتية: العامل السياسي أو العسكري، العامل الحضاري، والعامل الاجتماعي

1-العامل العسكري أو السياسي:لقد قامت علاقات سياسية وعسكرية بين العرب والفرس منذ أقدم العصور، أي: من زمن قورش (نحو 560-529 ق م) ثم أيام داريوس الكبير، فقد بسط الملوك الإيرانيون سيطرتهم على الهلال الخصيب وأجزاء من سورية وبلاد الشام وعلى مصر.وفي عهود مختلفة متتابعة، وكانوا عند بسط سيطرتهم على منطقة من المناطق العربية يستعينون ببعض العرب لغرض فتح هذه المناطق والسيطرة عليها، وقد يعمد الفاتح إلى نشر لغته والتمكين لها في البلاد التي فتحها، وهذا ما يؤدي إلى انتشار ألفاظ جديدة إذا طالت سيطرة الفاتح على المناطق التي فتحها، وهذا ما أدى إلى انتشار ألفاظ فارسية كثيرة في اللغة العربية⁽²⁰⁾

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

2- العامل الحضاري: لقد كان اتصال العرب بالفرس وثيقا إبان العصر الجاهلي وما بعده، ومعلوم أن الفرس قد شيّدوا حضارة عمرها مئات السنين، لذلك كان من الطبيعي أن يقتبس العرب من المناطق التي سكنها الفرس أو بسطوا سيطرتهم فيها، الكثير مما يحتاجون إليه أو مما ينقصهم في باديتهم أو في مدنهم الكبرى مما لاعهد لهم به، وإذا ألقينا نظرة على مجمل الألفاظ الفارسية المعربة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، نجد أن العرب أخذوا الكثير من أسماء المأكّل أو الأزهار أو النباتات والأشجار مما لا ينبت في شبه الجزيرة العربية، وكذا أسماء الملابس وأنواع النسيج والعمّور، وأسماء الأواني وكذلك أسماء الآلات الموسيقية، وبعض أسماء السفن⁽²¹⁾.

3- العامل الاجتماعي: الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ومن ثم فإن الإنسان يؤثر في أفراد مجتمعه، والمعروف أن العرب كانت لها خطباء وشعراء ورؤساء قبائل، وقد سنحت لهم الفرصة لأن يترددوا على بلاد الحيرة، وقد كانت الفارسية وتقاليدها الفرس عموما منتشرة فيها، فأخذوا من عاداتها وتقاليدها، وتعلموا قصصها وأخبارها⁽²²⁾.

كانت هذه أبرز العوامل التي أسهمت في قيام عملية التأثير والتأثر بين اللغة العربية واللغة الفارسية، ولا شك أن هذا التأثير والتأثر المتبادل قد أفضى إلى استفادة اللغتين من بعضهما البعض، فكل لغة أفادت واستفادت من اللغة الأخرى. والمعروف أن اللغة العربية أخذت في الانتشار بين الفرس بعد الفتح الإسلامي وأصبح الفرس ينظرون إليها نظرة مقدسة بصفتها لغة القرآن والدين الجديد، فتعمقوا في دراستها حتى يتمكنوا من فهم دينهم وكتابهم الكريم، مما ساعد على انتشار هذه اللغة ورواجها. وقد ظلت اللغة العربية في المرتبة الأولى من الناحية الأدبية حتى أواخر القرن الثالث تقريبا، حين أخذت القومية الفارسية تنهض من جديد، وتحاول أن تحيي معها اللغة الفارسية الحديثة أو الإسلامية، التي اعتمدت في كثير من كلماتها ومصطلحاتها على اللغة العربية، كما أنها كتبت أيضا بحروف عربية⁽²³⁾.

ولعل أبرز مظاهر تأثير اللغة الفارسية بالعربية هو نظام الكتابة، فاللغة الفارسية تُكتب بالخط العربي مع إضافة أربعة حروف خاصة، وبما أن بعض الفونيمات العربية قد اندمجت في عملية الاقتراض، فقد أصبح الخط العربي غير واضح تماما، فقد أصبح صوت

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

الثاء والسين والشين ينطق سينا في الفارسية، وكذلك اندمج صوتا العين والهمزة ليصبحا همزة، واندمج صوتا التاء والطاء ليصبحا تاء، واندمجت الحاء في الهاء، ومع ذلك فكل الكلمات المقترضة من العربية مكتوبة بحسب هجائها العربي .
ويبدو أن معظم الكلمات المقترضة من العربية هي كلمات معنوية تمس مجالات الدين والعلوم والآداب، ويظهر التأثير العربي في تلك الكلمات المقترضة من خلال بنيتها الصرفية، فهي تحتفظ بجمعها العربي الأصيل، وذلك نحو⁽²⁴⁾:

معلم	معلمين
مسافر	مسافرين
درجة	درجات

أما على مستوى النظام الصرفي فقد صاغت الفارسية الكلمات التي لم ترد من أصل عربي على نمط جمع المؤنث العربي مثل : deh التي تجمع على dehat أي:قري، كما أخذت الفارسية صيغ جموع التكسير مع أسمائها المفردة كما هو الحال في⁽²⁵⁾:

حال	أحوال
غذاء	أغذية

مظاهر الصراع بين اللغة العربية واللغة الإسبانية في الأندلس.

لبثت قرطبة زهاء ثلاثة قرون قاعدة الدولة الإسلامية بالأندلس ومركز الفتوحات الإسلامية وملتقى النشاط العلمي، ولبثت حتى بعد انهيار الخلافة تحتفظ في ظل ملوك الطوائف ثم المرابطين والموحدين بكثير من هيبتها التليدة ومجدها الأثيل كقاعدة أساسية من قواعد الإسلام في الأندلس. وكان لسقوطها على أيدي القشتاليين عام: 1236م 633 هـ الوقع العظيم والأثر البالغ في الأندلس، وفيما وراء البحر، مع أن المجتمع الإسلامي أخذ ينهار منذ سقوطها بسرعة، وقد غادرها أكثر سكانها المسلمين خاصة أبناء الأشراف والنبلاء فرارا إلى القواعد الإسلامية الأخرى⁽²⁶⁾.

وبعد فتح أجزاء كبيرة من بلاد الأندلس سنة: 711م احتك العرب بالشعوب التي تتكلم لهجات رومانسية في تلك الأصقاع بشكل مباشر، وهو الاحتكاك الذي استمر إلى غاية

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

سقوط الأندلس سنة: 1492 م ، ويبدو أنه طوال هذه الفترة الطويلة من الاحتكاك اللغوي لم تحل اللغة العربية محل اللغات المحلية للشعوب غير المسلمة⁽²⁷⁾.

وقد أثرت سنوات الحكم العربي على اللغة الرومانسية في إسبانيا تأثيرا ملحوظا، وقد قدّر الباحثون عدد الكلمات المقترضة في الإسبانية بحوالي أربعة آلاف كلمة، وتغطي هذه الكلمات المعجم الإسباني كله تقريبا، لكنها تتركز في مجالات الحرب مثل كلمة "alcazar" التي تعني القلعة، وفي مجال الزراعة كما في كلمة "albaricoque" التي تعني البرقوق، وفي مجال التجارة كما في كلمة "almacen" التي تعني المخزن بالعربية، وفي مجال البناء كما في كلمة "albani" التي تعني البناء. ومعظم تلك الكلمات المقترضة من الأسماء التي اقتترضتها اللهجات المحلية بمعية أداة التعريف، ولكن ذلك لا يمنع من وجود بعض الصفات المقترضة من العربية مثل كلمة "gandur" التي تعني غندور، وهناك أيضا عدد غير محدود من الأفعال التي تم اقتراضها من العربية مثل: "halagar" المشتق من الفعل العربي خلق، ومنها أيضا الكلمة الإسبانية "folano" مشتقة من الكلمة العربية "فلان"، وكذلك كلمة المشيئة الإسبانية "ojala" المشتقة من التعبير العربي إن شاء الله. وهناك أمثلة على اقتباس الإسبانية لمورفيم عربي، وهو المورفيم الذي يظهر على شكل لاحقة، وقد أصبح هذا المورفيم فاعلا ومنتجا في اللغة الإسبانية بدرجة معقولة، وتظهر هذه اللاحقة مع تلك الكلمات المقترضة من العربية كما في كلمة "bala-di" المشتقة من الكلمة العربية "بلدي" التي تعني بالإسبانية تافه⁽²⁸⁾.

ويبدو أن الصراع القائم بين اللغة العربية والإسبانية حول من يتسيد بيئة الأندلس ظل قائما من دون أن يفسح المجال بصفة شاملة لترجيح كفة اللغة العربية على حساب اللغات المحلية، بل ظلت الإزدواجية اللغوية قائمة بين العربية والإسبانية، وفوق هذا لم يتجاوز تأثير اللغة العربية في الإسبانية مستوى المعجم، ولم يتجاوز مستوى النظام النحوي إذا ما استثنينا تأثير اللغة الإسبانية باللغة العربية في المورفيم الذي يظهر على شكل لاحقة في اللغة الإسبانية كما في كلمة "bala-di" التي تعني في العربية "تافه" خاتمة:

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

حاولت في هذه الورقة البحثية تتبع ظاهرة الصراع اللغوي بين العربية والفارسية والعربية والإسبانية، وقد توصلت إلى بعض النتائج نوجزها فيما يلي:

1- الصراع اللغوي ظاهرة لغوية تعكس أحقية اللغة في البقاء، فكلما كان هناك صراع بين لغتين فأكثر فمعنى هذا إمكانية زوال لغة وحلول لغة أخرى محلها.

2- الصراع اللغوي قد يتجسد في مظهر التأثير والتأثر فيمكن للغتين المتصارعتين أن تؤثر كل منهما في الأخرى، ولا يعد ذلك انتقاصا من قيمة إحدى اللغتين، بل قد يغدو الأمر في غاية الأهمية بما أن كل لغة ستستفيد من الأخرى في المستوى الصوتي أو المستوى التركيبي أو المستوى المعجمي .

3- الصراع اللغوي قد تغذيه أسباب عسكرية سياسية أو حضارية اجتماعية فلا شك أن الحركات الاستعمارية كانت مصاحبة لغزو لغوي ثقافي، فالمستعمر يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يفرض لغته على البلاد التي استعمرها، كما يسعى لفرض ثقافته أيضا سعيا منه إلى طمس معالم الهوية الثقافية للمجتمع المستعمر.

قائمة المراجع:

ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: الشيخ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/1-1952.

ابن منظور جمال الدين بن أبي مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط-د.ت.
روبنزهر ر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، د.ط-1997.

شاهين عبد الصبور، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/6-1993.
ظاظا حسن: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط/2-1990.

عبد التوآب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3-1997.

عبد المنعم محمد نور الدين: معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط/1-2005.

الصراع اللغوي: أسبابه ونتائجه وقوانينه ومظاهره

- عبد المنعم محمد نور الدين: اللغة الفارسية، دار المعارف، القاهرة، د.ط-1977.
- عنان محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/2-1997.
- فرستيغ كيس: اللغة العربية تاريخها مستوياتها تأثيرها، ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط/1-2003.
- فندريس جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط-1950.
- كالفي لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: د/حسن حمزة، مراجعة: د/سلام بزي حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط/1-2008.
- المنجد صلاح الدين: المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، طبعة إيران، ط/1-1978.
- موسكاتي سباتينو وآخرون: مدخل إلى نحو اللغات السامية، ترجمه وقدم له: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ط/1-1993.
- نهرهادي: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، دار الغصون، بيروت، ط/1-1988.
- وافي علي عبد الواحد: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط/9-2004.
- وافي علي عبد الواحد: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط/1-1983.

الهوامش:

- (1) ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: الشيخ محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/1-1952، ص: 33/1.

- (2) ابن منظور جمال الدين بن أبي مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 197/8.
- (3) ينظر: نهر هادي، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، دار الغصون، بيروت، ط/1-1988، ص: 127.
- (4) كالفى لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: د/حسن حمزة، مراجعة: د/سلام بزي حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط/1-2008، ص: 10.
- (5) وافي علي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط/9-2004، ص: 230.
- (6) المرجع نفسه، ص: 240.
- (7) وافي علي عبد الواحد: علم اللغة، ص: 247.
- (8) ينظر: فندريس جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط - 1950، ص: 350.
- (9) ينظر: عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3-1997، ص: 172.
- (10) وافي علي عبد الواحد: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط/1-1983، ص: 102.
- (11) وافي علي عبد الواحد: علم اللغة، ص: 248. وينظر أيضاً: كتابه: اللغة والمجتمع، ص: 102.
- (12) ينظر: شاهين عبد الصبور: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/6-1993، ص: 208.
- (13) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص: 174-175.
- (14) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص: 175.

- (15) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص: 175-176.
- (16) ينظر: ظاظا حسن: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط/2-1990، ص: 117-118.
- (17) ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، ص: 177.
- (18) أطلق المستشرق النمساوي شلوتزر SCHLOZER مصطلح اللغات السامية على اللغات التي كان يتكلم بها في آسيا الغربية، وتتميز هذه اللغات بسلمات مشتركة في الأصوات والمفردات والصرف والنحو، كما تشترك أيضا في اتجاهات تتعلق بتطورها، وتشير هذه السمات المشتركة الباقية إلى وحدة الأصل المشترك، فهي - بلا شك - تنتمي إلى أصل واحد وهو اللغة السامية الأم، ينظر: موسكاتي سباتينو وآخرون: مدخل إلى نحو اللغات السامية، ترجمه وقدّم له: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطليبي، عالم الكتب، بيروت، ط/1-1993، ص: 13.
- (19) يعود الفضل في إرساء قواعد الدراسات التاريخية المقارنة إلى ثلة من اللغويين الألمان، لكن أول من اهتدى إلى صلات القرابة بين اللغات اليونانية واللاتينية والسنسكريتية هو السير وليم جونز الذي كان يعمل قاضيا ببلاد البنغال العام 1786م، بعد اكتشافه للغة السنسكريتية وهي اللغة الهندية القديمة التي كتبت بها النصوص الدينية المسماة بالفيدا. وجدير بالذكر أن العائلة اللغوية الهندو أوروبية فصيلة كبرى تضم عدّة أسر فرعية، وقد ميّز دانتي بين ثلاث عائلات فرعية، وهي عائلة اللغات الهندو جرمانية في الشمال، وعائلة اللغات اللاتينية في الجنوب، وعائلة اللغات اليونانية التي تشغل جزءا من أوروبا الشرقية مجاورا لآسيا. ينظر: روبنز ه ر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، د.ط-1997، ص: 238-239.

- (20) ينظر: المنجد صلاح الدين: المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، طبعة إيران، ط/1-1978، ص: 14-15
- (21) ينظر: المنجد صلاح الدين: المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة، ص: 18
- (22) ينظر: المرجع نفسه، ص: 21.
- (23) عبد المنعم محمد نور الدين: معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط/1-1، 2005/21. وينظر أيضا: عبد المنعم محمد نور الدين: اللغة الفارسية، دار المعارف، القاهرة، د-ط-1977، ص: 13
- (24) ينظر: فرستيج كيس: اللغة العربية تاريخها مستوياتها تأثيرها، ترجمة: محمد الشرفاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط/1-2003، ص: 273
- (25) ينظر: المرجع نفسه، ص: 273
- (26) ينظر: عنان محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/2-1997، ص: 18
- (27) ينظر: فرستيج كيس: اللغة العربية، ص: 264
- (28) ينظر: فرستيج كيس: اللغة العربية، ص: 265-266

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

الطالبة: أحلام بن بناحي

جامعة الجزائر 02

ملخص:

عرف الدرس اللساني في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات كبرى، كان الدافع لها الاهتمام بالبعد التواصلية للغة. حيث حاول الدارسون تجاوز البحث في اللغة من حيث هي بنية، إلى البحث في اللغة من حيث هي استعمال. هذا الانتقال في دراسة ما هو منجز من الكلام أدى إلى ظهور نماذج عديدة من البحث أسهمت في نظرية الخطاب وتشكيل أبعاده المنهجية، وضبط آليات التحليل فيه. إن من بين الدراسات التي عُنيت بمقاربة وتحليل اللغة في الاستعمال ما يعرف بتحليل لمحادثة، هدفه دراسة الخطابات الشفهية في إطار التفاعل الاجتماعي بصفته إنتاجا لسلوك الحياة اليومية. بناء على ما سبق حاولنا في مقالنا هذا التركيز على إسهامات تحليل المحادثة، ومناقشة أهم أفكارها. الكلمات المفتاحية: تحليل المحادثة، الخطاب، اللغة.

The abstract:

During the second half of the twentieth century, the linguistic lesson had known great transitions; whose motive was to pay more attention to the communicative dimension of the language, where the scholars had tried to go beyond studying this latter as being a structure to searching in the language as being an usage. This transition in studying the accomplished speech led to the appearance of many models of the research, which contributed in the discourse theory and in forming its methodological dimensions, as well as setting its analysis mechanisms.

Among the studies that focused on the language approach and analysis in use we find what is known as the conversation analysis ;whose objective is to study the orale speeches in the framework of the social interaction ;as being a production of the daily life behaviour. According to the previous points, we have tried, in this article, to concentrate on the conversation analysis contributions and to discuss its most important thoughts.

Key words: The conversation analysis - The speech - The language.

عرف الدرس اللساني في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات كبرى، كان الدافع لها الاهتمام بالبعد التواصلية للغة. حيث حاول الدارسون تجاوز البحث في اللغة من حيث هي بنية ، وهو ما يمثله الاتجاه البنوي بمختلف مدارس، إلى البحث في اللغة من حيث هي استعمال وهو ما يمثله الاتجاه التداولي، هذا التوجه الأخير ترتب عنه الالتفات بشكل مركز لمسألة الخطاب بالبحث في مختلف صورته وأنماطه وكذا شروط إنتاجه.

إنّ " هذا الانتقال في دراسة ما هو منجز من الكلام أدى إلى ظهور نماذج عديدة من البحث أسهمت في نظرية الخطاب وتشكيل أبعاده المنهجية، وضبط آليات التحليل فيه، ومن أهمها نموذج سانكلار (Sinclair) وكولثارد (Coulthard)، الذي يرى بيرتن أنّه النموذج الوحيد فقط من بين نماذج كثيرة في اللسانيات واللسانيات الاجتماعية والانثوميتودولوجيا وفلسفة اللغة الذي يمثّل إطارا نافعا لتحليل انتشار اللغة في أكثر من جملة أو تلفظ طويل¹. بهذا انتهى تحليل الخطاب إلى ميلاد مجال جديد في البحث يعرف بتحليل المحادثة هدفه " دراسة الخطابات الشفهية في إطار التفاعل الاجتماعي بصفته إنتاجا لسلوك الحياة اليومية"². سنحاول في مقالنا هذا عرض الاتجاهات التي عيّنت بتحليل المحادثة ، ومناقشة أهم أفكارها.

1. تحليل المحادثة على أساس المنهج العرقي:

1.1. الإثنية المنهجية (الانثوميتودولوجية) (Ethnométhodologie):

ظهر في سنة (1959) تيار ذو أصل أمريكي في علم الاجتماع، تولد منه تحليل تحادتي يعرف بـ: الإثنية المنهجية (Ethnométhodologie). (Garfinkel، ومن بين الدراسات التأسيسية في هذا المجال دراسات كل من هارولد جارفنكل وهارفاي ساكس (H. Sacks).

" إنّ موضوع هذا التخصص هو الضمنيّات Implicites الاجتماعية المتنوعة، أيّ ما نعتقد أنّه من قبيل المكتسبات (...)، ويدرس خاصة الطرق/ المنهجيات والأساليب التي يسخرها الفواعل الاجتماعيون لتسيير مشاكل اتّصاليهم في الحياة اليومية"³. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإثنية المنهجية تعدّ وريثة للطواهرية الاجتماعية لـ شوتز، والتفاعلية الرمزية لـ جيه. ميد، ومدرسة شيكاغو. وتكون وظيفة عالم الاجتماع من هذا المنظور " إظهار

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

الإجراءات أو المناهج الإثنائية وتحليلها، أي المعارف والخبرات العلمية وقواعد السلوك والتأويلات الروتينية⁴.

وبناء على الاهتمام الذي يولييه علماء الإثنائية المنهجية لأعمال الحياة الاجتماعية المبتدلة ينبع اهتمامهم بالنشاط التواصلي ويرون أن " السلوك اللغوي مورد مركزي لدى الفاعلين الاجتماعيين. والتفاعل شكل قاعدي لبناء العالم الاجتماعي بناء تفاعلياً، تسمح تقنيات التسجيل بدراسته بأكثر سهولة كما يبرز كذلك ساكس. وقد زُفعت خاصيتان للخطاب إلى رتبة المفاهيم المفاتيح في المقاربة الإثنائية المنهجية، الخاصة الأولى هي الإلحاقية (لا يكون لعبارة معنى إلا بإحالتها على مقام التلفظ) (...)، والخاصية الثانية هي انعكاسية الممارسات الاجتماعية⁵، ويمكن تلخيص كل ما قيل فيما يلي:

يتأسس التحليل على جمع المعطيات الطبيعية عن طريق الملاحظة.

يقع التحليل باستقصاء النشاطات المستعملة عند التفاعل.

وتكون هذه الأدوات مستعارة إلى حد بعيد من الإثنائية لاسيما إثنائية التواصل.

وتكون هذه الأدوات مستعارة إلى حد بعيد من الإثنائية لاسيما إثنائية التواصل. إن الهدف الأساسي من دراسة التخاب من زاوية التحليل الإثنوميتودولوجي هو دراسة الخطاب في إطار التفاعل الاجتماعي بصفته إنتاجاً يقوم به متكلمان أو أكثر، ووصف التبادل الكلامي بين المتكلمين بوصفه حالة خاصة من التفاعل الاجتماعي، وفي هذه الإطار أصبح الهدف من تحليل المحادثة تفسير الطرق المشتركة التي يستعملها المتفاعلون في إنتاج سلوكهم ومعرفته، وكذلك سلوك الآخرين⁶. هذا المنظور في تحليل يعدّ التخاب عملية اجتماعية متواصلة تشمل أساساً مبادلات لفظية أو أكثر (...). فالتفاعل عملية شاملة ومعقدة حاول محللو المحادثة تفسير العلاقات المناسبة فيه. إذ تبني هذه العلاقات عملية الاتصال وتجعل الأطراف المشاركة في الحديث فاعلة وإيجابية وتنفي الترتيب وتوزيع الأدوار بين العناصر المكونة لها⁷.

2.1. الإسهامات ذات الطابع الأنثروبولوجي العرقي (إثنية التواصل):

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

تتصف إثنية التواصل من بين مختلف التيارات التفاعلية في أمريكا الشمالية بأسسها الأنثروبولوجية، التي ضبقت لها ميدان بحث واسع" هو الدراسة المقارنة للسلوكيات التواصلية في مجتمعات متنوعة، وغاية نظرية هي بناء التواصل في نظام ثقافي على غرار القرابة أو الجنس. ومقاربة متعددة الاختصاصات تمتح من علم الأعراف واللسانيات وعلم الاجتماع، وتمشيًا ميدانيًا مؤسسًا على ملاحظة الممارسات التواصلية⁸. أسس لهذا الاتجاه بشكل خاص أعمال هايمز (Hymes)، وقد تبناها فيما بعد واستمر في تطويرها قمبرز (Gumperz)، وارفن تريپ (Ervin.Trip)، وشرتزر (Scherzer).

انطلق هايمز من دراسة إثنية للكلام وسرعان ما وقع الإعراض عن هذه التسمية لفائدة مصطلح التواصل الذي يسمح بإقصاء هيمنة الشفاهي اعتدادا بتعدد قنوات الممارسة اللغوية أولاً، وبالإيفاء بمشاركة الأشخاص في العلاقات الاجتماعية وبانخراطهم في نسق معارف، ومعايير ثقافية، وهذا التصور الحركي للتواصل بعده فعلا اجتماعيًا أدى به هايمز إلى تعريف مفهوم القدرة التواصلية على خلاف تشومسكي - أنها - " معرفة متضافرة بمعايير النحو ومعايير الاستعمال "تحكم خاصة التكيف السياقي للسلوكيات⁹. يقود هذا الطرح إلى نقطتين جوهريتين¹⁰:

- يستحيل على المحلل أن يفصل اللغة عن طريقة استعمالها في مقام معين.
- داخل مجموعة لسانية يجب أن ينظر إليها بعدًا تنظيميًا للتنوع يشتمل على أساليب مختلفة.
- دراسة الكيفية التي يقع حسبها استنفار السجلات المختلفة المكوّنة للصيد اللغوي " لشخص أو لجماعة ما.

إذن الأمر يتعلّق بجمع معطيات انطلاقًا من ملاحظة مشاركة وتحليل الوظائف المختلفة للسلوكيات التواصلية في مجموعة، بدراسة مكوّناتها المختلفة" وقد تمّ تطبيق مبادئ التحليل هذه في ميادين تنتمي إلى السنة الإثنية (خاصة المدرسة ومختلف مؤسسات المجتمع)¹¹.

بناء على ما سبق ترسم إثنية التواصل أهدافًا تتمثل في " البحث عن تفسيرات كلية تدرج السلوكيات الخطابية المحلية في إطار عام من العقائد والأفعال والمعايير المكوّنة

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

لواقع اجتماعي، أو ثقافي، وعليه فهذا التمهصل بين اللساني والاجتماعي هو الذي تحاول الدراسات المتأتمية منها جاهدة للوصف بكيفية دقيقة"¹².

3.1. علم الاجتماع المعرفي لمناهج البحث العرفي لدى سيكورل (Cicourel):

من مؤسسي هذا الاتجاه سيكورل (Cicourel)، وميهان (Mehan)، وزمرمان (Zimmermann)، وغيرهم. بحيث ينطلق خلافاً للاتجاهين الأوليين من أنّ الصفة البديهية للكثير من النشاطات اليومية تظهر أنّ الطرق التي يستعملها شركاء التفاعل لتنظيم المحادثات تشكل صيغة خاصة للمعرفة الاجتماعية، التي ترتبط مع أنساق المعرفة الأخرى. وحسب سيكورل فإنّ مهمة المحادثة: "يجب أن تكون فحص عمليات إنتاج المحادثة وتفسيرها باستفاضة بالنظر إلى هذه الأنظمة المعرفية"¹³. كما أعطى دوراً مهماً لإعادة بناء "الحدس الاجتماعي". من هنا فإنّ مهمة تحليل المحادثة هي فحص قضايا إنتاج المحادثات وتفسيرها بشكل مفصل على أساس هذه الأنساق المعرفية.

إنّ الاتجاه الإدراكي (التفسيري)- الإثني المنهجي - في تحليل المحادثة لم يتأثر بـ جارفنكل وشوتس (Schutz) فحسب، بل بالنظرية الاجتماعية لـ فيبر (Weber) أيضاً. بحيث يحيل الفهم فيها - في التفاعل الاجتماعي - دوراً أساسياً. "وضع سيكورل وأتباعه في هذا التصور الكليّ مشكلات تكوين المعنى خاصة في الصدارة، حيث تتكوّن المعاني حسب تصوّره من خلال تطبيق إجراءات تفسيرية أو فرضيات التفاعل"¹⁴

2- الإسهام القائم على الممارسة (مدرسة جنيف): (l'Ecole de Genève).

1.2. التعريف بمدرسة جنيف: (l'Ecole de Genève)

تأسس هذا الاتجاه بـ جنيف في سويسرا، وفرنسا على يد ايدي رولي (E. Roulet)، والثنائي سبرير (Sperber) وولسون (Wilson) بمدينة ليون، ولسانيون آخرون أمثال جاك موشلر (J. Moeshler)، وكاربرات أركيوني¹⁵ (C.K. Orecchioni).

اقترح كل من رولي (E. Roulet) وأوشلن (A. Auchlin) وباك موشلر (J. Moeshler) وروبتال (C. Rubattel) وشولن (M. Schelling) من خلال أعمالهم المتعلقة بدراسة المحادثة والخطاب مقارنة لـ "تمفصل الخطاب في الفرنسية المعاصرة" « l'articulation du discours en français contemporain ».

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

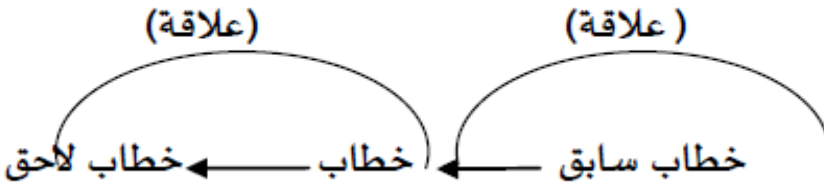
2.2. أهم مفاهيمها:

عرض لسانيو مدرسة جنيف سلسلة من التقابلات L'oppositions، والمتمثلة في: حوار فردي monologal تحاوري dialogal، حوار فردي monologique تحاوري dialogique، صوت واحد monophonie تدخل صوتين diaphonie تعدد الأصوات polyphonie، وهي تقابلات تستند على بنية المكونات الخطابية.

1.2.2. تحاورية: Dialogisme

يحيل مصطلح Dialogisme على كل ملفوظ من علاقات مع الملفوظات الأخرى المنجزة سابقا، وذلك مع الملفوظات الآتية التي يمكن أن ينجزها المرسل إليهم¹⁶. بمعنى أن أي قول يشتمل على أصوات آراء منسوبة إلى آخرين غير الذي قال القول. ويذهب باختين إلى أن ما يظن أنه من قبيل الخطاب ذي النزعة الذاتية الخالصة ليس إلا خطابا مستتبطا لخطابات خارجية أخرى، فقول المتكلم يمكن أن يشتمل على أصوات مختلفة وكل صوت بصورة إيديولوجية مخصوصة¹⁷، وقد استعمل مصطلح polyphonie كمرادف للحوارية.

إن البعد الحواري هو ميزة كل خطاب، كون الخطاب يلتقي مع خطاب الغير على كل الدروب المؤدية إلى موضوعه. ولا يمكن له أن يندرج معه في تفاعل بشكل من الأشكال. فكل خطاب مهما كانت دلالاته وأبعاده الإيديولوجية لا يكون إلا جزءا من تيار تواصلية كلامي لا ينقطع¹⁸.



3.2.2. النموذج التراتبي الوظيفي: Le modèle hiérarchique et fonctionnel

اقترح لسانيو مدرسة جنيف نموذجا تراتبيا وظيفيا « un modèle hiérarchique et fonctionnel » لتحليل الخطاب قائم على فرضية مفادها: "...المحادثة تنتظم ضمن

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

مجموعة مترابطة من وحدات تابعة لمستوى من المستويات وعلاقات أو وظائف بين هذه الوحدات. وتستجيب الوحدات/ المكونات* لمبدأ التأليف التراتبي¹⁹.

4.2.2. مكونات المحادثة:

حاول الباحثون في مجال تحليل المحادثات أن يحددوا المكونات الأساسية للمحادثة، وقد اختلف هؤلاء في حصر مكوناتها، إذ نجد أيدي رولي وفريقه في كتاب* صدر سنة (1987)، وجاك موشلر في أبحاثه التي أنجزها سنة (1985)، والتي نشرها أيضا سنة (1996)* يحصرون هذه المكونات في ثلاثة عناصر هي التبادل، والتدخل، والفعل الكلامي. أمّا في العمل الصادر سنة (2001)* فقد حدّد لسانيو مدرسة جنيف خمس(ة) عناصر/ مكونات أساسية للمحادثة²⁰ وهي:

. المخاطبة L'incursion

. La transaction ؟

. L'échange التبادل

.L' intervention التدخل

.L'acte de langage الفعل اللغوي

خلاصة:

خلصنا في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج نوردتها في النقاط الآتية:

الإسهام البحثي والمنهجية العرقية (الإثنية المنهجية): الذي يرجع إلى العالم ساكس، وتمّ تطويره على أيدي مجموعة من الباحثين أمثال: شيجيغلوب، جيفرسون،... وآخرون.

الإسهامات ذات الطابع الأنثروبولوجي العرقي (إثنية التواصل): وتمثّل أعمال هايمز التي طوّت فيما بعد على أيدي جمبرز، ووافن، وتريب، وشرتزر.

علم الاجتماع الإدراكي لمناهج البحث العرقي لدى سيكورل: ومجموعة من الباحثين: ميهان، وتيسمرمان.

والملاحظ أنّ الإسهامين الأولين يوجهان جزءاً كبيراً من اهتماماتهما إلى عناصر الأبنية التي تنظم بها المحادثة (أبنية افتتاح المحادثة واختتامها)، وكذا بحث

مقاربة في مناهج تحليل المحادثة (قضايا وحدود)

مجريات الاتصال في سياقات ثقافية، واجتماعية مختلفة. أما الإسهام الثالث فينطلق خلافا للاتجاهين الأولين، ذلك أنّ الصّفة البديهية للكثير من النشاطات اليومية تُظهر أنّ الطرق التي يستعملها شركاء التفاعل لتنظيم المحادثات تُشكل صيغة للمعرفة الاجتماعية التي تُربط مع أنساق أخرى. ومهمة تحليل المحادثة هي فحص قضايا إنتاج المحادثات وتفسيرها بشكل مفصّل على أساس هذه الأنساق المعرفية.

وتتقاطع هذه الاتجاهات في نقاط أخصها على النحو الآتي:

1. لا تتضح بشكل كاف إلى أيّ مدى تمكّنت هذه الإسهامات من تحقيق الأهداف التي وضعتها في برامجها البحثية.

2. تتفق كلّ الاتجاهات في أنّ العمل التطبيقي في تحليل المحادثة يجب أن يجري مبدئياً على أساس تسجيلات فعلية لاتصال فعليّ.

هوامش البحث :

1 خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة/ دراسة في استراتيجيات الخطاب، ص44
2 خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة/ دراسة في استراتيجيات الخطاب ، ص 48.
*كون التخاطب مبحث لساني واجتماعي في آن واحد جعل من الطرح الاجتماعي في دراسة التخاطب طرحاً حصيفاً.

3 دومينيك منغونو، المصطلحات المفتاح لتحليل الخطاب، ص 56.

4 باتريك شارودودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 228
* الإثنية: مصطلح يدل على الأفراد الذين يعدّون أنفسهم أو يعدّهم الآخرون مشتركين في بعض السمات والخصائص التي تميّزهم عن التجمعات الأخرى في مجتمع يستطيعون في إطاره تطوير سلوكهم الثقافي الخاص.

ينظر، جورودون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، تر: مجموعة أساتذة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، المجلد 1، 2007، ص78.

* الإثنوية المنهجية (Ethnométhodologie) : أحد مداخل علم الاجتماع، ظهر نهاية الخمسينيات، واستحوذ مضامينه من عدة مصادر لاسيما من فلسفة الظواهر، والهرمونطيقا، والتفاعلية الرمزية. يعود الفضل في وضع هذا المصطلح للعالم الأمريكي هارولد جارفنكل الذي أسس الإثنوميتودولوجيا سواء كنظرية أو كنقد واع ذاتيًا لعلم الاجتماع التقليدي. يقول جارفنكل: "إنّ كلمة إثنو تدل بطريقة أو بأخرى على نوع من المعرفة البديهية الإدراك العام، والمتاحة لعضو الجماعة عن مجتمعه في شتى المناحي". ينظر، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ص 78. و جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، تر: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، 2011، ص87.

5 . باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب ، ص 229.

6 ينظر، خليفة المساوي، الوصائل في تحليل المحادثة، ص 64.

7 المرجع نفسه، ص 66.

8 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص226.

* الاثنوغرافيا: يطلق هذا المصطلح عادة على طائفة من الأعمال، سواء تلك التي بملاحظة سلوك الجماعة ملاحظة مباشرة، أو تلك التي تقوم على إعداد وصف مكتوب لذلك السلوك (...)، ويقترن هذا المصطلح بشكل عام اقترانا وثيقا بأساليب البحث في مجال الأنثربولوجيا الاجتماعية.

تعدّ الملاحظة بالمشاركة هي الأسلوب الرئيسي في البحث الإثنوغرافي.

ينظر، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ص 78.

9 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب ص226-227.

10 . المرجع السابق، ص 227

11 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب ، ص 228

- 12 فولفجانغ هاينه مان ديترفهقجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2004، ص 159
- 13 فولفجانغ هاينه مان ديترفهقجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 159.
- 14 ينظر، عمر بلخير، الخطاب وبعض مناهج تحليله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الترجمة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص6.
- 15 ينظر، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 170.
- 16 ينظر، محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 101.
- 17 ورد المقابل العربي لهذه التقابلات على النحو الآتي:
Dialogal - dialogique - dialogue. تحاور/ تحاوري/ تحاور
ينظر باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 170. Dialogique - dialogisme تحاور/ حوار فردي/ تحاوية
- يستخدم باختين مصطلحي (الحواري) و(الحوارية) بصورة موسّعة إلى الدرّجة التي يصير فيها (الحديث الذاتي) نفسه حوارياً، بمعنى أنّ لهذا الأخير بعداً تناصبياً، ينظر، ميخائيل باختين، مبدأ التأويل الحواري، ترفخري صالح، ط2، دار فارس للنشر، الأردن، 1996، ص 126.
- 18 باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 170/170
- 19 جاك موشر، وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 518
- . n-1 يتكون من عناصر/ مكّونات n كلّ مكّون من الرتبة « le principe de compositions hiérarchique مبدأ التأليف التراتبي:
- 20 Eddy Roulet et autres, un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours, PETR LANG, (2001), p53.

Christian Baylon et Bern Xavier Mignot, La * Peter Lang, L'articulation du discours en français contemporain communication, P195.

* Moeshler, J, Théorie pragmatique et pragmatique conversationnel, Armand colin, Paris, 1996, P177.

Yahia Fares University
Faculty of Literatures and Languages



Muqābasāt

fy āllg̃t w ālādb

Academic Biannually Published journal
it is interested in literary and linguistic issues
published by faculty of letters and Languages
University of Medea

Volume N°: 02 - N° 02 - / Décembre 2020

ISSN : 2661-7218

NDL : 12 - 2018